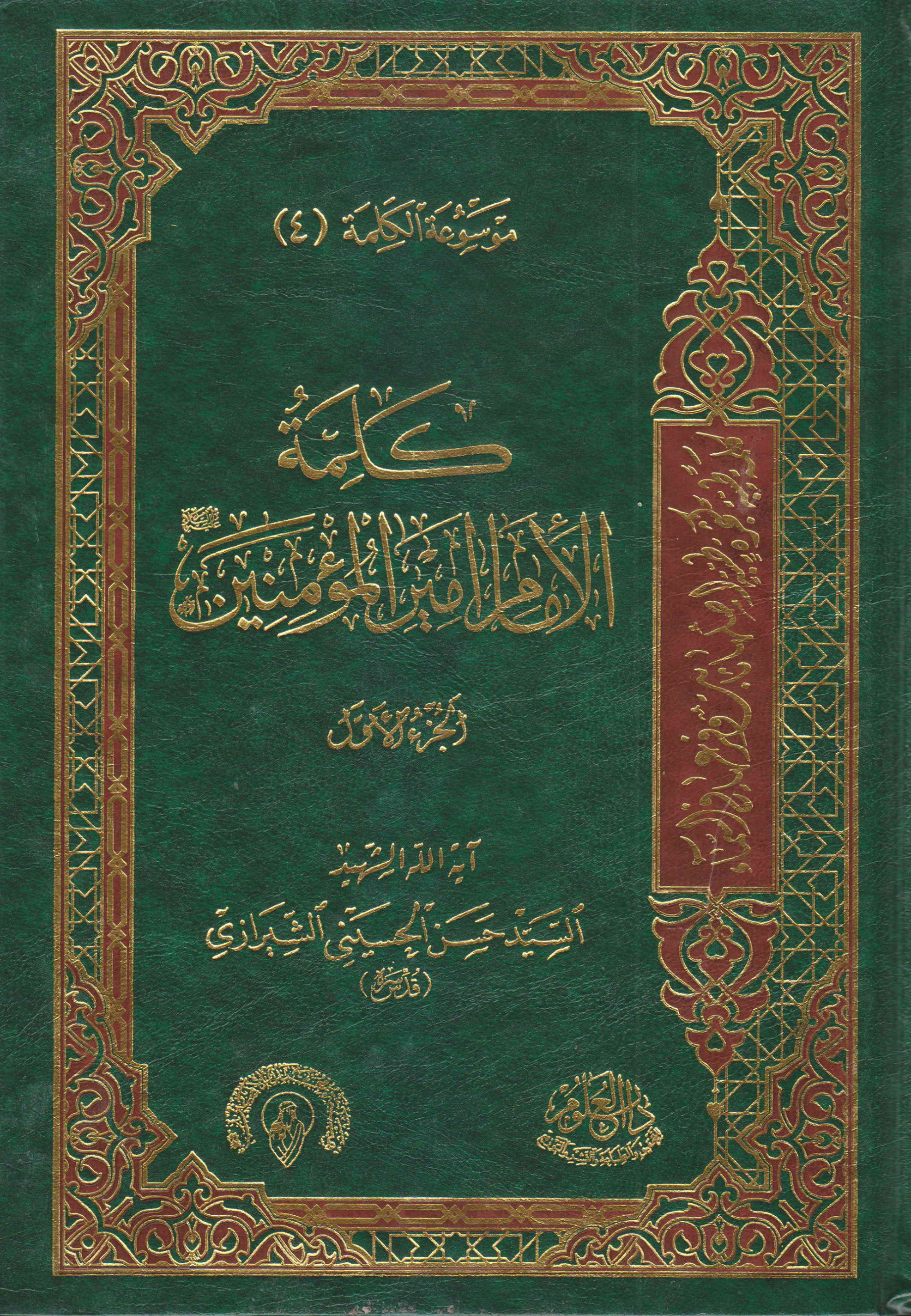


موسوعة الكلمة (٤)
كلمة
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام
الجزء الأول
آية الله الشهيد
السيد حسن الحسيني الشيرازي
(قدس سره)
دار العلوم


كلمة
الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م



الكويت - تلفن: ٠٠٩٦٥٢٤٥٥٦٩٦ - فاكس: ٠٠٩٦٥٢٤٥٧١١٧
لبنان: ٠٠٩٦١٣٦٠٣٩٧٢ - Email: ali-abdo42@hotmail.com



المكتب : حارة حريك - شارع السيد عباس الموسوي - تلفاكس : 01/545182 - 03/473919
ص . ب : 13/6080 - المستودع : بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي - هاتف : 01/541650
www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

موسوعة الكلمة (٤)



آية الله الشهيد

السيد حسن الحسيني الشيرازي

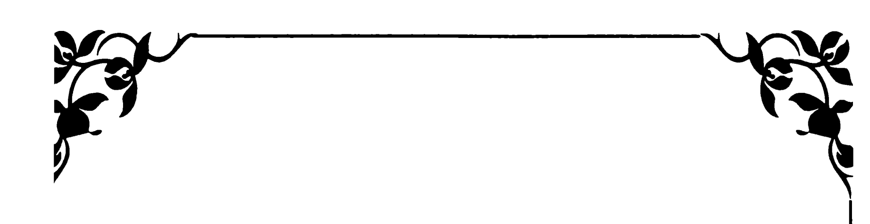
(قدس سره)



الجزء الأول







بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

صدق الله العلي العظيم



كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

١
الكلمة

هذه الكلمة المباركة هي جزء أساسي وركن ركين من أركان الموسوعة الشيرازية المسماة بـ **(موسوعة الكلمة)**.

وذلك لأنها كلمة ولي الله الأعظم والسيد المقدّم، أسد الله الغالب، الإمام علي بن أبي طالب.. أمير المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب الدين، سيد الكونين، أبو الحسن والحسين (عليهم من الله آلاف التحية والسلام).

كلمة حق انطلقت من حنجرة أمير المؤمنين عليه السلام الذهبية النورانية..

تلك الحنجرة التي صاغها الباري تعالى خصيصاً لذاك الفتى المتفرد بجميع صفات الكمال البشرية، ولذلك قال الأمين جبرائيل عليه السلام يوم أحد: «لا فتى إلا علي...»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٠ ص٧٠ ب١٢ ح٧.

صيغت الحنجرة ـ كصاحبها ـ من نور لا تشوبها ظلمة.. فلم يخرج منها إلا إشعاعات نورانية، وسبحات قدسية: «**كلامكم نور**»[(١)]، وتحلّت بالصدق فما خرجت منها صيغة كذب أبداً ـ عفوك سيدي وحاشاك ـ كيف ذاك وهو استجابة لدعوة خليل الله إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾[(٢)].

كما كان عليه السلام يقول: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل»[(٣)].

نعم.. كلمة صدق من إمام الصادقين، وأمير المؤمنين، الأنزع البطين.. علي بن أبي طالب عليه السلام ..

إلا أن تلك الكلمة مظلومة، لأنها خرجت من أول مظلوم غُصب حقه، من حنجرة مكلومة مكظومة..

خرجت مدوية تصرخ بالجميع للعودة إلى الصواب وجادته.. إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته.. إلى الإمام المبين وعدله.. إلى الحق وأهله..

فأرادوا ضياع تلك الصرخة بين ضجيج الضاجين، وعجيج العاجين، وصراخ الصارخين، حتى لا يُسمع منها ولا الصدى، فإن

---

(١) بحار الأنوار: ج٩٩ ص١٣٢ ب٨ ح٤ زيارة الجامعة.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.

(٣) بحار الأنوار: ج١٤ ص٤٧٥ ب٣١ ح٣٧. وج٣٨ ص٣٢٠ ب٦٧ ح٣٣ عن نهج البلاغة.

أعداءه عليه السلام بل أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله، وأعداء البشرية جمعاء ظنوا أنهم قد ملكوا الزمان والمكان..

ولكن الله خيّب آمالهم، وغيّب أجسامهم، ولم تبقِ لهم إلا اللعن من المنصفين والواعين..

ولَيتهم يعودون لينظروا إلى آثار ما صنع المليك عزت قدرته، الذي جعل صدى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام تصل إلى كل بقاع العالم من أقصاه إلى أقصاه، ومن أدناه إلى أعلاه، فلا تكاد تجد بلداً من البلدان إلا وفيها اسم علي عليه السلام يرفرف على الآفاق وصوته عليه السلام يجلجل في كل مكان ويزلزل العروش المبنية على النفاق..

هذا هو حال كلام الحق.. حيث يبقى رغم الأنوف الحاقدة..

أما الظلم، فإنه ينعكس على الظالم داءً وبلاءً أكثر مما ينعكس على المظلوم.. لأن المظلوم منصور من جبار السماوات، وهو تعالى ناصره ومعينه، وخاذل الظالم ومبيده، وكم الفرق كبير وواضح بين الاثنين..

ومع كل ذلك فإن كلمة الأمير عليه السلام مظلومة كشخصه الكريم منذ ذلك الحين وإلى الآن.. فمنذ مئات السنين قام حفيد كبير من أحفاده الكرام ـ وهو الشريف الرضي رحمه الله ـ بجمع بعض خطب ورسائل وكلمات جده أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب قيّم أسماه **(نهج البلاغة)** وعلى رغم قوته العلمية والبلاغية واشتماله على العلوم الكثيرة.. ترى البعض من المعاندين يريد أن يقلل من شأن ذاك السِّفر العظيم.. لماذا لست أدري؟

وهذه الكلمة المباركة **(كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام)** هي كذلك مظلومة، بل يمكن لك أن تقول إنها مسجونة، وذلك لأنها أُلقي عليها

القبض في إحدى المطارات.. وأين وضعت ربنا أعلم..

وقد جاء في كتاب (الموجز الجامع)[(١)] ما نصه: «الكتاب من تأليفات بيروت ودمشق، صودرت النسخة (الأصلية) من قبل المتشددين في السلطات الإيرانية وذلك من أحد المشايخ في مطار طهران الدولي (مهر آباد) عام ١٩٩٥م»[(٢)]، وكان يقع في مجلدين..

فكأن حالها كحال أي مادة من مواد التهريب كالمخدرات وغيرها.. ولاذنب لها إلا لأنها من أروع وأجمل وأبهى وأكمل الكتب التي تحمل كلام أمير البيان وسيد البلغاء، جمعها ونسّقها السيد الشهيد رحمه الله بشكل بديع جداً..

وبعد اليأس من إعادة النسخة الأصلية كانت هناك نسخة قديمة مصورة فوتوغرافياً تختلف شيئاً ما عن تلك النسخة المصادرة، فقمنا بطبعها وذلك لاكتمال عقد **(موسوعة الكلمة)** المباركة.

ونحن إذ نقدمها إلى الأخوة الأعزاء نلتمس منهم العذر ـ والعذر عند كرام الناس مقبول ـ ونعدهم إن شاء الله تعالى بتلافي واستدراك جميع الملاحظات عندما يفرج الله سبحانه عن النسخة الأصلية..

ونطلب من جميع الغيارى وأصحاب الفكر والأدب والإيمان، الدعاء والتدخل للإفراج عن تلك الكلمة المباركة المسجونة..

---

(١) (الموجز الجامع) الإصدار الرابع عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م، يقع في ٨١٦ صفحة ويشتمل على القائمة التفصيلية لمؤلفات الإمام الشيرازي الراحل وأسرته الكريمة، وهو من إعداد: حسين الشاهرودي وعلي الفدائي.

(٢) الموجز الجامع: ص٤٧٥. الإصدار الرابع. ط مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت لبنان.

وأخيراً نقول:

إن أمير المؤمنين عليه السلام وكلماته وأقواله وأفعاله ظلمها التاريخ.. وظلمها حتى الكثير من الأمة الإسلامية ـ والحق إن الأمة ظلمت نفسها بذلك ـ بتركها من جهة وباتباع من لم يزدهم اتباعهم إلا خساراً من جهة ثانية .. فهل يمكن أن نستمر أو نشجع تلك الظلامة والظلمات..

٢
جامع الكلمة

جامع الكلمة هو شهيد الكلمة الصادقة.. والرأي الحر.. والأدب الموجه إسلامياً.. والفكر العقائدي الحق.. هو الشهيد السعيد آية الله السيد حسن الشيرازي (رحمة الله ورضوانه تعالى عليه)..

ذلك الرجل العملاق.. الذي قلّ نظيره بين أبناء الأمة علماً وفقهاً وأدباً وشجاعة وسخاءً وعطاءً.. فقد درس في مدرسة جده الإمام الحسين عليه السلام وأبنائه وأصحابه الكرام عليهم السلام حتى صار شهيداً، وذلك لتبليغه ودفاعه عن الخط العقائدي والمنهج التربوي الذي رسمه أهل البيت عليهم السلام.. فقدّم ما ملكه من روح ودم لمواصلة تلك الدماء المباركة لسقي النبت الإسلامي النامي عبر الأمم والأجيال.

إن كان دين محمد لم يستقم   إلا بقتلي يا سيوف خذيني

فالإمام الحسين عليه السلام وأبناؤه وأصحابه عليهم السلام أصبحوا نبراساً، وقدوة لكل الأحرار، وأصحاب المبادئ السامية في جميع العالم منذ ذاك اليوم العظيم (عاشوراء) وإلى يومنا هذا، وإلى آخر يوم من عمر المعمورة بإذن الله تعالى..

والشهيد السعيد السيد حسن الشيرازي (رحمه الله) هو المجاهد الكبير الذي قضى عمره المبارك متنقلاً بين معاقل العلم والفقاهة، أعني الحوزات العلمية في عراقنا الجريح لا سيما حوزة كربلاء المقدسة، وذلك برعاية والده العظيم رحمه الله وأخيه المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته).

فقد درس على أساطين العلم والفقه متدرجاً من المقدمات والسطوح إلى البحث الخارج، كما درس الآداب العربية بأنواعها، فكان قلمه ولسانه من أعذب ما تقرأه أو تسمعه.

فإذا سمعت أو قرأت شعره أخذتك قصائده.. وأسرتك من شدة بهائها وجمالها، وإذا قرأت له قطعة نثرية تستغرب من عذوبتها وجمالها فتعيدها مرات عدة ولا تمل من إعادتها.. وربما تراها في كل مرة أجمل وأحلى..

ورغم كل المضايقات، والاعتقالات، والتهجير المتكرر، والتشريد من بلده الحبيب العراق الجريح.. فقد كتب وألف العديد من الكتب والدراسات والدواوين في مختلف صنوف العلم والفقه والأدب.

وكان في كل ما خطّه وكتبه وألّفه من خيرة رجال هذا العصر الرهيب..

وكذلك كانت شهادته مأساوية في كل فصولها بداية بالمكان والزمان والأسباب والنتائج..

وهكذا يموت العظماء وهم واقفون صامدون.. لا ينحنون ولا ينبطحون أمام أحد من الخلق أبداً.. فانحناؤهم لا يكون إلا تعظيماً للخالق.. وسجودهم شكراً لواجب الوجود فقط..

نعم.. لقد تجاوز السيد حسن الشيرازي رحمه الله حدود العراق حيث لم يتسع له.. فخرج منه متوجهاً إلى لبنان وسوريا، فكانتا نقطة انطلاقه إلى العالم كله بالفكر والجسد، حيث زار أكثر من بلد وفي أكثر من قارة من قارات العالم الحالية..

أما في بُعد الفكر فقد اتسع السيد الشهيد رحمه الله حتى لم تتسع له دائرة ضيقة ولم يحتوِه ظرف خاص، بل كان أكبر من أيّة محاولة لتحجيمه لأنه كان تلميذاً في مدرسة الإسلام ورسالة السماء الخاتمة ومكتب أهل البيت عليهم السلام الطاهر.

فقد تلبّس السيد الشهيد رحمه الله عباءة الإسلام وتزيّن بتاج الإيمان: العمامة السوداء التي ترمز إلى انتمائه إلى النبي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الإمام زيد الشهيد ابن الإمام زين العابدين السجاد ابن الإمام الحسين الشهيد بكربلاء ابن الإمام علي بن أبي طالب شهيد محراب الكوفة وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء المظلومة المكظومة (سلام الله عليهم أجمعين) .. من كوكبة ما أعظمها وأعظم شأنها في الدين والدنيا..

ورحم الله الشاعر الذي قال مفتخراً بالانتساب إليهم:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم..

لا والله ما في الوجود مثلاً لهم إلا هم فـ «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد»[١] فقد تفردوا بالفضائل حتى جمعوها فكانوا هم شجرة الفضل وأسس الفضائل في الكون كله..

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٦ ص٢٦٩ ب٦ ح٥، عن أمير المؤمنين.

نعم.. منهم وإليهم عليهم السلام انتمى سماحة السيد الشهيد حسن الشيرازي رحمه الله الذي جمع هذه الكلمة النفيسة (كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) من موسوعة الكلمة العملاقة..

فجزاه الله عن هذه الأمة خير جزاء، وجعل الجنة مثواه ومأواه، مع محمد وآله الأطهار عليهم السلام .. إله الحق آمين.

٣
صاحب الكلمة

قبل الدخول، لا بُدّ لنا من كلمة الإذن من الأمير عليه السلام.

فماذا نكتب..؟

وكيف نبدأ..؟

وما الجديد الذي نريد أن نقوله عن أمير المؤمنين علي عليه السلام؟

فذِكره عليه السلام قد عمّ الخافقين، وسيرته العطرة زينة كل لسان، وكبار العلماء والشعراء والأدباء وأرباب الفكر والقلم.. قد كتبوا وتحدثوا عن الأمير عليه السلام ووقفوا أمامه بكل أدب وخشوع، والمليك المقتدر عزّ وجلّ قد باهى به ملائكة السماء.. فماذا نريد أن نقوله وبأي بئر نريد أن ندلي بدلونا وكلنا فقر تجاهه..؟

إلا أن خدمة الأمير عليه السلام حبذتنا، والطمع بورقة شافعة جرأتنا للكتابة عنك سيدي..

فعفوك.. عفوك.. مولاي وسيدي.. أبا الحسن عليه السلام على هذه الجرأة ونستمدُّ منك العون والتسديد.

فمن هو الإمام علي عليه السلام ؟

هو أمير المؤمنين، وسيد المتكلمين..

هو أمير الكلام والبلاغة والبيان..

هو الإمام الأعظم، وسيد ولد آدم عليه السلام بعد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم لا ينازعه في هذا المقام أحد من الغابرين أو القادمين إلى يوم الدين.

إنه الرجل العظيم الذي عقم الزمان عن أمثاله.. وعجزت النساء أن تلدن نظيراً لـه أبداً..

ففي النسب هو: (أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب بن شيبة الحمد (عبد المطلب) بن عمرو العلى (هاشم) بن المغيرة (عبد مناف) بن زيد (قصي) بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معدن، بن عدنان..

إلى أن يصل نسبه الشريف إلى إسماعيل عليه السلام ـ وهو أول من فتق لسانه بالعربية المبينة التي نزل بها القرآن، وأول من ركب الخيل وكانت وحوشاً ـ وهو ابن خليل الله إبراهيم عليه السلام[١].

الله.. الله وقد ورد في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الذي غمست نوره في بحر الفضيلة والمنزلة الجليلة والدرجة الرفيعة وأودعته الأصلاب الطاهرة ونقلته بها إلى الأرحام المطهرة»[٢]. نعم.. إنها امتداد للسلسلة الذهبية التي قالوا عنها: «والله.. لو قرئت على مجنون لأفاق..»[٣].

---

(١) راجع العمدة لابن البطريق: ص٦٦ عن (فضائل الصحابة): ج١ ص٥٥٠ ح٩٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٩٧ ص١٧٨ ب٢ ح٤٤.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج١٠ ص٣٦٦ ب٢٠.

الأب

والد الإمام عليه السلام هو عظيم من عظماء الرجال، فهو ذاك البطل المؤمن الملقب بحامي الرسول صلى الله عليه وآله والمكنى بأبي طالب عليه السلام .. خليفة أبيه شيبة الحمد عبد المطلب سيد قريش وملك العرب وصاحب الفضائل والإفضال لأهل مكة والجاهلية كلها، ذاك الذي اجتمع فيه نورا الرسالة والولاية.

أبو طالب عليه السلام هو بطل الإسلام الأكبر، وحامي الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مدى الحياة.. وحافظه ومؤيده بالكلمة والسيف والموقف، ولقد فداه بالنفس والمال والأولاد..

عاش رسول الله صلى الله عليه وآله وترعرع في بيت أبي طالب عليه السلام، وأعطاه علياً عليه السلام عندما تزوج واستقل في منزله، ووصل جناحه بولده جعفر الطيار عندما رآه صلى الله عليه وآله يصلي وليس معه أحد إلا الفتى علي عليه السلام فقال له: «يا بني صل جناح ابن عمك»[(١)].

فكان الرسول صلى الله عليه وآله منيعاً مادام أبو طالب عليه السلام حياً في مكة.

ولذلك عندما توفي ناصراه وحامياه ومعيناه في مكة المكرمة في عام واحد ـ أبو طالب عليه السلام وخديجة العظيمة عليها السلام ـ سماه صلى الله عليه وآله عام الحزن.. وأمره الباري تعالى بالهجرة إلى المدينة المنورة.. لأنه ليس له مقام في مكة بعد عمه أبي طالب عليه السلام.

نعم.. ذاك الرجل العظيم اتهموه بالكثير من التهم بغضاً منهم لابنه، وخرّجوه حتى من الإسلام، ونفوه عن عبادة رب العالمين.. ولا ذنب له

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠ ص٣٨٠ ب٢١ ح١٠ (بيان). والبحار: ج١٨ ص٥٣ ب٨ ح٧.

إلا أنه (آوى ونصر...) وكان والداً لعلي بن أبي طالب عليه السلام مبيد العتاة والمردة، وقاتل الصناديد من رجالهم..

فالعجب كل العجب من أمة وأناس يدّعون الإسلام وهم يؤلفون كتباً في الدفاع عن أبي سفيان وولده معاوية وحفيده يزيد!.. وينسبونهم إلى الإسلام والإيمان.. ولا يرضون بأن يذكروا أبا طالب عليه السلام إلا بالكفر والشرك والإلحاد.. ويكتبون ويؤلفون الأباطيل لإثبات ما يزعمونه.. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه لراجعون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

ونعم ما قال الشاعر[١]:

هبي يا أمة الكفر أني كافر ... أأدخل النار وابني قسيمها

أو ينسى طه الشفيع مودتي ... حيث كان عندي يتيمها

لا والله يا شيخ الأباطح، ويا بيضة البلد، لا ينسى الشفيع ولا يدع القسيم.. فأنت أنت المؤمن الموحد ولله درك ما أنت..

الأم

وأما أمه الزكية الطيبة فهي من الأصل الراسخ: فاطمة بنت أسد بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي.. وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً، وهاجرت إلى النبي صلى الله عليه وآله مع الفواطم، وماتت مؤمنة.. وشهدها النبي صلى الله عليه وآله[٢] في قصة معروفة وبكاها روحي فداه صلى الله عليه وآله وقال عنها: إنها أمي.. واضطجع في قبرها، ليقيها عصرة القبر، وأهدى إليها قميصه

---

(١) هو الشيخ أحمد رشيد مندو الفوعي السوري.

(٢) العمدة: ص٧٢.

ولبّسها علي عليه السلام ليقيها في المحشر والقيامة، وصلى عليها ونام في قبرها ولقنها حجتها كاملة[١]..

فكانت امرأة عظيمة ندر أمثالها في ذاك الزمان، ولولا ذلك لما أعارها هذا الاهتمام وهذا الإكبار سيد البشر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فالعالي عند الله، عال عند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بلا شك..

نعم.. هذا نسب علي المؤمنين عليه السلام بالوضع..

أما بالمنهج والطبع فهو ابن الإسلام، وربيب الرسول الأعظم عليه السلام.. وإلى هذا المجد السامي ينتسب، وبه يفتخر، ويحق لـه ذلك، ومن كولي الله الأعظم.. زوج البتول وأبي السبطين (عليهم آلاف التحية والسلام)..

مولد النور

في أقدس مكان من العالم.. ومن أعظم شجرة إنسانية.. وفي أفضل عشيرة.. وفي أكرم بيت.. ولد فتى الفتيان الذي بهر نور وجهه الثقلين منذ ذلك الحين..

فمن الأصل الراسخ الهاشمي، من عشيرة قريش، من أبي طالب وفاطمة بنت أسد، وفي جوف الكعبة المشرفة.. ولد الإمام علي عليه السلام[٢].

وذلك في بداية نور يوم ١٣ رجب المرجب سنة ٣٠ بعد عام الفيل، أو ١٠ قبل البعثة المحمدية الشريفة. أو ٢٣ قبل الهجرة النبوية المباركة.

---

(١) للتفصيل راجع بحار الأنوار: ج٦ ص٢٣٢ ب٨ ح٤٤.

(٢) قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص٥٥٠ ح٦٠٤٤: فقد تواترت الأخبار على أنّ فاطمة بنت أسد، ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في جوف الكعبة.

فكانت ولادته كشخصيته وكروحه وشهادته إعجاز في إعجاز .. واستثناء تلو استثناء، لم يحدث التاريخ ولم يرو أصحاب القصص ولا حتى الأساطير ما توفر في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من صفات..

وعندما أراد له باريه وخالقه تبارك وتعالى، أن يولد في هذه الحياة الدنيا كانت أمه المباركة تطوف بالبيت العتيق وفاجأها المخاض، نعم حان وقت الولادة ولا مولدة ولا مساعدة.. وفاطمة بنت أسد عليها السلام فريدة وحيدة عند البيت العتيق.. فما لها إلا ربها.. فرمت بطرفها إلى السماء خجلة وجلة.. وأمسكت بطنها بيمينها وركن البيت بيسارها.. ضارعة داعية لله سبحانه وتعالى أمام (المستجار) قائلة:

«يا رب إني مؤمنة بك وبكل كتاب أنزلته وبكل رسول أرسلته.. ومصدقة بكلامك وكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام وقد بنى بيتك العتيق، وأسألك بحق أنبيائك المرسلين وملائكتك المقربين وبحق هذا الجنين الذي في أحشائي إلا يسرت عليّ ولادتي»[(١)]..

فما أن أكملت تلك الكلمات حتى انشق جدار البيت الحرام.. وأتاها النداء إيذاناً وأمراً بالدخول..

فدخلت وعاد الجدار إلى مكانه وبقيت في ضيافة الله ثلاثة أيام!.. وعاد الجدار فانشق من جديد وخرجت وهي تحمل وليدها المبارك ملفوفاً بخرقة خضراء وعلامة البشر على محياها.. والابتسامة على ثغر ولدها الميمون.

فاستقبلها أبو طالب عليه السلام وابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفتية بني هاشم

---

(١) الإمام علي عليه السلام من المهد إلى اللحد: ص١٤، عن البحار ج٩.

بالفرح والسرور وراحوا يتناقلون الوليد ويباركون للأبوين به، ورفعته الأكف حتى انتهى إلى ابن عمه محمد ﷺ، ولم يزل علي عليه السلام مع رسول الله ﷺ .. فإن النبي ﷺ تولى تسميته بعلي.. وقد خصّه بهذا الاسم الباري عزّ وجلّ حيث جاء النداء من السماء: (علي اشتق من العلى).

وروي: لما وُلد علي عليه السلام وخرجت أمه به من جوف الكعبة، جاء رسول الله ﷺ وبصق في فيه، ثم ألقمه لسانه فمازال يمصه حتى نام، فلما كان من الغد طلبوا له مرضعة فلم يقبل ثدي أحد، فدعوا له محمداً ﷺ فألقمه لسانه، فكان كذلك ما شاء الله.

فعلي عليه السلام من محمد ﷺ بالغذاء والنماء، وليس بالحب والولاء فقط..

نعم اتفق الرواة في ولادته عليه السلام في الكعبة المشرفة به، وقصّ المؤرخون، وحكى الأدباء، ونظم الشعراء في تلك الواقعة النورانية الفريدة في هذا الوجود.. فخلدوها في كل مكان، فيقول هذا الشاعر[١] في قصيدته الرائعة:

لم يكن في كعبة الرحمن مولود سواه
إذ تعالى في البرايا عن مثيل في علاه
وتولى ذكره في محكم الذكر الإله
أيقول الغرّ فيه بعد هذا.. لست أدري
أقبلت فاطمة حاملة خير جنين

---

(١) هو الشاعر السيد علي الهندي.

جاء مخلوقاً بنور القدس لا الماء المهين
وتردّى منظر اللاهوت بين العالمين
كيف قد أودع في جنب وصدر.. لست أدري
أقبلت تدعو وقد جاء بها داء المخاض
نحو جذع النخل من ألطاف ذي اللطف المخاض
فدعت خالقها الباري بأحشاء مراض
كيف ضجت؟ كيف عجت؟ كيف ناحت..؟ لست أدري
لست أدري غير أن البيت قد رد الجواب
بابتسام في جدار البيت أضحى منه باب
وجلت فانجاب فيه البشر عن محض اللباب
إنما أدري بهذا، غير هذا... لست أدري
كيف أدري وهو سر وقد حار العقول
حادث في اليوم لكن لم يزل أصل الأصول
مظهر لله لكن لا اتحاد لا حلول
غاية الإدراك أن أدري بأنني .. لست أدري
ولد الطهر (عليّ) من تسامى في علاه
فاهتدى فيه فريق، وفريق فيه تاه
ضلّ أقوام فظنوا أنه حقاً إله
أم جنون العشق هذا لا يجازى؟ لست أدري[1].

---

(١) الغدير: ج٦ ص٣٧.

النشأة والأوصاف

ولد الفتى علي عليه السلام في بيت الله الحرام.. وتغذى من فم ولسان سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم.. ونمى وترعرع في منزل أبي طالب عليه السلام حامي الإسلام الأول..

وما أجمل ما وصف به الأمير عليه السلام تلك الأيام عن علاقته بابن عمه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وذلك حين قال:

«وضعني في حجره وأنا وليد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله وسلم من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولايراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة عليها السلام، أنا ثالثهما.. أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلا أنك لست نبي، ولكنك الوزير، وإنك لعلى خير..»[١].

نعم.. إن أمير المؤمنين عليه السلام قد نشأ في منزل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبيته، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث تزوج من خديجة قال لعمه أبي

---

(١) نهج البلاغة، عنه البحار: ج٣٨ ص٣٢٠ ب٦٧ ح٣٣.

طالب: إني أحب أن تدفع إلي بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي..

قال أبو طالب صلى الله عليه وآله وسلم: خذ أيهم شئت..

فأخذ صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام ..»[1].

فمن استقى عروقه من منبع النبوة، ورضعت شجرته من ثدي الرسالة، وتهدّلت أغصانه من نبع الأمانة، ونشأ في دار الوحي، ورُبيِّ في بيت التنزيل ولم يفارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته إلى حال وفاته، لا يقاس بسائر الناس.. فإنه نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بصريح الآية المباركة[2]. وهو الخليفة بعده صلى الله عليه وآله وسلم دون من سواه بنصه صلى الله عليه وآله وسلم الشريف.

فما هي الأوصاف التي تذكر للأمير عليه السلام .. وكيف كان ذاك العملاق في الإنسانية..

عذراً سيدي فليس لنا أدوات ولا كلمات لكي نصفك بما تعرف أو تألف.. إلا أنهم قالوا في وصفه: «كان عليه السلام مربوع القامة، أدعج العينين، سهل الخدين، أزج الحاجبين، حسن الوجه، كأن وجهه قمر ليلة البدر... وكان عنقه إبريق فضة..عريض الصدر والمنكبين..»[3].

وتلميذه ابن عباس قال عنه عليه السلام: «كان علي أمير المؤمنين عليه السلام يشبه القمر الباهر، والأسد الخادر، والفرات الزّاخر، والربيع الباكر، فأشبه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الأسد شجاعته ومضاءه، ومن الفرات جوده

---

(١) بحار الأنوار: ج٣٨ ص٢٩٥ ب٦٧ ح١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٣) نزهة المجالس: ص٤٥٤.

وسخاءه، ومن الربيع خصبه وحياءه، عقمت النساء أن يأتين بمثل علي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم»[١].

والمحب الطبري يقول: «وكان عليه السلام ربعة من الرجال، أدعج العينين عظيمهما، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر... عريض ما بين المنكبين... والمشهور أنه كان أبيض اللحية، وكان إذا مشى تكفّأ، شديد الساعدين واليد، وإذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي، ما صارع أحداً إلا صرعه، شجاع منصور عند من لاقاه..»[٢].

وقال عنه المغيرة: «كان علي عليه السلام على هيئة الأسد، غليظاً منه ما استغلظ، ودقيقاً منه ما استدق..»[٣].

وقال حريث: «وكان عليه السلام بشره دائم، وثغره باسم، غيث لمن رغب، وغياث لمن ذهب، مآل الآمل، وثمال الأرامل، يتعطف على رعيته، ويتصرف على مشيته، ويكفه بحجته، ويكفيه بمهجته..»[٤].

وأخيراً قال ابن أبي الحديد في شرحه: «وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه، وطلاقة المحيا والتبسم، فهو المضروب به المثل فيه حتى عابه بذلك أعداؤه..»[٥].

وأخيراً نقول:

إن الأجمل من هذا كله هو قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ووصفه له

---

(١) لسان العرب: ج١٤ ص٢١٦ مادة (حيا).
(٢) ذخائر العقبى: ص٥٧. وبحار الأنوار: ج٣٢ ص٦٠٥ ب١٢ ح٤٧٨.
(٣) بحار الأنوار: ج٣٥ ص٢ ب٢ ح١.
(٤) بحار الأنوار: ج٤١ ص٥١ ب١٠٤ ح٣.
(٥) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٤٧ ب١٠٧ ح٤٥.

حيث قال: «من أراد أن ينظر إلى آدم في جلالته، وإلى شيث في حكمته، وإلى إدريس في نباهته ومهابته، وإلى نوح في شكره لربه وعبادته، وإلى إبراهيم في وفائه وخلّته، وإلى موسى في بغض كل عدو لله ومنابذته، وإلى عيسى في حب كل مؤمن ومعاشرته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام»(١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أراد أن ينظر إلى يوسف في جماله، وإلى إبراهيم في سخائه، وإلى سليمان في بهجته، وإلى داود في حكمته فلينظر إلى علي ابن أبي طالب عليه السلام»(٢).

نعم هذا بعض ما ذكر في وصف الأمير عليه السلام وهو ولي الله الأعظم، والإمام الأكبر لبني البشر.

ألقابه عليه السلام وكناه

لقد اشتهر للإمام عليه السلام اسمان وكنيتان.. وألقاب عديدة، كالتالي:

فهو علي عند الله ورسوله، وحيدر عند أمه وأبيه..

وكنيته: أبو الحسن، نسبة لابنه الأكبر، وأبو تراب، حيث كنَّاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به.. إلى غيرها من الكنى كأبي السبطين، وأبي الحسنين و...

وأما الألقاب فهي كثيرة منها: أمير المؤمنين وهو أشهرها، وأمير النحل لتشبيه المؤمنين بالنحل، ويعسوب المؤمنين، وقائد الغر المحجلين، وأسد الله وأسد رسوله و...

---

(١) بحار الأنوار: ج١٧ ص٤١٩ ب٥ ح٤٩.
(٢) بحار الأنوار: ج٣٩ ص٣٥ ب٧٣ ح٢.

فألقابه وصفاته عليه السلام رائعة الجمال، رائقة الجلال والكمال.. تخبر عن معنى من معاني الإمام عليه السلام أو مزية من مزاياه، أو فضيلة من فضائله التي جلّت عن العدّ أو الحصر أبداً..

نقوش خواتيم الأمير عليه السلام

١: على الفص العقيق وهو للصلاة: «لا إله إلا الله عدة للقائه».

٢: على الفص الفيروزج وهو للحرب: «نصر من الله وفتح قريب».

٣: على الفص الياقوت وهو للقضاء: «الله الملك وعلي عبده».

٤: على الفص الحديد الصيني وهو لختمه: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»[1].

الأولاد

من فاطمة الزهراء عليها السلام: الحسن والحسين والمحسن السقط، وزينب الكبرى وزينب الصغرى (أم كلثوم) وسكينة.

ومن غيرها غيرهم، وفي بعض الروايات كان لأمير المؤمنين عليه السلام من الأولاد سبع وعشرون، وفي أكثرها أربعة وثلاثون..

منهم: محمد ابن الحنفية عليه السلام، أمه خولة بنت جعفر بن قيس.

عمر ورقية توأمان، أمهما أم حبيب بنت ربيعة.

العباس وجعفر وعثمان وعبد الله: شهداء الطف، أمهم فاطمة بنت حزام الكلابية (أم البنين) عليها السلام.

---

(١) العمدة لابن البطريق: ص٧٤.

محمد الأصغر (أبو بكر) وعبيد الله، شهيدان بالطف، أمهما ليلى بن مسعود الدارمية.

يحيى وعبيد الله.. أمهما أسماء بنت عميس الخثعمية.

أم الحسن ورملة.. أمهما (أم مسعود) أو (أم سعيد) بنت عروة بن مسعود الثقفي.

نفيسة وزينب الصغرى ورقية الصغرى وأم هاني وأم الكرام وجمانة (أم جعفر) وأمامة وأم سلمة وميمونة وخديجة وفاطمة.. لأمهات شتى»[١].

وهؤلاء الكوكبة المباركة من الذكور والإناث هم أبناء وبنات أمير المؤمنين عليه السلام حسب أقوال كثير من المؤرخين..

أنوار ولائية وإشعاعات حضارية

علي.. ومن كمثلك يا علي عليه السلام.

يذكر العلامة الجليل محمد جواد مغنية رحمه الله أنه كان حاضراً في حفل بهيج لذكرى ولادة الأمير عليه السلام فتعاقب الخطباء والشعراء واحداً تلو الآخر إلى أن قدّم عريف الحفل الأستاذ شكيب أرسلان الأديب اللبناني المعروف قائلاً:

تسمعون كلمة من الأمير شكيب، وإنما سمي أميراً لأنه شبيه بالأمير في سنانه وبيانه..

فغضب شكيب من هذا التشبيه وانبرى إلى المنبر وقال:

والله ما اعتراني الخجل منذ خلقت حتى الساعة، كما اعتراني حين سمعت المعرّف يشبهني بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام...

---

(١) انظر (العمدة): ص٧٤.

والله.. إن كل ما في السماء والأرض ـ عدا الله ورسوله ـ لا يشبه الغبار الذي على حافر فرس علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن الله أمر بالخير.. ونهى عن الشر.. ثم خلق علياً كما يشاء وقال للناس: هذا هو المثل الأعلى فاحتذوه..»[١].

نعم.. علي عليه السلام المثل الأعلى، والقدوة المثلى.. والأسوة الحسنى.. والعروة الوثقى..

فالإمام علي عليه السلام هو وجه الله الذي منه يُؤتى، ويد الله التي تصول وتجول على الأعداء.. وولي الله الأولى.. ووصي الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ..

الإمام علي عليه السلام هو صريخ المؤمنين، وغوث الهاربين، ونصرة المظلومين، وهداية التائهين، ونور الضالين، وأمل المحرومين، وملاذ المستضعفين، وسيف الفقراء بوجه الظالمين..

عفوك سيدي.. يا ملاذنا ومعاذنا..

كيف لا ..وقد لاذ بك الأنبياء عليهم السلام والأولياء والصالحون، إذ إنك كنت مع جميع الأنبياء بالسر والباطن.. وأيدت آخرهم وسيدهم صلى الله عليه وآله وسلم بالعلن والظاهر.

فأنت وأنت.. ولا أحد ممن خلق الله يعلم من أنت وما أنت.. إلا الله ورسوله العظيم محمد بن عبد الله عليه السلام ، وأما بقية الخلق فأكثرهم جهال بحقك ومكانتك وكنه معناك وعظيم علمك وتقواك.. يا مولى المتقين..

---

(١) فضائل الإمام: ص١٨٠.

فنبي الله آدم عليه السلام أكل من تلك الشجرة التي نُهي عنها، أما أنت يا سيدي فقد أذهب الله عنك الرجس وطهرك تطهيراً، فما عصيتَ الله طرفة عين ـ حاشاك ـ وكنتَ عين الهداية ومقصود المهتدين.. فأين أنت عن الغواية..؟

ألم يكن اسمك عظيم من جملة الأسماء التي تعلمها آدم عليه السلام فتاب الله سبحانه بها عليه وعلى زوجته ورضي عنهما، وفاق الملائكة علماً فسجدوا له بك يا مولاي..؟

وما حال أبي البشر الثاني نبي الله نوح عليه السلام شيخ الأنبياء وسيد المعمرين الذي دعى قومه إلى ربه وعبادته ٩٥٠ سنة وما آمن معه إلا قليل.. ألم تكن نجاته ونجاة سفينته من الطوفان والأمواج التي كانت كالجبال حينذاك، إلا بك وبآلك الكرام عليهم السلام.

نعم.. فقد جاء في كتب الروايات، وأيّدته الوقائع والكشفيات الأثرية مؤخراً، في اللوح المكتشف منذ الأمس القريب وذلك حينما كان فريق من خبراء المعادن الروس منكبّاً على حفر الأرض للتنقيب عن المعدن، وفي كانون الثاني لعام (١٩٥١م) ظهرت فجأة ألواح خشبية منخورة.. وبعد المزيد من التنقيب اتضح لهم أن هناك الكثير من الألواح الخشبية المدفونة تحت الأرض وقد تآكل بعضها وبلي بمرور الزمان، وتوصلوا إلى أن بعضها غير عادية ويشتمل على سر مكنون فيه..

فأخذوا بمزيد من الحفر بدقة بالغة، ثم استخرجوا الألواح الخشبية النخرة وعثروا من بينها على لوح خشبي مستطيل قد أدهش الجميع، لأن تصرم الزمان قد أبلى جميع الخشب سوى هذا اللوح الذي يبلغ طوله

أربعة عشر إنشاً (حوالي ٣٥سم) وعرضه عشرة إنشات (٢٥سم) ونقش عليه بضعة أحرف.

فشكلت الحكومة الروسية لجنة للتحقيق والبحث حول هذه الألواح الخشبية في (٢٧) شباط لسنة (١٩٥٣م) وكان أعضاؤها خبراء في الآثار وأساتذة مختصين باللغات القديمة..

وبعد ثمانية أشهر من البحث والتنقيب انكشف سر ذلك اللوح الخشبي للجنة فاتضح أنه من سفينة نوح عليه السلام وقد نصب هذا اللوح عليها للبركة والاستمداد لما كتب عليه.

وكان في وسط اللوح رسم يمثل كفّاً كتبت عليه عبارات عديدة باللغة السامية، ومن ثم ترجمت اللجنة تلك العبارات إلى اللغة الروسية وترجمت فيما بعد إلى اللغة العربية وكانت ترجمتها بالحرف:

يا ربي..! يا مغيثي..!

بلطفك ورحمتك، وبالذوات المقدسة!

محمد..

وإيليا..

وشبر..

وشبير..

وفاطمة..

أعِنّي.. فإن هؤلاء الخمسة أعظم الخلق، فيجب إعظامهم واحترامهم، وإن جميع الدنيا خلقت لأجلهم..

إلهي بأسماء هؤلاء أعني، إنك قادر على هداية جميع الخلق إلى الطريق القويم..)[١].

وكذا كان النبي سليمان عليه السلام حيث اكتشف في مطلع هذا القرن لوح سمي بـ (لوح سليمان) وكانت ترجمته بعد التدقيق والترجمة من العبرية إلى العربية:

الله

أحمد إيلي

باهتول

حاسن حاسين

يا أحمد أغثني

يا علي أعني

يا بتول احميني

يا حسن أكرمني

يا حسين أسعدني

ها هو سليمان يستغيث الساعة بهؤلاء الخمسة الكرام وعليّ قدرة الله[٢].

أما داود النبي عليه السلام صاحب الزبور فقد جاء في زبوره ما يلي:

«إطاعة ذلك الرجل الشريف الذي يدعى (إيلي) واجبة، وإطاعته

---

(١) الإمام علي والأنبياء: ص٤٣.

(٢) نفس المصدر: ص٣٥.

صلاح لأمور الدين والدنيا، ويسمى هذا الرجل العظيم أيضاً حدار (أي حيدر) إنه معين المساكين ومغيثهم، وأسد الأسود، وقوته وقدرته خارقة، وسيولد في كعابا (أي الكعبة) .. يجب على جميع الناس أن يتمسكوا بعروة هذا الرجل الجليل ويطيعوه كما يطيع العبد مولاه.. فليسمع كل من له أذن واعية، وليفهم كل من له عقل فهيم، وليعلم كل من له قلب ولب، لأن الوقت يمضي ولا يعود ثانية..»[١].

وهناك أيضاً إشارات تنادي بالتمسك بالأمير عليه السلام قد لا نعرف أصحابها وأحوالهم ومكانتهم عند الله.. إلا أن كلماتهم تنبئ عن عظيم ما توصلوا إليه من منزلة الأمير عليه السلام..

فذاك الهندوسي (شري كشرن جي) ناجى ربه قبل دخول الحرب قائلاً:

«يا رب العالم الكبير، وروح الكون العظيم، أقسم عليك بذاتك الطاهرة، وبمن كان سبباً لخلق الأرض والسماء، وبحبيبك، وبمن كان عزيزه وحبيبه واسمه (آهلي) والذي سيظهر عند (الحجر الأسود) في أكبر معبد في العالم، انظر حالي واستجب دعوتي، واهلك أتباع الباطل والبهتان، وانصر أتباع الحق يا الله.. يا إيلا، يا إيلا، يا إيلا..».

وكذلك حال الهندوسي الذي يقال له (المهاتما بدّة) فحين أقلقته النوائب دعا الله مستغيثاً:

«إلهي.. بذلك الوجود المقدس الرؤوف.. وهو رحمة للعالمين، أعنّي.

---

(١) نفس المصدر: ص٣١.

إلهي.. بعترته الطاهرة نجني.

إلهي باسمه المقدس أعزني وصن عرضي وشرفي..».

وقال في آخر كلمات له لأحد تلامذته متحدثاً عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً:

«إنه من سيختتم النبوة به، ويتوج بتاج خماسي يتلألأ مثل الشمس والقمر واسم ألماسته الكبيرة (آليا)» أي علي عليه السلام.

فعند الضيق ما له إلا داحي باب خيبر، وعند اشتداد البأس واضطراب الأمر ما له إلا كاشف الكربات ودافع البليات أمير المؤمنين علي عليه السلام..

وهكذا كان الأنبياء والأوصياء عليهم السلام يتوسلون بوجوده المبارك إلى الله عزّ وجلّ في ضرائهم وشدائدهم.. فإن العظماء يعرفون قدر بعضهم.. وعمالقة الإنسانية يقدرون بعضهم البعض، والأنبياء عليهم السلام يعرفون أن أفضل وسيلة وأقوى حبل إلى الله هو الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار عليهم السلام لأنهم العلّة الغائية للكون، وهم أحد أهم أسباب الوجود والخلق..

ألم يقولوا عليه السلام: نحن الوسيلة إلى الله المثلى..

ونحن الصراط المستقيم..

ونحن حبل الله الممدود بين السماء والأرض..

وهم العروة الوثقى التي لا انفصام لها..

وهم سفينة النجاة للأمة.

وهم باب النجاة للملة.

فاستجارة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام تكون بأفضل الوسائل وأنجح وأنجع الطرق الموصلة إلى الهدف، وسيدهم وخاتمهم كثيراً ما قال صلى الله عليه وآله وسلم: إذا أحببتم استجابة دعائكم فابدؤوه واختموه بالصلاة التامة غير المبتورة.. وهي الصلاة على محمد وآله صلى الله عليه وآله وسلم فإنها أحد أهم علامات قبول الدعاء والتهيؤ لاستجابته.

نعم فإنه «لا يُقاس بآل محمد أحد أبداً..»..

وأمير المؤمنين عليه السلام هو الألماسة العظمى، كما سماه ذاك الحكيم، وهو سيد العترة الطاهرة، وأصلها المبارك الثابت.. هو أمير في الدنيا والآخرة، وإمارته في الدنيا تشمل جميع المؤمنين على امتداد التاريخ الغابر والحاضر، ومن أتت به الأيام وتأتي به الأزمان منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.. ما عدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكل المؤمنين من أنبياء وأوصياء وشهداء وصالحين، هو عليه السلام أميرهم بلا منازع.. فالأمير أمير، والإمام إمام مهما طالت الأيام ومهما أبعدته.

والأنبياء والأوصياء عليهم السلام الذين يمثلون الخط الإلهي في هذا الكون يدركون هذه الحقائق الثابتة تماماً فلا يجحدونها ـ وحاشاهم من الجحود ـ بل يلتزمونها تمام الالتزام ولهم الفخر في ذلك، كما افتخر به أعظم ملائكة الله جبرائيل عليه السلام بالانتساب إلى أهل البيت عليهم السلام وهذا ما قصّه حديث الكساء الشريف وغيره من الأحاديث النورانية المعتبرة والصحيحة.

ولكن هذه الأمة قد جحدت حق أمير المؤمنين عليه السلام وكثير منهم أنكروا فضله وفضائله.. مع أنهم استيقنتها أنفسهم.. وبذلك خسروا

أنفسهم وأخسروا البشرية الكثير والكثير..ولم يضروا الإمام عليه السلام شيئاً حيث لايحتاج إليهم بل هم المحتاجون إليه وإلى آله الأطهار عليهم السلام .. فكان جحودهم واستنكارهم كجحود رجل يبصر الشمس ويحس بحرارتها في منتصف نهار صيفي.. فهل يضر الشمس جحوده؟ وهل تبطل أنوارها وحرارتها نكرانه..؟

لا.. ولكن حظه الذي جحد، وعقله الذي أنكر.. لا أقل من ذلك ولاأكثر، فالشمس شمس وإن أنكرها كل البشر، والبدر بدر وإن خافته واختبأت منه الخفافيش الغبية التي تخشى النور ولا مرتع لها إلا الليالي الحالكات، وهي غاطسة في الظلام والظلمات..

نعم إن أعداء الأمير عليه السلام طمسوا عقولهم، ودفنوا رؤوسهم في الوحل وليس الرمل كالنعامة.. خوفاً من النور، وتحاشياً للجهر بالحق، وتهرباً من الحرية الحقيقية التي تعني العبودية المطلقة لله وحده لا شريك ولا ندّ ولا شبيه ولا معبود باستحقاق العبودية إلا له.. سبحانه وجلت قدرته..

الأمانة والخلافة

الحديث عن الإمامة طويل وعميق، وهو مبحث كلامي عقائدي طال البحث حوله وكثرت النظريات والمقالات فيه، وذلك منذ وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومنا هذا..

فالأدلة على الإمامة نابعة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ومتجسدة في أقوال وأفعال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام نفسه، وفي زوجته المباركة العظيمة زهراء الرسول عليها السلام ومظلوميتها، وفي أبنائه

الميامين ذرية طه ويس (عليهم صلوات المصلين وتحيات رب العالمين).

فإن الحق والإمامة كانت وستبقى مع أمير المؤمنين علي عليه السلام وإن اختار البعض غيره ليحكمهم ويحكمونه في دنياهم.. إلا انهم صرحوا بأفضلية الإمام علي عليه السلام وأحقيته بالأمر وعادوا إليه جميعهم في العلم والدين وفهم الأحكام الشرعية وعلوم القرآن وقال قائلهم عشرات المرات: (لولا علي لهلك فلان..) وقال: (لا خلفت في قوم لست فيهم يا أبا الحسن..) وقال: (... في معضلة وليس لها أبو الحسن عليه السلام) وهذه الكلمات أصبحت كالمثل السائر عند العرب ..

نعم.. فما أكثر الأقوال والأفعال التي قوّمها الإمام علي عليه السلام حينما اضطروا للرجوع إليه، ولم يرجعوا لأحد سواه في القضايا الهامة والمعضلات الصعبة..

وهذا ـ بالحقيقة ـ اعتراف بإمامته لهم جميعاً.

وقد دار حديث بين عمر وابن عباس في أمر الخلافة والإمامة نشير إليه نصاً[١].

محاورة ابن عباس وعمر

قال عمر في حديث طويل دار بينه وبين ابن عباس: يا بن عباس، أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد صلى الله عليه وآله؟

---

(١) الكامل لابن الأثير: ج٣ ص٢٤ في آخر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣هـ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ص١٠٧ في سيرة عمر، وفي ط دار الفكر بيروت ج٣ ص١٥٦، وانظر أيضاً تاريخ الطبري ج٤ ص٢٢٣. ونقله في المراجعات ص ٢٩٢ ط دار العلوم بيروت، المراجعة ١٠٦.

قال ابن عباس: فكرهت أن أجيبه، فقلت له: إن لم أكن أدري فإن الأمير يدري؟

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً[١]، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت.

قال: فقلت: يا أمير! إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت.

قال: تكلم.

قال ابن عباس: أما قولك يا أمير! اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود.

وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإن الله عزّ وجلّ وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٢].

فقال عمر: هيهات يا بن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني.

قلت: ما هي يا أمير! فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً.

---

(١) البجح بالشيء: الفرح به.
(٢) سورة محمد، الآية: ٩.

قال: فقلت: أما قولك يا أمير! ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن آدم عليه السلام حسد ونحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لايزول.

قال: فقلت: مهلاً يا أمير! لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً... الحديث.

نعم كان هذا رأيهم وهذه آراءهم وعند الله الحساب وهناك يخسر المبطلون.. إلا أننا نقول: إن الإمامة هي مقام إلهي واستمرار للنبوة تماماً وما ينطبق على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويشترط فيه، ينطبق على الإمام عليه السلام ويشترط فيه.. ومن هنا لا يكون إلا بالنص من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر من الباري عزّ وجلّ.

نعم إن الإمامة: هي بالتعيين والتخصيص للشخص الخاص، يعينه الباري عزّ وجلّ ويبلغه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فهي ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1] و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[2].

والإمامة مقام سام ومعلوم مهما أنكره البشر أو تحايل عليه الناس لكي يضيعوه أو أخفوا مكانه ومكانته تلك، فهي مستند إلى قرار وأمر شرعي سماوي إلهي مقدس.

أما ما أسموه بالخلافة ـ أو الحكومة الدنيوية ـ فهي قد تكون بالاستيلاء والقهر والغلبة وقوة السيف، كما حدث بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

وحالها حال الانقلابات العسكرية في أيامنا هذه، فالقوي بالسلاح أو الذكي الداهية يبادر في غفلة من البشر وسهوة من الأيام ليستغل الفرصة ويسرق الحكم ليقول عن نفسه إنه أصبح حاكماً. فهذا النوع من الخلافة والحكومة لا تستند عادة إلا على ضجيج وعجيج الناس الهمج الرعاع وأصحاب المصالح المادية ليس إلا، ولا ترى مستنداً شرعياً لها إلا السيف!

نعم كثيراً ما يكون القليل وربما الأقل من القليل هم أصحاب الحق، فإنه قد ينتشر الباطل ويطغى، ويقل الحق ويضعف لفترة معينة، ولكن الله سيرسل صوت الحق وينصر أهله، ويدحر الباطل ويهدم أركانه، ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾[1].

وهذا هو الصراع الأبدي بين الحق والباطل... بين الخير والشر.. بين إبليس والأنبياء..

والإمام هو الإمام مهما كرّت الأيام وتصرمت، ومهما تباعدت الأوقات وتقلبت، فهو كالشمس في كل زمان ومكان.. وهو كالرسول صلى الله عليه وآله وسلم أعظم وأعلى وأجل من أي مخلوق خلق..

وفي حديث عن الإمام الثامن من الآل الكرام عليهم السلام الرضا عليه السلام الغريب عن الأهل والأوطان، نقتطف من كلامه زهرات ونتنسم منه عبقات رحمانية نورانية.. قال عليه السلام:

«هل تعرفون قدر الإمامة، ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم..؟

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

إن الإمامة أجلّ قدراً، وأعظم شأناً، وأعلى مكاناً، وأمنع جانباً، وأبعد غوراً، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالونها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم..

إن الإمامة خصّ الله عزّ وجلّ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة، مرتبة ثالثة وفضيلة شرّفه الله بها..

فمن أين يختار هؤلاء الجهال..؟

إن الإمامة منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء..

إن الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ وخلافة الرسل، ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين عليهما السلام.

إن الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا وعز المؤمنين..

إن الإمامة رأس الإسلام النامي، وفرعه السامي..

بالإمام عليه السلام تمام الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف..

الإمام.. يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة..

الإمام.. كالشمس الطالعة للعالم، وهي في الأفق بحيث لا تناله الأيدي والأبصار.

الإمام.. البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى والبيداء القفار ولجج البحار.

الإمام.. الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، والمنجي من الردى.

الإمام.. النار على البقاع الحارة لمن اصطلى، والدليل على المسالك، من فارقه فهالك.

الإمام.. السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة.

الإمام.. الأمين الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشقيق، ومفزع العباد في الداهية.

الإمام.. أمين الله في أرضه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، الداعي إلى الله، والذاب عن حرم الله..

الإمام.. المطهّر من الذنوب، المبرّأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، نظام الدين، وعز المسلمين، وغيظ المارقين، وبوار الكافرين.

الإمام.. واحد دهره، لا يدانيه أحد، ولا يعادله عدل، ولا يوجد له بديل، ولا له مثيل ولا نظير.. مخصوص بالفضل، كله من غير طلب منه ولااكتساب، بل اختصاص من المتفضل الوهّاب.

فمن ذا يبلغ معرفة الإمام؟ ويمكنه اختياره ؟..

هيهات.. هيهات.. ضلت العقول، وتاهت الحلوم، وحارت

الألباب، وحسرت العيون، وتصاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت العلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباب، وكلّت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعيت البلغاء، عن وصف شأن من شأنه عليه السلام، أو فضيلة من فضائله، فأقرت بالعجز والتقصير..

وكيف يوصف أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه..؟

لا وكيف؟ وأنى، وهو بحيث النجم من أيدي المتناولين ووصف الواصفين..؟

فأين الاختيار من هذا..؟

وأين العقول عن هذا..؟

وأين يوجد مثل هذا..؟

ظنوا أن ذلك يوجد في غير آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كذبتهم والله أنفسهم، ومنّتهم الباطل، فارتقوا مرتقىً صعباً، وحصناً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامة الإمام بعقول حائرة، بائرة، ناقصة، وآراء مضلّة، فلم يزدادوا منه إلا بعداً، قاتلهم الله أنى يؤفكون؟.

لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلوا ضلالاً بعيداً.. ووقعوا في الحيرة، إذ تركوا الإمام عليه السلام من غير بصيرة، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم من السبيل، وكانوا مستبصرين.. رغبوا عن اختيار الله، واختيار رسوله إلى اختيارهم.. والقرآن يناديهم: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٨.

فكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وراع لا ينكل، معدن القدس والطهارة، والنسك والزهادة، والعلم والعبادة.. مخصوص بدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو نسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو حسب، في البيت من قريش، والذروة من هاشم، والعترة من آل الرسول، والرضا من الله..

شرف الأشراف والفرع من عبد مناف، تام العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض الطاعة، قائم بأمر الله، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله..»[1].

هذا ما نعتقده بالإمامة والإمام، فهي مقام بالتخصيص والتعيين والتنصيص من رب البرايا، العالم بالبلايا والمنايا، ولا دخل ولا شأن لبني البشر في أي شأن من شؤونها إلا الطاعة والامتثال لأوامرها وقيادتها الرشيدة..

وأما الانتخاب والاختيار والشورى والديمقراطية وكل الكلمات والمصطلحات قديمها وحديثها تبقى بعيدة كل البعد عن معنى الإمامة ومبناها ـ كما في النبوة ـ لأنها من تعيين الله عزّ وجلّ، وهذه الكلمات تكون فيما اختياره بيد الناس..

قالوا عنه الكثير

قالوا عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الكثير، وهذه الأقوال انطلقت من انبهار في شخصية الإمام، لا سيما ما كان ينطلق وينطق من ألسنة الكتّاب غير المؤمنين من أي طائفة أو دين أو ملة كانت.. وراح علماؤنا

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص٢٢٦.

يتناقلونها، ويفتخرون بها أن قال الكاتب فلان عن الإمام عليه السلام :

إنه.. شهيد عظمته على سبيل المثال..

أو إنه عليه السلام شخصية ولدت قبل أوانها وزمانها..

أو إنه الدر والذهب المصفى..

إلى غير ذلك من الأقوال الجميلة في سبكها ومعناها.

إلا أن الإمام عليه السلام كان أكبر من الزمان والمكان، فهو يحيط بالجميع بإذن الله تعالى، لأنها جميعاً واقعة تحت ولايته التكوينية، ولا يحويه شيء أو يحيط بكنهه أو معرفة حقيقته أحد إلا الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فقط..

والإمام علي عليه السلام موجود بسيرته العطرة في كل لحظة وفي كل أوان.. وفي كل اتجاه أو مجال من مجالات الحياة، فهو لسان الميزان، بل هو الميزان لأنه هو الحق.. والحق يدور معه كيفما دار أو اتجه.. فأينما يكون حق وباطل، وخير وشر، ونور وظلمات، فهو عليه السلام الحق والخير والنور، فكان عليه السلام شهيد الحق وهو بالتالي شهيد الله وشاهد على أعمال العباد دائماً وأبداً..

والإمام علي عليه السلام هو الحق المبين.. وليس الدر والذهب المصفى إلا مجازاً ومن باب ضيق التعبير! فأي در وأي ذهب، فهي فلزات ومعادن.. وذاك علي عليه السلام أعلى وأجلّ من كل من علا، إلا خالقه وابن عمه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ..

فما من كتاب تطرق إلى تاريخ الإسلام بل تاريخ الإنسانية والعدالة والحقيقة.. إلا ويذكر فيه فضائل من عظيم فضائله عليه السلام ـ وكم من كتاب

يختص بالفضائل ـ ولم يكتب أحد ولم يوضع كاتب ولا أديب في الفضائل إلا كان الأمير عليه السلام في رأس قائمة الفضائل تلك. فالأمير عليه السلام فضيلة وما بعدها فضيلة، وكل الفضائل منه تستقى، وكل الفضلاء من نبعه ترتوي، ومن هطل غيثه تنتشي. والحديث طويل وجميل، والمقام عظيم وجليل، إلا أن علينا الاختصار رعاية للمقام..

الشهادة المفجعة

الشهادة: مقام وفضل ونور إلهي يعطيه لأصحاب المراتب العالية من المؤمنين، فكان الأجدر بأمير المؤمنين وإمامهم عليه السلام أن يكون شهيداً؟

والمفجعة: لأنها فجعت لها السماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن، فما من مؤمن من الإنس أو الجن أو الملائكة إلا وقد فجع باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد عن ابن عباس رحمه الله أنه قال: (بكت السماء دماً على علي عليه السلام ثلاثة أيام)[1].

والشهادة محررة: لأنها حررت الإمام عليه السلام من الدنيا ومصاعبها، فقال عليه السلام حين ضربه اللعين: (فزت ورب الكعبة)[2]، فالفوز كان بالشهادة في محراب العبادة في مسجد الكوفة المبارك..

فولادته عليه السلام كانت في جوف الكعبة المشرفة، وشهادته كانت في محراب الكوفة المقدسة بمسيل دمائه الطاهرة على ترابها..

وكان ذلك في صبيحة يوم ١٩ من شهر الله شهر رمضان المبارك،

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢ ص٣٤٦، عنه (كلمة الأصحاب) ج٢ ص١٣٣ للشهيد الشيرازي.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص٢ ب٩٩ ح٤.

حيث كمن لـه أشقى الأولين والآخرين ابن ملجم المرادي (لعنه الله) وعندما أخذ الإمام عليه السلام بنافلة الفجر ضربه بسيفه المسموم على قرنه الشريف، فخضب لحيته الشريفة من دمه الطاهر، كما أخبره ابن عمه الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وانتقل الإمام عليه السلام إلى جوار ربه بعد يومين من تلك الحادثة.. أي في ليلة ٢١ من شهر رمضان المبارك سنة ٤٠ للهجرة المباركة ..

فسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً ليكون حامل لواء الحمد، وساقي الحوض، وقسيم الجنة والنار..

كلمة

أمير المؤمنين

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

المجلد الأول

آية الله الشهيد

السيد حسن الحسيني الشيرازي

(قدس سره)

إلـهيات

إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر[1]

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ الْبَكَالِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ عليه السلام بِالْكُوفَةِ وهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ، نَصَبَهَا لـه جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الْمَخْزُومِيُّ، وعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ، وحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ، وفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لِيفٍ، وكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةٌ مِن أثَرِ السجُود، فَقَالَ عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ الْخَلْقِ، وعَوَاقِبُ الأَمْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ، ونَيِّرِ بُرْهَانِهِ، ونَوَامِي فَضْلِهِ وامْتِنَانِهِ، حَمْداً يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً، ولِشُكْرِهِ أَدَاءً، وإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّباً، ولِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِباً، ونَسْتَعِينُ بِهِ اسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ لـه بِالطَّوْلِ، مُذْعِنٍ لـه بِالْعَمَلِ والْقَوْلِ.

ونُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً، وأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً، وخَنَعَ لـه مُذْعِناً، وأَخْلَصَ لـه مُوَحِّداً، وعَظَّمَهُ مُمَجِّداً، ولَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِداً.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٢، وبحار الأنوار: ج٤ ص٣١٣ ـ ٣١٥ ب٤ ح٤٠.

لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكاً، ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثاً هَالِكاً، ولَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ ولَا زَمَانٌ، ولَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ ولَا نُقْصَانٌ، بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ، والْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ.

السماوات بلا عمد

فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ، دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ ولَا مُبْطِئَاتٍ، ولَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لـه بِالرُّبُوبِيَّةِ، وإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ، لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ، ولَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ، ولَا مَصْعَداً لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ، والْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ.

جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَاماً، يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الأَقْطَارِ، لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا، ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، ولَا اسْتَطَاعَتْ جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ، أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَاوَاتِ مِنْ تَلأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ، ولَا لَيْلٍ سَاجٍ، فِي بِقَاعِ الأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ، ولَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ، ومَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ، ومَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ، ومَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ، تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الأَنْوَاءِ، وانْهِطَالُ السَّمَاءِ، ويَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ ومَقَرَّهَا، ومَسْحَبَ الذَّرَّةِ ومَجَرَّهَا، ومَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا، ومَا تَحْمِلُ الأُنْثَى فِي بَطْنِهَا.

الكائن قبل كل شيء

والْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ، أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ، لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ، ولَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ، ولَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ، ولَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ، ولَا يَنْظُرُ بِعَيْنٍ، ولَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ، ولَا يُوصَفُ بِالأَزْوَاجِ، ولَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ ولَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ، ولَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ.

الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيماً، وأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيماً، بِلَا جَوَارِحَ ولَا أَدَوَاتٍ، ولَا نُطْقٍ ولَا لَهَوَاتٍ.

بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ، فَصِفْ جِبْرِيلَ ومِيكَائِيلَ، وجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، فِي حُجُرَاتِ الْقُدُسِ مُرْجَحِنِّينَ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ، أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ.

فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ، ذَوُو الْهَيْئَاتِ والأَدَوَاتِ، ومَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ، وأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ.

لا شيء أقرب من الله تعالى(١)

ومن كلام لأمير المؤمنين علي عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الأُمُورِ، ودَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ، وامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ، فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ، ولَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم٤٩، وأعلام الدين: ص٦٣ ومن خطبة له في هذا المعنى.

سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلا شَيْءَ أعلَى مِنْهُ، وقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلا اسْتِعْلاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، ولَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ.

لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ، ولَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ له أَعْلامُ الْوُجُودِ، عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ، والْجَاحِدُونَ له عُلُوّاً كَبِيراً.

المعروف من غير رؤية[1]

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، والْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً، إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، ولَا حُجُبٌ ذَاتُ إِرْتَاجٍ، ولا لَيْلٌ دَاجٍ، ولا بَحْرٌ سَاجٍ، ولَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ، ولَا فَجٌّ ذُو اعْوِجَاجٍ، ولا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ، ولَا خَلْقٌ ذُو اعْتِمَادٍ، ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ ووَارِثُهُ، وإِلَهُ الْخَلْقِ ورَازِقُهُ، والشَّمْسُ والْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ، يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ، ويُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ.

قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ، وأَحْصَى آثَارَهُمْ وأَعْمَالَهُمْ، وعَدَدَ أَنْفاسِهِمْ، وخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ، ومَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّمِيرِ، ومُسْتَقَرَّهُمْ ومُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ والظُّهُورِ، إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ الْغَايَاتُ.

هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، واتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٩٠، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٣٠٧ ـ ٣٠٨ ب١٤ ح١٠.

لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ، قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ، ومُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ، ومُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ، وغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، ومَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، ومَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ.

أول الدين معرفته(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام يذكر فيه ابتداء خلق السماء والأرض:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، ولَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ، ولَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، ولَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ، الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ، ولَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ، ولَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ، ولَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ، فَطَرَ الْخَلائِقَ بِقُدْرَتِهِ، ونَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ، ووَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ.

أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ، وكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلاصُ لَهُ، وكَمَالُ الإِخْلاصِ لـه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ، لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ، وشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ.

فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، ومَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ، ومَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ، ومَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ، ومَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ، ومَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ، ومَنْ حَدَّه فَقَدْ عَدَّهُ، ومَنْ قَالَ: «فِيمَ؟» فَقَدْ ضَمَّنَهُ، ومَنْ قَالَ: «عَلى مَ؟» فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١. والاحتجاج: ج١ ص١٩٨ ـ ٢٠٨ احتجاجه عليه السلام فيما يتعلق بتوحيد الله. ودستور معالم الحكم للقاضي القضاعي: ص١٥٣ ـ ١٥٤ ب٧ من كلامه في التوحيد.

كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ، مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ، وغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ، فَاعِلٌ لا بِمَعْنَى الْحَركَاتِ والآلَةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، ولَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ.

كيفية خلق العالم

أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً، وابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجالَهَا، ولَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا، ولَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا، ولَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا، أَحَالَ الأَشْيَاءَ لأَوْقَاتِهَا، ولأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا، وغَرَّزَ غَرَائِزَهَا، وأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا، عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وانْتِهَائِهَا، عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وأَحْنَائِهَا.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الأَجْوَاءِ، وشَقَّ الأَرْجَاءِ، وسَكَائِكَ الْهَوَاءِ، فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلاطِماً تَيَّارُهُ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ، حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ، والزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ، فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ، وسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ، وقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ، الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ، والْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا دَفِيقٌ.

ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا، وأَدَامَ مُرَبَّهَا، وأَعْصَفَ مَجْرَاهَا، وأَبْعَدَ مَنْشَأَهَا، فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ، وإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ، فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ، وعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ، تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ، وسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ، ورَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ، وجَوٍّ مُنْفَهِقٍ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبعَ سَمَاوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً، وعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً، وسَمْكاً مَرْفُوعاً بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا، ولَا

دِسَارٍ يَنْظِمُهَا، ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ، وأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً، وقَمَراً مُنِيراً، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ، وسَقْفٍ سَائِرٍ، ورَقِيمٍ مَائِرٍ.

أطوار الملائكة

ثُمَّ فَتَقَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا، فَمَلأَهُنَّ أَطْوَاراً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، مِنْهُمْ سُجُودٌ لَايَرْكَعُونَ، ورُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ، ومُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ، لَايَغْشَاهُمْ نَوْمُ الْعُيُونِ، ولَا سَهْوُ الْعُقُولِ، ولَا فَتْرَةُ الأَبْدَانِ، ولَا غَفْلَةُ النِّسْيَانِ.

ومِنْهُمْ: أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ، وأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ، ومُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وأَمْرِهِ.

ومِنْهُمُ: الْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ، والسَّدَنَةُ لأَبْوَابِ جِنَانِهِ.

ومِنْهُمُ: الثَّابِتَةُ فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، والْمَارِقَةُ مِنَ السَّمَاءِ الْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ، والْخَارِجَةُ مِنَ الأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ، والْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ الْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ، نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ، مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ، مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ، وأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ، لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ، وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ، ولَا يَحُدُّونَهُ بِالأَمَاكِنِ، ولَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ.

كلمة التوحيد مرضاة الرحمن(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام بعد انصرافه من صفين:

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَاماً لِنِعْمَتِهِ، واسْتِسْلَاماً لِعِزَّتِهِ، واسْتِعْصَاماً مِنْ مَعْصِيَتِهِ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٣٣٣ ـ ٣٣٤ ب١٤ ح١٩.

وأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ، إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ، ولاَ يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ، ولَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ، فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ، وأَفْضَلُ مَا خُزِنَ.

وأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً مُمْتَحَناً إِخْلَاصُهَا، مُعْتَقَداً مُصَاصُهَا، نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَداً مَا أَبْقَانَا، ونَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا، فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الإِيمَانِ، وفَاتِحَةُ الإِحْسَانِ، ومَرْضَاةُ الرَّحْمَنِ، ومَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللَّامِعِ، والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ، واحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ، وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ، والنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ، وتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ، واخْتَلَفَ النَّجْرُ، وتَشَتَّتَ الأَمْرُ، وضَاقَ الْمَخْرَجُ، وعَمِيَ الْمَصْدَرُ.

فَالْهُدَى خَامِلٌ، والْعَمَى شَامِلٌ، عُصِيَ الرَّحْمَنُ، ونُصِرَ الشَّيْطَانُ، وخُذِلَ الإِيمَانُ، فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ، وتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ، ودَرَسَتْ سُبُلُهُ، وعَفَتْ شُرُكُهُ، أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ، فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ، ووَرَدُوا مَنَاهِلَهُ، سَارَتْ بِهِمْ أَعْلَامُهُ، وقَامَ لِوَاؤُهُ، فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا، ووَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا، وقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا، فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ، وشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ.

كل عزيز غيره ذليل[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ تَسْبِقْ لـه حَالٌ حَالاً ، فَيَكُونَ أَوَّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً ، ويَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً.

كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرَهُ قَلِيلٌ، وكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرَهُ ذَلِيلٌ، وكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرَهُ ضَعِيفٌ، وكُلُّ مَالِكٍ غَيْرَهُ مَمْلُوكٌ، وكُلُّ عَالِمٍ غَيْرَهُ مُتَعَلِّمٌ، وكُلُّ قَادِرٍ غَيْرَهُ يَقْدِرُ ويَعْجَزُ، وكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرَهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الأَصْوَاتِ، ويُصِمُّهُ كَبِيرُهَا ، ويَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا ، وكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرَهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيِّ الأَلْوَانِ، ولَطِيفِ الأَجْسَامِ، وكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرَهُ بَاطِنٌ، وكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرَهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ.

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، ولَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ، ولَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ، ولَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ، ولَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ، ولَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ، وعِبَادٌ دَاخِرُونَ.

لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالُ: هُوَ فِيها كَائِنٌ.

ولَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالُ: هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ.

لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ، ولَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ، ولَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ، ولَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وقَدَّرَ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ، وعِلْمٌ مُحْكَمٌ، وأَمْرٌ مُبْرَمٌ، الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ، الْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٦٥، وإرشاد القلوب: ج١ ص١٦٧ ـ ١٦٨ ب٥٠، وأعلام الدين: ص٦٥ ومن كلام له في هذا المعنى.

المنان بفوائد النعم(١)

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بـ (خطبة الأشباح) وهي من جلائل خطبه عليه السلام.

وكان سأله سائل أن يصف الله حتى كأنه يراه عياناً فقال:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُهُ الْمَنْعُ والْجُمُودُ، ولَا يُكْدِيهِ الإِعْطَاءُ والْجُودُ، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وهُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وعَوَائِدِ الْمَزِيدِ والْقِسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ، ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ، وقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ، ونَهَجَ سَبِيلَ الرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ، والطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، ولَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ.

الأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ له قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، والآخِرُ الَّذِي لَيْسَ له بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، والرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ، ولَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ.

ولَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ، مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ والْعِقْيَانِ، ونُثَارَةِ الدُّرِّ وحَصِيدِ الْمَرْجَانِ، مَا أَثَّرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، ولَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، ولَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الأَنْعَامِ مَا لا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الأَنَامِ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، ولَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٩١، وأعلام الدين: ص١٠٣ أبيات في التوحيد.

القرآن وصفات الله تعالى

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ، فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، واسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، ومَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ، مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، ولَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وأَئِمَّةِ الْهُدَى عليهم السلام أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ.

صفات الراسخين في العلم

واعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً.

فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، ولَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

الخلق دليل الخالق

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وغَمَضَتْ مَدَاخِلُ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ، مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، ولَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ.

الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، ولا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ، مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، واعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمِسَاكِ قُوَّتِهِ، مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لـه عَلَى مَعْرِفَتِهِ، فَظَهَرَتِ الْبَدَائِعُ الَّتِي أَحْدَثَتْهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ، وأَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، ودَلِيلاً عَلَيْهِ، وإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ، ودَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

لم يعرفك من شبّهك

فَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، ولَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ، وكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[(١)].

كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، ونَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وجَزَّؤُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ، وأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، والْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، ونَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وإِنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ، فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً، ولَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً.

---

(١) سورة الشعراء، الآيتان: ٩٧ ـ ٩٨.

أذعن كل شيء لطاعته

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، ودَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، ووَجَّهَهُ لِوجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، ولَمْ يَقْصُرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، ولَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، فَكَيْفَ وإِنَّمَا صَدَرَتِ الأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ؟.

الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا، ولا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، ولَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، ولَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، ولَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّئِ، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْيَاءِ أَوَدَهَا، ونَهَجَ حُدُودَهَا، ولَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا، ووَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وفَرَّقَهَا أَجْنَاساً مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ والأَقْدَارِ، والْغَرَائِزِ والْهَيْئَاتِ، بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا، وفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وابْتَدَعَهَا.

السماء وآياتها

وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، ولَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا، وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ، والصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ، حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا.

ونَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى أَشْرَاجِهَا، وفَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا، وأَقَامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا، وأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تُمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ، وأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ، وجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا،

وأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ بِهِمَا، ولِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ والْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا.

ثُمَّ عَلَّقَ فِي جَوِّهَا فَلَكَهَا، ونَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا، ومَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، ورَمَى مُسْتَرِقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا، وأَجْرَاهَا عَلَى أَذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، ومَسِيرِ سَائِرِهَا، وهُبُوطِهَا وصُعُودِهَا، ونُحُوسِهَا وسُعُودِهَا.

سكان السماوات

ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لإِسْكَانِ سَمَاوَاتِهِ، وعِمَارَةِ الصَّفِيحِ الأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ، ومَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وحَشَا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا، وبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ الْقُدُسِ، وسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وَسُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، ووَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ الأَسْمَاعُ، سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا.

وأَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ، ﴿أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ﴾[1] تُسَبِّحُ جَلَالَ عِزَّتِهِ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، ولَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ، ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ، وعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَاباً ذُلُلاً إِلَى تَمَاجِيدِهِ، ونَصَبَ لَهُمْ مَنَاراً وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ.

لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُؤْصِرَاتُ الآثَامِ، ولَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي والأَيَّامِ، ولَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ، ولَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، ولَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، ولَا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ، ومَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، ولَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ.

أصناف الملائكة

ومِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدُّلَّحِ، وفِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ، وفِي قَتْرَةِ الظَّلَامِ الأَبْهَمِ.

ومِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ.

قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، ووَصَلَتْ حَقَائِقُ الإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وقَطَعَهُمُ الإِيقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَهِ إِلَيْهِ، ولَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وتَمَكَّنَتْ

مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطَّاعَةِ اعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، ولَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، ولَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، ولَمْ يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ، ولَا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكَانَةُ الإِجْلالِ نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ، ولَمْ تَجْرِ الْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، ولَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، ولَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ أَسَلاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، ولَا مَلَكَتْهُمُ الأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ، ولَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ، ولَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ، ولَا تَعْدُو عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلادَةُ الْغَفَلاتِ، ولَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ.

لم يختلفوا في ربهم

قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ، ويَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، ولَا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِه، إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ ومَخَافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ، ولَمْ تَأْسِرْهُمُ الأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ، ولَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ، ولَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَجَلِهِمْ، ولَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، ولَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، ولَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ، ولَا تَشَعَّبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ، ولَااقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ، لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ ولَا عُدُولٌ، ولَا وَنًى ولَا فُتُورٌ.

ولَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعُ إِهَابٍ إِلَّا وعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ، يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

ابتداء خلق الأرض

كَبَسَ الأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ، ولُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا، وتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا، وتَرْغُو زَبَداً كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا، وسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا، وذَلَّ مُسْتَخْذِياً إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا، فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِياً مَقْهُوراً، وفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً.

وسَكَنَتِ الأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، ورَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ واعْتِلَائِهِ، وشُمُوخِ أَنْفِهِ وسُمُوِّ غُلَوَائِهِ، وكَعَمَتْهُ عَلَى كِظَّةِ جَرْيَتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ، ولَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ.

فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا، فَجَّرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا، وفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وأَخَادِيدِهَا، وعَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ مِنْ صَيَاخِيدِهَا، فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا، وتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا، ورُكُوبِهَا أَعْنَاقَ سُهُولِ الأَرَضِينَ وجَرَاثِيمِهَا، وفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وبَيْنَهَا، وأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا، وأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا.

حكمة الأمطار

ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، ولَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا، وتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا، أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وتَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، والْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ، ولَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ، ومُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ، أَرْسَلَهُ سَحّاً مُتَدَارِكاً، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ، ودُفَعَ شَآبِيبِهِ.

فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بِوَانَيْهَا، وبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الأَرْضِ النَّبَاتَ، ومِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الأَعْشَابَ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا، وتَزْدَهِي بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وجَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغاً لِلأَنَامِ، ورِزْقاً لِلأَنْعَامِ، وخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا، وأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا...

الأرزاق والآجال

وقَدَّرَ الأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وقَلَّلَهَا، وقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ والسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا، لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا ومَعْسُورِهَا، ولِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ والصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وفَقِيرِهَا.

ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا، وبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا، وبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا.

وخَلَقَ الآجَالَ فَأَطَالَهَا وقَصَّرَهَا، وقَدَّمَهَا وأَخَّرَهَا، ووَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وجَعَلَهُ خَالِجاً لِأَشْطَانِهَا، وقَاطِعاً لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا.

عالم السر والنجوى

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، ونَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ، وخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ، وعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، ومَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ، ومَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ، ومَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الأَسْمَاعِ، ومَصَايِفُ الذَّرِّ، ومَشَاتِي الْهَوَامِّ، ورَجْعِ الْحَنِينِ مِنَ الْمُولَهَاتِ، وهَمْسِ الأَقْدَامِ، ومُنْفَسَحِ الثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ الأَكْمَامِ، ومُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ الْجِبَالِ وأَوْدِيَتِهَا، ومُخْتَبَأِ الْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الأَشْجَارِ وأَلْحِيَتِهَا، ومَغْرِزِ الأَوْرَاقِ مِنَ الأَفْنَانِ، ومَحَطِّ الأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الأَصْلَابِ، ونَاشِئَةِ الْغُيُومِ ومُتَلَاحِمِهَا، ودُرُورِ قَطْرِ السَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا، ومَا تَسْفِي الأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وتَعْفُو الأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَعَوْمِ بَنَاتِ الأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرِّمَالِ، ومُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الأَجْنِحَةِ بِذُرَا شَنَاخِيبِ الْجِبَالِ، وتَغْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ الأَوْكَارِ، ومَا أَوْعَبَتْهُ الأَصْدَافُ، وحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ الْبِحَارِ، ومَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ، أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، ومَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ، وسُبُحَاتُ النُّورِ، وأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ، ورَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ، وتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، ومُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، ومِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، ومَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ ومُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وسُلَالَةٍ.

لَمْ يَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ كُلْفَةٌ، ولَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، ولَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الأُمُورِ وتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ ولَا فَتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ، ووَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

كل شيء قائم به(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام:

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ، وكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ، غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ، وعِزُّ كُلِّ ذَلِيلٍ، وقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، ومَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ، مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، ومَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، ومَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ، ومَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ.

لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ، بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ.

لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، ولَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ، ولَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، ولَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ، ولَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، ولَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، ولَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، ولَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ.

كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ، أَنْتَ الأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ عَنْكَ، وأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ...

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٠٩، وبحار الأنوار: ج٤ ص٣١٧ ـ ٣١٨ ب٤ ح٤٣.

الملائكة المقربون

. . . مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَاوَاتِكَ، ورَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ، هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ.

لَمْ يَسْكُنُوا الأَصْلَابَ، ولَمْ يُضَمَّنُوا الأَرْحَامَ، ولَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، ولَمْ يَتَشَعَّبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ.

وإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، ومَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، واسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ، لَحَقَّرُوا أَعْمَالَهُمْ، ولَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، ولَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، ولَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ.

الأزلي الأبدي[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ، وبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ، لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ، ولَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ والْمَصْنُوعِ، والْحَادِّ والْمَحْدُودِ، والرَّبِّ والْمَرْبُوبِ.

الأَحَدِ بِلَا تَأْوِيلِ عَدَدٍ، والْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ ونَصَبٍ، والسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ، والْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ، والشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ، والْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ، والظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، والْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ.

بَانَ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا، والْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ، والرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٢، والكافي: ج١ ص١٣٩ ـ ١٤٠ باب جوامع التوحيد ح٥.

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ، ومَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، ومَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، ومَنْ قَالَ: كَيْفَ؟ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، ومَنْ قَالَ: أَيْنَ؟ فَقَدْ حَيَّزَهُ.

عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ، ورَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ، وقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ.

هو الملك الحق(١)

ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقة الخفاش:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، ورَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ.

هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، أَحَقُّ وأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ.

لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً، ولَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً.

خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ، ولَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ، ولَا مَعُونَةِ مُعِينٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ ولَمْ يُدَافِعْ، وانْقَادَ ولَمْ يُنَازِعْ.

من لطائف الصنعة

وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، وعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ، مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِي هَذِهِ الْخَفَافِيشِ، الَّتِي يَقْبِضُهَا الضِّيَاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ، ويَبْسُطُهَا الظَّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ، وكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وتَتَّصِلُ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ الشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا، ورَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ الْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا، وأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ الذَّهَابِ فِي بُلَجِ ائْتِلَاقِهَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٥، وبحار الأنوار: ج٦١ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ ب١٣ ح٢.

فَهِيَ مُسْدَلَةُ الْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحِدَاقِهَا، وجَاعِلَةُ اللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي الْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا، فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ، ولَا تَمْتَنِعُ مِنَ الْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ.

فَإِذَا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا، ودَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى الضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا، أَطْبَقَتِ الأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا، وَتَبَلَّغَتْ بِمَ اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الْمَعَاشِ فِي ظُلَمِ لَيَالِيهَا.

الطائر اللبون

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً ومَعَاشاً، والنَّهَارَ سَكَناً وقَرَاراً، وجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا، تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الطَّيَرَانِ، كَأَنَّهَا شَظَايَا الآذَانِ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ ولَا قَصَبٍ، إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً، لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا، ولَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا، تَطِيرُ ووَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا، لَاجِئٌ إِلَيْهَا، يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ، ويَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ، لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ، ويَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ، ويَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ، ومَصَالِحَ نَفْسِهِ، فَسُبْحَانَ الْبَارِئِ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ.

مخلوقاته دلائل وحدانيته(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس:

ابْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ ومَوَاتٍ، وسَاكِنٍ وذِي حَرَكَاتٍ، وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ الْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ، وعَظِيمِ قُدْرَتِهِ، مَا انْقَادَتْ لـه

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٥)، وبحار الأنوار: ج٦٢ ص٣٠ ـ ٣٢ ب٤ ح١.

الْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ، ومَسَلِّمَةً لَهُ، ونَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، ومَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ الأَطْيَارِ، الَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ الأَرْضِ، وخُرُوقَ فِجَاجِهَا، ورَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا، مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ التَّسْخِيرِ، ومُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ الْجَوِّ الْمُنْفَسِحِ، والْفَضَاءِ الْمُنْفَرِجِ.

كَوَّنَهَا بَعْدَ إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، ورَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ، ومَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي الْهَوَاءِ خُفُوفاً، وجَعَلَهُ يَدِفُّ دَفِيفاً، ونَسَقَهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا فِي الأَصَابِيغِ بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ، ودَقِيقِ صَنْعَتِهِ، فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ، ومِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلافِ مَا صُبِغَ بِهِ.

أعجب الطيور خلقاً

وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً الطَّاوُوسُ الَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، ونَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ.

إِذَا دَرَجَ إِلَى الأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَى رَأْسِهِ، كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ، عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ، يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، ويَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ، يُفْضِي كَإِفْضَاءِ الدِّيَكَةِ، ويَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ الْفُحُولِ الْمُغْتَلِمَةِ لِلضِّرَابِ.

أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مُعَايَنَةٍ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفٍ إِسْنَادُهُ، ولَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ، وأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ، سِوَى الدَّمْعِ

الْمُنْبَجِسِ، لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ.

تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ، ومَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وشُمُوسِهِ، خَالِصَ الْعِقْيَانِ، وفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ.

فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الأَرْضُ قُلْتَ: جَنْيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ.

وإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ، أَوْ كَمُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ.

وإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ، فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ.

يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ، ويَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وجَنَاحَيْهِ، فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ، وأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ.

قوائم الطاووس

فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ، زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، ويَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ، وقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ.

ولَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ.

ومَخْرَجُ عَنُقِهِ كَالإِبْرِيقِ، ومَغْرِزُهَا إِلَى حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَّةِ، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ، وكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ، إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ، وشِدَّةِ بَرِيقِهِ، أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ.

ومَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ، فِي لَوْنِ الأُقْحُوَانِ أَبْيَضُ يَقَقٌ، فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ.

وقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ، وعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وبَرِيقِهِ، وبَصِيصِ دِيبَاجِهِ ورَوْنَقِهِ.

فَهُوَ كَالأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ، لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ، ولَا شُمُوسُ قَيْظٍ.

وقَدْ يَنْحَسِرُ مِنْ رِيشِهِ، ويَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى، ويَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ الأَغْصَانِ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ، لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، ولَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ.

خالق المجرة والذرة

وإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ، أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً، فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هَذَا عَمَائِقُ الْفِطَنِ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ الْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ الْوَاصِفِينَ، وأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ الأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، والأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ؟

فَسُبْحَانَ الَّذِي بَهَرَ الْعُقُولَ عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ، فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، ومُؤَلَّفاً مُلَوَّناً، وأَعْجَزَ الأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ.

وسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ الذَّرَّةِ والْهَمَجَةِ، إِلَى مَا فَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ الْحِيتَانِ والْفِيَلَةِ، ووَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ، مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ الرُّوحَ

إِلَّا وجَعَلَ الْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، والْفَنَاءَ غَايَتَهُ[١].

دل حدوث خلقه على قدمه[٢]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ، ولَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ، ولَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ، ولَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ.

الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ، وبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ، وبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ.

الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ، وارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ، وقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ، وعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ.

مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ، وبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ، وبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ.

وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ، ودَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ، وقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ.

تَتَلَقَّاهُ الأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ، وتَشْهَدُ لـه الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ، لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا، وبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا، وإِلَيْهَا حَاكَمَهَا.

---

(١) قال السيد الرضي: يَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ الأر: كناية عن النكاح، يقال: أرّ المرأة يؤرها أي: نكحها. وقوله: كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ، عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ القلع: شراع السفينة، وداريّ: منسوب إلى دارين، وهي بلدة على البحر، يجلب منها الطيب، وعنجه: أيّ عطفه، يقال: عنجت الناقة . كنصرت . أعنَجها عنجاً، إذا عطفتُها، والنوتي: الملّاح. وقوله: ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ أراد: جانبي جفونه، والضفّتان: الجانبان. وقوله: وفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ الفلذ جمع فلذة وهي: القطعة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٨٥، والاحتجاج: ج١ ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله، وأعلام الدين: ص٦٧ ومن خطبة له في التوحيد.

لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً، ولا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيداً، بَلْ كَبُرَ شَأْناً، وعَظُمَ سُلْطَاناً.

الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الصَّفِيُّ، وأَمِينُهُ الرَّضِيُّ صلى الله عليه وآله، أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ الْحُجَجِ، وظُهُورِ الْفَلَجِ، وإِيضَاحِ الْمَنْهَجِ.

فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ صَادِعاً بِهَا، وحَمَلَ عَلَى الْمَحَجَّةِ دَالّاً عَلَيْهَا، وأَقَامَ أَعْلَامَ الِاهْتِدَاءِ، ومَنَارَ الضِّيَاءِ، وجَعَلَ أَمْرَاسَ الإِسْلَامِ مَتِينَةً، وعُرَى الإِيمَانِ وَثِيقَةً.

فاطر النملة والنخلة

منها في صفة خلق أصناف من الحيوانات:

وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ولَكِنِ الْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ، والْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ.

أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ، وفَلَقَ لـه السَّمْعَ والْبَصَرَ، وسَوَّى لـه الْعَظْمَ والْبَشَرَ؟

انْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، ولَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، ولَا بِمُسْتَدْرَكِ الْفِكَرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وفِي وِرْدِهَا لِصَدَرِهَا؟

مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا، لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ، ولا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ، ولَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ، والْحَجَرِ الْجَامِسِ.

ولَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، فِي عُلْوِهَا وسُفْلِهَا، ومَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا، ومَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً، ولَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً.

فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعِنْهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ.

ولَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ، هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ، وغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ، ومَا الْجَلِيلُ واللَّطِيفُ، والثَّقِيلُ والْخَفِيفُ، والْقَوِيُّ والضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ.

إله الأرض والسماء

وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ والْهَوَاءُ، والرِّيَاحُ والْمَاءُ، فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ والْقَمَرِ، والنَّبَاتِ والشَّجَرِ، والْمَاءِ والْحَجَرِ، واخْتِلَافِ هَذَا اللَّيْلِ والنَّهَارِ، وتَفَجُّرِ هَذِهِ الْبِحَارِ، وكَثْرَةِ هَذِهِ الْجِبَالِ، وطُولِ هَذِهِ الْقِلَالِ، وتَفَرُّقِ هَذِهِ اللُّغَاتِ، والأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ.

فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَنْكَرَ الْمُقَدِّرَ، وجَحَدَ الْمُدَبِّرَ، زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ، ولَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ، ولَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا، ولَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا، وهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ؟ أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ؟

خلقة الجراد

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ فِي الْجَرَادَةِ، إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ، وأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ، وجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ، وفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ، وجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ، ونَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ، ومِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ.

يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ، ولَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا، وتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا، وخَلْقُهَا كُلُّه لَا يُكَوِّنُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً.

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لـه مَنْ فِي السَّماوَاتِ والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً، ويُعَفِّرُ لـه خَدّاً ووَجْهاً، ويُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وضَعْفاً، ويُعْطِي لـه الْقِيَادَ رَهْبَةً وخَوْفاً.

فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ، أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا والنَّفَسِ، وأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى والْيَبَسِ، وقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا، وأَحْصَى أَجْنَاسَهَا، فَهَذَا غُرَابٌ وهَذَا عُقَابٌ، وهَذَا حَمَامٌ وهَذَا نَعَامٌ، دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ، وكَفَلَ لـه بِرِزْقِهِ.

وأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا، وعَدَّدَ قِسَمَهَا، فَبَلَّ الأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا، وأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا.

أمره قضاء وحكمة[١]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وحِكْمَةٌ، ورِضَاهُ أَمَانٌ ورَحْمَةٌ، يَقْضِي بِعِلْمٍ، ويَعْفُو بِحِلْمٍ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٠).

اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وتُعْطِي، وعَلَى مَا تُعَافِي وتَبْتَلِي، حَمْداً يَكُونُ أَرْضَى الْحَمْدِ لَكَ، وأَحَبَّ الْحَمْدِ إِلَيْكَ، وأَفْضَلَ الْحَمْدِ عِنْدَكَ، حَمْداً يَمْلأُ مَا خَلَقْتَ، ويَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ، حَمْداً لَا يُحْجَبُ عَنْكَ، ولَا يُقْصُرُ دُونَكَ، حَمْداً لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ، ولَا يَفْنَى مَدَدُهُ.

فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ ولَا نَوْمٌ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ، ولَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ، أَدْرَكْتَ الأَبْصَارَ، وأَحْصَيْتَ الأَعْمَالَ، وأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي والأَقْدَامِ.

ومَا الَّذِي نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، ونَعْجَبُ لـه مِنْ قُدْرَتِكَ، ونَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ، ومَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ، وقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ، وانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ، وحَالَتْ سُتُورُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وبَيْنَهُ أَعْظَمُ.

فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وأَعْمَلَ فِكْرَهُ، لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ؟ وكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ؟ وكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمَاوَاتِكَ؟ وكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ؟ رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيراً، وعَقْلُهُ مَبْهُوراً، وسَمْعُهُ وَالِهاً، وفِكْرُهُ حَائِراً.

الرجاء الصادق

يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللَّهَ، كَذَبَ والْعَظِيمِ، مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ، وكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، وكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ، إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ، يَرْجُو اللَّهَ فِي الْكَبِيرِ، ويَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي

الرَّبَّ، فَمَا بَالُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ بِهِ لِعِبَادِهِ؟

أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لـه كَاذِباً، أَوْ تَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً؟

وكَذَلِكَ إنْ هُوَ خَافَ عَبْداً مِنْ عَبِيدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْداً، وخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِ ضِمَاراً ووَعْداً.

وكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ، وكَبُرَ مَوْقِعُهَا مِنْ قَلْبِهِ، آثَرَهَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا، وصَارَ عَبْداً لَهَا.

قريب لا بالتصاق، وبعيد لا بافتراق(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ الْعِبَادِ، وسَاطِحِ الْمِهَادِ، ومُسِيلِ الْوِهَادِ، ومُخْصِبِ النِّجَادِ، لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، ولَا لِأَزَلِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ، هُوَ الأَوَّلُ ولَمْ يَزَلْ، والْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ، خَرَّتْ لـه الْجِبَاهُ، ووَحَّدَتْهُ الشِّفَاهُ.

حَدَّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا، إِبَانَةً لـه مِنْ شَبَهِهَا، لَا تُقَدِّرُهُ الأَوْهَامُ بِالْحُدُودِ والْحَرَكَاتِ، ولَا بِالْجَوَارِحِ والأَدَوَاتِ.

لَا يُقَالُ لَهُ: «مَتَى؟» ولَا يُضْرَبُ لـه أَمَدٌ بـ «حَتَّى».

الظَّاهِرُ لا يُقَالُ: «مِمَّ؟» والْبَاطِنُ لَا يُقَالُ: «فِيمَ؟».

لَا شَبَحٌ فَيُتَقَضَّى، ولَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٦٣، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ ب١٤ ح١١.

لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالْتِصَاقٍ، ولَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ.

ولَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ، ولَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، ولَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ، ولَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ، فِي لَيْلٍ دَاجٍ، ولَا غَسَقٍ سَاجٍ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ، وتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ، فِي الأُفُولِ والْكُرُورِ، وتَقَلُّبِ الأَزْمنَةِ والدُّهُورِ، مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ، وإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ.

قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ ومُدَّةٍ، وكُلِّ إِحْصَاءٍ وعِدَّةٍ، تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ، ونِهَايَاتِ الأَقْطَارِ، وتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ، وتَمَكُّنِ الأَمَاكِنِ، فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ، وإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ.

ابتدع الخلق ابتداعاً

لَمْ يَخْلُقِ الأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ، ولَا مِنْ أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ، وصَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ، ولَا له بِطَاعَةِ شَيْءٍ انْتِفَاعٌ، عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ، كَعِلْمِهِ بِالأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ، وعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرَضِينَ السُّفْلَى.

المحدود لا يتناول اللامحدود

أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ، والْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ، فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، ومُضَاعَفَاتِ الأَسْتَارِ، بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ، ووُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، وأَجَلٍ مَقْسُومٍ، تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً، لَا تُحِيرُ دُعَاءً، ولَا تَسْمَعُ نِدَاءً، ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا، ولَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا.

فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ، وعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وإِرَادَتِكَ؟

هَيْهَاتَ إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ والأَدَوَاتِ، فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ، ومِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ.

تدركه القلوب ولا تدركه الأبصار(١)

ومن كلام له عليه السلام وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السلام: أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: وكيف تراه؟ فقال:

لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، ولَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، قَرِيبٌ مِنَ الأَشْيَاءِ غَيْرَ مُلَابِسٍ، بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرَ مُبَايِنٍ، مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ، صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ، لَطِيفٌ لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ، كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ، بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ، رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ، تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ، وتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ.

ما وحده من كيفه(٢)

ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة.

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ، ولَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ، ولَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ، ولَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وتَوَهَّمَهُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٩)، والكافي: ج١ ص١٣٨ ـ ١٣٩ باب جوامع التوحيد ح٤، والأمالي للصدوق: ص٣٤١ ـ ٣٤٥ المجلس ٥٥ ح١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٦)، وأعلام الدين: ص٥٩ ـ ٦٢ ومن خطبة له في التوحيد.

كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ، وكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ.

فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ، مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ، غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ.

لَا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ، ولَا تَرْفِدُهُ الأَدَوَاتُ، سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ، والْعَدَمَ وُجُودُهُ، والِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ.

بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لا مَشْعَرَ لَهُ، وبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لا ضِدَّ لَهُ، وبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ.

ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ، والْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ، والْجُمُودَ بِالْبَلَلِ، والْحَرُورَ بِالصَّرَدِ، مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا، مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا، مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا، مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا.

لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ، ولَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ، وإِنَّمَا تَحُدُّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا، وتُشِيرُ الآلَاتُ إِلَى نَظَائِرِهَا، مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» الْقِدْمِيَّةَ، وحَمَتْهَا «قَدُ» الأَزَلِيَّةَ، وجَنَّبَتْهَا «لَوْلَا» التَّكْمِلَةَ، بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ، وبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ.

لا يجري عليه السكون والحركة

ولَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ والْحَرَكَةُ، وكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، ويَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، ويَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ؟

إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ، ولَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، ولَامْتَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ، ولَكَانَ لـه وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لـه أَمَامٌ، ولالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ.

وإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ، ولَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ.

وخَرَجَ بِسُلْطَانِ الامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ، الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، ولَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الأُفُولُ، لَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً، ولَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً، جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الأَبْنَاءِ، وَطَهُرَ عَنْ مُلامَسَةِ النِّسَاءِ.

لَا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ، ولَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ، ولَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ، ولَا تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسَّهُ.

لا يتغير بحال

وَلَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ، وَلَا يَتَبَدَّلُ فِي الأَحْوَالِ، وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ، وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالأَبْعَاضِ.

وَلَا يُقَالُ له حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ، وَلَا أَنَّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ، لَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ، ولَا عَنْهَا بِخَارِجٍ.

يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ، يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ، يَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ، يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ، يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[1]، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ، وَإِنَّمَا كَلامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ وَمَثَّلَهُ، لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً.

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.

لا تجري عليه الصفات المحدَثات

لَا يُقَالُ: كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ، وَلَا له عَلَيْهَا فَضْلٌ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدِئُ وَالْبَدِيعُ.

خَلَقَ الْخَلائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ.

وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ، وَحَصَّنَهَا مِنَ الأَوَدِ وَالِاعْوِجَاجِ، وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالِانْفِرَاجِ.

أَرْسَى أَوْتَادَهَا، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا، وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا، فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ.

هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلالِهِ وَعِزَّتِهِ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ.

خَضَعَتِ الأَشْيَاءُ لَهُ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ، لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْءَ له فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ له فَيُسَاوِيَه، هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

فناء الدنيا بعد ابتداعها

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا، بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا، وَكَيْفَ وَلَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا، مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا، عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا، وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً، عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ، مُقِرَّةً بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا، مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

عندما تنتهي الدنيا

وَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا، كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا، بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ، عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلكَ الآجَالُ وَالأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السُّنُونَ وَالسَّاعَاتُ، فَلَا شَيْءَ إِلَّا اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ، بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا، وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الِامْتِنَاعِ لَدَامَ بَقَاؤُهَا.

لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ، وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ، وَلَا لِخَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ، وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا.

ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا، لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ، وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ.

لَا يُمِلُّهُ طُولُ بَقَائِهَا، فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا، وَلكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ.

إعادة الحياة بعد إفنائها

ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ، وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ، وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ.

من بدائع صنعته تعالى(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

وَكَانَ مِنِ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ، وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ، أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ، الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ، يَبَساً جَامِداً، ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً، فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَاوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا، فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ.

وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا الأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ، وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ، قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ، وَجَبَلَ جَلامِيدَهَا، وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا، فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا، وَأَلْزَمَهَا قَرَارَاتِهَا،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١١)، وبحار الأنوار: ج٥٤ ص٣٨ ـ ٣٩ ب١ تحقيق في دفع شبهة ح١٥.

فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ.

فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا، وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا، فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا، وَجَعَلَهَا لِلأَرْضِ عِمَاداً، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً، فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا، أَوْ تَسِيخَ بِحِمْلِهَا، أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا.

فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا، فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً، فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي، تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ، وتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾[1].

الواحد لا من عدد[2]

ومن خطبة له عليه السلام:

الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء كوّن ما قد كان، مستشهد بحدوث الأشياء على أزليّته، وبما وسمها به من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه.

لم يَخلُ منه مكان فيُدرك بأينيّته، ولا له شَبَه مثال فيوصف بكيفيّته، ولم يغب عن علمه شيء فيُعلم بحيثيّته.

مباين لجميع ما أحدث في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٢٦.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٥ ـ ١٤، عن كتاب التوحيد للصدوق: ص٥١ ح٢٥، ورواه عيون أخبار الرضا: ص٩٩ ح١٥، وقريباً منه العقد الفريد: ج٤ ص١٣٠.

من تصريف الذوات، وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرّف الحالات، محرَّم على بوارع ثاقبات الفِطَن تحديده، وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه، وعلى غوائص سابحات الفِطر تصويره.

لا تَحويه الأماكن لعظمته، ولا تَذرعه المقادير لجلاله، ولا تَقطعه المقاييس لكبريائه. ممتنع عن الأوهام أن تكتنهه، وعن الأفهام أن تستغرقه، وعن الأذهان أن تمثّله.

وقد يئستْ من استنباط الإحاطة به طوامح العقول، ونضبتْ عن الإشارة إليه بالاكتناه بحار العلوم، ورجعت بالصغر عن السموّ إلى وصف قدرته لطائف الخصوم.

واحد لا من عدد، ودائم لا بأمد، وقائم لا بعمد.

ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ولا كالأشياء فيقع عليه الصفات.

خضعت لــه الصعاب

قد ضلّت العقول في تيّار أمواج إدراكه، وتحيّرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليّته، وحَصِرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته، وغرقت الأذهان في لجج أفلاك ملكوته.

مقتدر بالآلاء، وممتنع بالكبرياء، ومتملّك على الأشياء، فلا دهر يُخلِقه، ولا وصف يحيط به.

قد خضعت لـه رواتب الصعاب في محلّ تُخوم قرارها، وأذعنت لـه رواصن الأسباب في منتهى شواهق أقطارها.

مستشهِد بكلّية الأجناس على ربوبيّته، وبعجزها على قدرته، وبفطورها على قدمته، وبزوالها على بقائه، فلا محيص عن إدراكه إيّاها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها.

كفى بإتقان الصنع لها آيةً، وبمركَّب الطبع عليها دَلالةً، وبحدوث الفطر عليها قَدَمةً، وبإحكام الصنعة لها عبرة، فلا إليه حدّ منسوب، ولا له مثل مضروب، ولا شيء عنه محجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً.

توحّد بصنع الأشياء[1]

ومن خطبة له عليه السلام :

الحمد لله الذي توحّد بصنع الأشياء، وفطر أجناس البرايا، على غير مثال سبقه في إنشائها، ولا إعانة معين على ابتداعها، بل ابتدعها بلطف قدرته، فامتثلت خاضعة لمشيئته، مستحدَثة لأمره، فهو الواحد الأحد، الدائم بغير حدّ ولا أمد، ولا زوال ولا نفاد، وكذلك لم يزل ولا يزال.

لا تغيّره الأزمنة، ولا تحيط به الأمكنة، ولا تبلغ صفاته الألسنة، ولا تأخذه نوم ولا سنة.

لم تره العيون فتُخبِر عنه برؤيته، ولم تهجُم عليه العقول فيتوهم كنه صفته، ولم تَدرِ كيف هو إلّا بما أخبر عن نفسه، ليس لقضائه مردّ، ولا لقوله مكذّب.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٦٣ ـ ٨١ الخطبة رقم (١٧)، عن إثبات الوصية: ص١٠٠ ـ ١٠٥.

ابتدع الأشياء بغير تفكير، وخلقها بلا ظهير ولا وزير، فطرها بقدرته، وصيّرها بمشيئته، وصاغ أشباحها، وبرأ أرواحها، واستنبط أجناسها، خلقاً مبروءاً مذروءاً في أقطار السماوات والأرضين، لم يأت بشيء على غير ما أراد أن يأتي عليه، ليُريَ عباده آيات جلاله وآلائه، فسبحانه لا إله إلّا هو الواحد القهّار، وصلّى الله على محمّد وآله وسلّم تسليماً...

أنت الفعّال لما تشاء

فتعاليت يا ربّ، لقد لطف علمك، وجلّت قدرتك عن التقسير، إلّا بما دعوت إليه من الإقرار بربوبيّتك.

وأشهد أنّ الأعين لا تدركك، والأوهام لا تلحقك، والعقول لا تصفك، والمكان لا يسعك، وكيف يسع المكان من خلقه وكان قبله؟ أم كيف تدركه الأوهام ولا نهاية له ولا غاية؟!! وكيف يكون له نهاية وغاية، وهو الذي ابتدأ الغايات والنهايات؟ أم كيف تدركه العقول، ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراكه؟ وكيف يكون لها سبيل إلى إدراكه وقد لطف عن المحاسّة والمجاسّة؟ وكيف لا يلطف عنهما من لا ينتقل عن حال إلى حال، وقد جعل الانتقال نقصاً وزوالاً؟.

فسبحانك ملأتَ كلّ شيء، وباينتَ كلّ شيء، فأنت الذي لا يُفقِدك شيء، وأنت الفعّال لما تشاء تباركت وتعاليت.

يا من كلّ مدرَك من خلقه، وكلّ محدود من صنعه، أنت الذي لا تستغني عنك المكان والزّمان، ولا نعرفك إلّا بانفرادك بالوحدانيّة والقدرة...

الإقرار بعظمة الله

فأنا يا الهي وسيّدي ومولاي المقرّ لك، بأنّك الفرد الذي لا ينازَع ولا يغالَب، ولا يجادَل ولا يشارَك، سبحانك سبحانك لا إله إلّا أنت.

ما لعقلٍ مولود، وفهم معقود ـ مدحوٍّ من ظهر، مزيج بمحيض لحم وعلق، دُرء إلى فُضالة الحيض، وعُلالات الطعم، وشاركته الأسقام، والتحفت عليه الآلام، ولا يمتنع من قَيل، ولا يقدر على فعل، ضعيف التركيب والبُنية، ما له والاقتحام على قدرتك؟ والهجوم على إرادتك؟ وتفتيش ما لا يعلمه غيرك؟!.

بصائر كشفت عنها الأغطية

سبحانك أيّ عَين تَصب نورك، وترقى إلى ضياء قدرتك؟ وأيّ فهم يفهم ما دون ذلك؟ إلّا بصائر كشفت عنها الأغطية، وهتكت عنها الحجب العمِيّة، وفرقت أرواحها إلى أطراف أجنحة الأرواح، فتأملوا أنوار بهائك، ونظروا من مرتقى التربة إلى مستوى كبريائك، فسمّاهم أهل الملكوت زوّاراً، ودعاهم أهل الجبروت أغماراً!.

فسبحانك يا من ليس في البحار قطرات، ولا في متون الأرض جنات، ولا في رِتاج الرياح حركات، ولا في قلوب العباد خطرات، ولا في الأبصار لمحات، ولا على متون السحاب نفحات، إلّا وهي في قدرتك متحيّرات!

أمّا السماء فتُخبر عن عجائبك، وأمّا الأرض فتدلُّ على مدائحك، وأمّا الرياح فتنشر فوائدك، وأمّا السحاب فتهطِل مواهبك، وكلّ ذلك يحدّث بتحنُّنك، ويخبر أفهام العارفين بشفقتك.

هو كائن بلا كينونة[1]

جاء رجل من اليهود إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين، متى كان ربّنا عزّوجلّ؟ فقال له عليه السلام:

يا يهودي، لم يكن ربّنا جلّ وعز فكان، وإنّما يقال: متى كان لشيء لم يكن فكان، هو كائنٌ بلا كينونة، كائنٌ لم يزل، ليس له قبل، فهو القبل وقبل الغاية، انقطعت الغايات عنده، فهو غاية كلّ غاية.

لا حول ولا قوّة إلّا بالله ومعناها[2]

سأله رجل عن تفسير: لا حول ولا قوّة إلّا بالله؟ فقال عليه السلام في جوابه ما يلي:

تفسيرها: إنّا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك من دونه شيئاً، ولا نملك إلّا ما ملّكنا ممّا هو أملك به.

فمتى ملّكنا ما هو أملك به كلّفنا، ومتى أخذ منّه وضع عنّا ما كلّفنا.

إن الله عزّ اسمه أمرنا مختبراً، ونهانا تحذيراً، وأعطانا على قليل كثيراً.

لن يُطاع ربّنا مُكرهاً، ولن يُعصى مغلوباً.

هو السلام ودينه الإسلام[3]

ومن كلام له عليه السلام في جواب عبادة بن قيس الذي سأله عن الإيمان والإسلام.

---

(١) دستور معالم الحكم: ص١٠٩ ب٥ جوابه عن سؤال يهودي.
(٢) دستور معالم الحكم: ص١١٠ ب٥ جوابه في تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله.
(٣) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص١١٤ ـ ١١٩ ب٥ جوابه عن سؤال عباد بن قيس في الإيمان.

إن الله جلّ ثناؤه ابتدأ الأمور بعلمه فيها، واصطفى لنفسه ما شاء، واستخلص ما أحبّ.

فكان ما أحبّ: أنّه اختار الإسلام، فجعله ديناً لعباده، اشتقَّه من اسمه، لأنه السلام ودينه الإسلام، الذي ارتضاه لنفسه، فنحله من أحبّ من خلقه، ثمّ شرّفه فسهّل شرائعه لمن ورده، وعزّز أركانه على من حاربه، هيهات من أن يصطلمه مصطلم.

جعله عِزّاً لمن والاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن ائتمّ به، ونوراً لمن استضاء به، وبرهاناً لمن تمسّك به، وزينةً لمن تجلله، وعَوناً لمن انتحله، وشرفاً لمن عرفه، وحجّةً لمن نطق به، وشاهداً لمن خاصم به، وفُلجاً لمن حاجّ به، وعِلماً لمن وعاه، وفهماً لمن رواه، وحكماً لمن قضى به، ولبّاً لمن تدبره، ويقيناً لمن عقله، وفهماً لمن تفطنّ به، وعبرةً لمن اتّعظ به، وحبلاً وثيقاً لمن تعلّق به، ونجاةً لمن صدّق به، ومودّة لمن أصلح، وزلفى لمن اقترب، وراحةً لمن فوّض، ولباساً لمن اتّقى، وكيفيَّةً لمن آمن، وأمناً لمن أسلم، ورَوحاً للصادقين.

الإسلام اصل الحق

فالإسلام أصل الحق، والحقّ سبيل الهدى، وصَفقته الحسنى، ومأثَرته المجد، فهو أبلج المنهج، نيّر السراج، مشرق المنار، ذاكي المصباح، رفيع الغاية، يسير المسلك، جامع الحِيلة، قديم العِدّة، متنافس السَّبقة، أليم النقمة، قصد الصادقين، واضح البرهان، عظيم الشّان، كريم الفرسان.

فالإيمان منهاجه، والتقوى عُدّته، والصالحات مناره، والعفّة

مصابيحه، والمحبّون فُرسانه، والموت غايته، والدنيا مضماره، والقيامة حَلبته، والجنّة سبقته، والنار نقمته.

فمعتصم السعداء بالإيمان، وخذلان الأشقياء بالعصيان، من بعد إيجاب الحجّة عليهم بالبيان، إذا وضح لهم منار الحقّ، وسبيل الهدى، فتارك الحقّ مشوَّهة يوم التغابن خلقته، داحضة حجّته، عند فوز السعداء بالجنّة.

بين الإيمان والتقوى

فبالإيمان يُستدلّ على التقوى، وبالتّقوى يُرهب الموت، وبالموت تُختم الدنيا، وفي الدنيا تُحرز الآخرة، وفي القيامة تُزلف الجنّة، وبالجنّة تكون حسرة أهل النّار، وفي ذكر أهل النار موعظة أهل التقوى، والتقوى غاية لا يهلك من قصدها، ولا يندم من عمل بها، لأنّ بالتقوى فاز الفائزون، وبالمعصية خسر الخاسرون.

وليذكُر أهل التّقوى، فإن الخلق لا مقصر لهم في القيامة دون الوقوف بين يدي الحَكَم العدل، مُرقِلين في مضمارها نحو القصبة العليا، إلى الغاية القصوى، مهطعين بأعناقهم نحو داعيها، قد شخصوا من مستقرّ الأجداث والمقابر، إلى ضرورة الأبد لكل أهلها.

قد انقطعت بالأشقياء الأسباب، وأفضَوا إلى عذاب شديد العقاب، فلا كرّة لهم إلى دار الدنيا، وافتقروا من الخيرات، ولم يغن عنهم الذين آثروا طاعتهم على طاعة الكبير المتعال، وفاز السعداء بولاية الإيمان.

الإيمان وأركانه

فالإيمان ـ يا ابن قيس ـ على أربعة أركان: الصّبر، واليقين، والعدل، والجهاد.

والصّبر من ذلك على أربعة أركان: على الشوق، والشفقة، والزهد، والترقب، فمن اشتاق إلى الجنّة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النّار رجع عن الحرُمات، ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات، ومن ترقّب الموت سارع في الخيرات.

واليقين من ذلك على أربعة أركان: على تبصرةِ الفِطنة، وموعظة العِبرة، وتأويل الحكمة بتبيّن العبرة، ومن تَبيّن العبرة عرف السنّة، ومن عرف السنّة فكأنّما كان في الأولين، فاهتدى إلى التي هي أقوم.

والعدل من ذلك على أربعة أركان: على غامض الفهم، وغمرة العلم، وزهرة الحِكَم، وروضة الحُكْم، فمن فهم فسّر جُمل العِلم، ومن علم شرع غرائب الحِكَم، ومن شرع غرائب الحِكَم دلّته على معادن الحلم فلم يضلّ. من حلُم لم يفرّط في أمره، وعاش في النّاس حميداً.

والجهاد من ذلك على أربعة أركان: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شدّ ظهر المؤمنين، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضى ما عليه، ومن شَنِئ الفاسقين فقد غضب لله جلّ وعزّ، ومن غضب لله جلّ ثناؤه، لـه ذلك الإيمان يا ابن قيس ودعائمه وأركانه. أفهمت؟

قال: نعم، يا أمير المؤمنين، أرشدك الله فقد أرشدت.

هو الأول والآخر(١)

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ، وَلَا يَنَالُهُ حَدْسُ الْفِطَنِ، الأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لـه فَيَنْتَهِيَ، وَلَا آخِرَ لـه فَيَنْقَضِيَ.

هو الظاهر والباطن(٢)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ، وَالْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ.

هو العلي عن شَبَهِ المخلوقين(٣)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ، الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، وَالْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ، الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلَا ازْدِيَادٍ، وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الأُمُورِ، بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ.

الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ، وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالإِبْصَارِ، وَلَا عِلْمُهُ بِالإِخْبَارِ.

ما يحير مقل العقول(٤)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٤)، والكافي: ج١ ص١٣٤ ـ ١٣٦ باب جوامع التوحيد ح١، والتوحيد: ص٤١ ـ ٤٤ ب٢ ح٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٦)، وبحار الأنوار: ج١٦ ص٣٨٠ ب١١ ح٩٢.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٣).

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٥)، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٣١٦ ـ ٣١٧ ب١٤ ح١٥.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ، وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ، مَا حَيَّرَ مُقَلَ الْعُقُولِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ، عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَهَدَى إلى الرُّشْدِ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

إنه لم يخلقكم عبثاً

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً، عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ، فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ، فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ، وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ.

لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ، وَلَا يَنْقُصُهُ الْحِبَاءُ، وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ، وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ، وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ، وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ، وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ، وَلا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ، وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ، قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلَا فَدَنَا، وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ، وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ، لَمْ يَذْرَأِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ.

نبويات

آدم عليه السلام بين الماء والطين[1]

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الأَرْضِ وسَهْلِهَا، وعَذْبِهَا وسَبَخِهَا، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ، ولاَطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ، فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ ووُصُولٍ، وأَعْضَاءٍ وفُصُولٍ، أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ، وأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ، لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ، وأَمَدٍ مَعْلُومٍ.

ثُمَّ نَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ، فَمَثُلَتْ إِنْسَاناً ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا، وفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا، وجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا، وأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا، ومَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ والْبَاطِلِ، والأَذْوَاقِ والْمَشَامِّ، والأَلْوَانِ والأَجْنَاسِ، مَعْجُوناً بِطِينَةِ الأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ، والأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ، والأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ، والأَخْلاَطِ الْمُتَبَايِنَةِ، مِنَ الْحَرِّ والْبَرْدِ، والْبَلَّةِ والْجُمُودِ.

امتحان الملائكة بالسجود

واسْتَأْدَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْمَلاَئِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ، وعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ،

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١. والاحتجاج: ج١ ص١٩٨ ـ ٢٠٨ احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله. ودستور معالم الحكم للقاضي القضاعي: ص١٥٣ ـ ١٥٤ ب٧ من كلامه في التوحيد.

فِي الإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ، والْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾(١) اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ، وغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ، وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ، واسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ، واسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ، وإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ، فَقَالَ: ﴿... إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾(٢).

ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ عليه السلام دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عَيْشَهُ، وآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ، وحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وعَدَاوَتَه، فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ، ومُرَافَقَةِ الأَبْرَارِ، فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ، والْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ، واسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً، وبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً، ثُمَّ بَسَطَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لـه فِي تَوْبَتِهِ، ولَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، ووَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، وأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ، وتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ.

الأنبياء من ولد آدم عليه السلام

وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الأَنْدَادَ مَعَهُ، واجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، واقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ.

فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ، مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، ومِهَادٍ تَحْتَهُمْ

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٣٧ ـ ٣٨.

مَوْضُوعٍ، ومَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وآجَالٍ تُفْنِيهِمْ، وأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ، وأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ.

ولَمْ يُخْلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ، أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ، رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، ولَا كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ، مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لـه مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ، عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِ الْقُرُونُ، ومَضَتِ الدُّهُورُ، وسَلَفَتِ الآبَاءُ، وخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ.

النبي الخاتم صلى الله عليه وآله

إِلَى أَنْ بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّداً رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ، وإِتْمَامِ نُبُوَّتِهِ، مَأْخُوذاً عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ، كَرِيماً مِيلَادُهُ، وأَهْلُ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ، وطَرَائِقُ مُتَشَتِّتَةٌ، بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِخَلْقِهِ، أَوْ مُلْحِدٍ فِي اسْمِهِ، أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ، فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

ثُمَّ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله لِقَاءَهُ، ورَضِيَ لـه مَا عِنْدَهُ، وأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ الدُّنْيَا، ورَغِبَ بِهِ عَنْ مَقَامِ الْبَلْوَى، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيماً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

خليفتا الرسول صلى الله عليه وآله: الكتاب والعترة

وخَلَّفَ صلى الله عليه وآله فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلاً، بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، ولَا عَلَمٍ قَائِمٍ.

كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّناً حَلَالَهُ وحَرَامَهُ، وفَرَائِضَهُ وفَضَائِلَهُ، ونَاسِخَهُ ومَنْسُوخَهُ، ورُخَصَهُ وعَزَائِمَهُ، وخَاصَّهُ وعَامَّهُ، وعِبَرَهُ وأَمْثَالَهُ، ومُرْسَلَهُ

ومَحْدُودَهُ، ومُحْكَمَهُ ومُتَشَابِهَهُ، مُفَسِّراً مُجْمَلَهُ، ومُبَيِّناً غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقٍ فِي عِلْمِهِ، ومُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ، ومَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، ووَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، ومُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ، وزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، ومُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لـه غُفْرَانَهُ، وبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ، مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ.

البدء بآدم والختم بالخاتم عليهما السلام[1]

فَلَمَّا مَهدَ أَرْضَهُ، وأَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عليه السلام خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ، وجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ، وأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ، وأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ، والْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ.

فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ، مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ، لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، ولِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ.

ولَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ، ويَصِلُ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، ومُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ، قَرْناً فَقَرْناً، حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله حُجَّتُهُ، وبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ ونُذُرُهُ.

النبي صلى الله عليه وآله والدنيا[2]

من خطبه عليه السلام في ذكر النبي صلى الله عليه وآله :

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ٩١.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٠٩).

قَدْ حَقَّرَ صلى الله عليه وآله وسلم الدُّنْيَا وصَغَّرَهَا، وأَهْوَنَ بِهَا وهَوَّنَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَاراً، وبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَاراً، فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مَقَاماً.

بَلَّغَ صلى الله عليه وآله وسلم عَنْ رَبِّهِ مُعْذِراً، ونَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِراً، ودَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّراً، وخَوَّفَ مِنَ النَّارِ مُحَذِّراً.

هدف البعثة(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، ومِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، ولِيُقِرُّوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، ولِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ.

فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ، وكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ، واحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ.

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أسوة(٢)

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَافٍ لَكَ فِي الأُسْوَةِ، ودَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ الدُّنْيَا وعَيْبِهَا، وكَثْرَةِ مَخَازِيهَا ومَسَاوِيهَا، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٧)، والكافي: ج٨ص٣٨٦ ـ ٣٩١ خطبة لأمير المؤمنين ح٥٨٦.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٦٠.

ووُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا، وفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا، وزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا.

موسى الكليم عليه السلام

وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ اللَّهِ عليه السلام حَيْثُ يَقُولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾(١)، واللَّهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزاً يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ الأَرْضِ، ولَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ الْبَقْلِ تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ، لِهُزَالِهِ وتَشَذُّبِ لَحْمِهِ.

قارئ أهل الجنة

وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ عليه السلام صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ، وقَارِئِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ، ويَقُولُ لِجُلَسَائِهِ: أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا؟ ويَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا.

عيسى المسيح عليه السلام

وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عليه السلام فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ، ويَلْبَسُ الْخَشِنَ، ويَأْكُلُ الْجَشِبَ، وكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ، وسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ، وظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الأَرْضِ ومَغَارِبَهَا، وفَاكِهَتُهُ ورَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ، ولَمْ تَكُنْ لـه زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ، ولَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ، ولَا مَالٌ يَلْفِتُهُ، ولَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ، دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ، وخَادِمُهُ يَدَاهُ.

أحب العباد إلى الله

فَتَأَسَّ بِنَبِيِّكَ الأَطْيَبِ الأَطْهَرِ صلى الله عليه وآله فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى، وعَزَاءً

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٤.

لِمَنْ تَعَزَّى، وأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ، والْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ.

قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، ولَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً، أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا كَشْحاً، وأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْناً، عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئاً فَأَبْغَضَهُ، وحَقَّرَ شَيْئاً فَحَقَّرَهُ، وصَغَّرَ شَيْئاً فَصَغَّرَهُ.

ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللَّهُ ورَسُولُهُ، وتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللَّهُ ورَسُولُهُ، لَكَفَى بِهِ شِقَاقاً لِلَّهِ، ومُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللَّهِ.

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ولَقَدْ كَانَ صلى الله عليه وآله وسلم يَأْكُلُ عَلَى الأَرْضِ، ويَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ، ويَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، ويَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، ويَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ، ويُرْدِفُ خَلْفَهُ.

ويَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ، فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ: يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وزَخَارِفَهَا.

فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ، وأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشاً، ولَا يَعْتَقِدَهَا قَرَاراً، ولَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَاماً، فَأَخْرَجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وأَشْخَصَهَا عَنِ الْقَلْبِ، وغَيَّبَهَا عَنِ الْبَصَرِ، وكَذَلِكَ مَنْ أَبْغَضَ شَيْئاً أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ.

التأسي وإلّا فالهلكة

ولَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِئِ الدُّنْيَا وعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ، وزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ.

فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللَّهُ مُحَمَّداً بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟

فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ واللَّهِ الْعَظِيمِ بِالإِفْكِ الْعَظِيمِ.

وإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا لَهُ، وزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ.

فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ، واقْتَصَّ أَثَرَهُ، ووَلَجَ مَوْلِجَهُ، وإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّداً ﷺ عَلَماً لِلسَّاعَةِ، ومُبَشِّراً بِالْجَنَّةِ، ومُنْذِراً بِالْعُقُوبَةِ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيصاً، ووَرَدَ الآخِرَةَ سَلِيماً، لَمْ يَضَعْ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ، وأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ.

فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ اللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ، سَلَفاً نَتَّبِعُهُ، وقَائِداً نَطَأُ عَقِبَهُ.

واللَّهِ لَقَدْ رَقَّعْتُ مِدْرَعَتِي هَذِهِ، حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا، ولَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ: أَلَا تَنْبِذُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اغْرُبْ عَنِّي، فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى.

مع سليمان بن داود عليه السلام[(١)]

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ.

فَلَوْ أَنَّ أَحداً يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّماً، أَوْ لِدَفْعِ الْمَوْتِ سَبِيلاً، لَكَانَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عليه السلام، الَّذِي سُخِّرَ لـه مُلْكُ الْجِنِّ والإِنْسِ، مَعَ النُّبُوَّةِ وعَظِيمِ الزُّلْفَةِ، فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ، واسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ،

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٨٢).

بِنِبَالِ الْمَوْتِ، وأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، والْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، ووَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ.

وإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً، أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ؟

أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ؟

أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ، الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ، وأَطْفَؤُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ، وأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ؟

أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ، وهَزَمُوا بِالأُلُوفِ، وعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ، ومَدَّنُوا الْمَدَائِنَ؟.

إعلان الشهادتين(١)

وأشهد أن لا إله إلّا الله إيماناً بربوبيّته، وخلافاً على من أنكره.

وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله المقَرّ في خير مستقَرّ، المتناسخ من أكارم الأصلاب، ومطهرات الأرحام، المخرَج من أكرم المعادن مَحْتِداً، وأفضل المنابت منبتاً، من أمنع ذُروة وأعزّ أرومة، من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه، الطيّبة العود، المعتدلة العمود، الباسقة الفروع، الناضرة الغُصون، اليانعة الثّمار، الكريمة الحِشاء.

في كرم غُرست، وفي حرم أنبتت، وفيه تشعّبت وأثمرت، وعزّت وامتنعت، فسمت به وشمخت، حتى أكرمه الله عزّوجلّ بالروح الأمين،

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٥ ـ ١٤، عن كتاب التوحيد للصدوق: ص٥١ ح٢٥، ورواه عيون أخبار الرضا: ص٩٩ ح١٥، وقريباً منه العقد الفريد: ج٤ ص١٣٠.

والنور المبين، والكتاب المستبين، فسخّر لـه البراق، وصافحته الملائكة، وأرعب به الأباليس، وهدم به الأصنام، والآلهة المعبودة دونه.

سنّته صلى الله عليه وآله وسلم الرشد

سنّته الرشد، وسيرته العدل، وحكمه الحقّ، صدع بما أمره ربّه، وبلّغ ما حمله، حتّى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في الخلق أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، حتّى خَلَصت لـه الوحدانيّة، وصفت لـه الربوبيّة، وأظهر الله بالتوحيد حجّته، وأعلى بالإسلام درجته، واختار الله عزّ وجلّ لنبيّه ما عنده من الرَّوح والدرجة والوسيلة، صلى الله عليه عدد ما صلّى على أنبيائه المرسلين، وآله الطاهرين.

فضل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم(١)

اللّهم فمن جهل فضل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فإنّي مقرّ بأنّك ما سطحت أرضاً، ولا برأت خلقاً، حتّى أحكمت خلقه وأتقنته، من نور سبقت به السُّلالة، وأنشأتَ آدم لـه جِرماً، فأودعته منه قراراً مكيناً، ومستودعاً مأموناً، وأعذته من الشيطان، وحجبته عن الزيادة والنقصان، وجعلت لـه الشرف الذي به تسامى عبادك، فأيّ بشر كان مثل آدم ـ فيما سقت الأخبار وعرفتنا كتبك ـ في عطاياك؟ أسجدت لـه ملائكتك، وعرّفته ما حجبتَ عنهم من علمك، إذ تناهت به قدرتك، وتمّت فيه مشيّتك، دعاك بما أكننت فيه، فأجبته إجابة القبول.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٦٢ ـ ٨١ الخطبة رقم (١٧)، عن إثبات الوصية: ص١٠٠ ـ ١٠٥.

عبر الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة

فلمّا أذنت ـ اللّهم ـ في انتقال محمّد صلى الله عليه وآله من صلب آدم، ألفّت بينه وبين زَوج خلقتها لـه سَكَناً، ووصلت لهما به سبباً، فنقلته من بينهما إلى « شيث » اختياراً لـه بعلمك، فأيّ بشر كان اختصاصه برسالتك؟

ثم نقلته إلى « أُنوش » فكان خلف أبيه في قبول كرامتك، واحتمال رسالتك.

ثمّ قدّرت نقل النور إلى « قينان » وألحقته في الحُظوة بالسابقين، وفي المِنحة بالباقين.

ثمّ جعلت « مَهلائيل » رابع أجرامه، قدّرت أن تودعها من خلقك في من لـه سهم النبوّة وشرف الأبوّة، حتّى تناهى تدبيرك إلى «أخنُوخ» (أي: إدريس، على نبينا وآله وعليه السلام) فكان أول من جعلت من الأجرام ناقلاً للرسالة، وحاملاً لأعباء النبوّة.

اصطفاء إدريس(١)

سبحانك ما أبين اصطفاؤك لإدريس على سائر خلقك من العالمين، لقد جعلت لـه دليلاً من كتابك إذ سمّيته ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾(٢)، ورفعته ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾(٣)، وأنعمت عليه نعمةً حَرَمتها على خلقك ـ إلّا من نقلت إليه نور الهاشميّين ـ وجعلته أول منذر من أنبيائك.

ثم أذنت في انتقال نور محمّد صلى الله عليه وآله ـ من القابلين لـه «مَتُوشِلْخ»

(١) راجع بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٥ ب١.
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٦.
(٣) سورة مريم، الآية: ٥٧.

و«لَمَك» المفيضين به ـ إلى نوح، فأيّ آلائك يا ربّ لم تولّه، وأيّ خواصّ كرامتك لم تعطه.

ثمّ أذنت في إيداعه «ساماً» دون «حام» و «يافث» فضربت لهما بسهم الذلّة، وجعلت ما أخرجت بينهما لنسل «سامٍ» خَوَلاً.

اتّخاذ إبراهيم خليلاً

ثمّ تتابع عليه القابلون ـ من حامل إلى حامل، ومستَودع إلى مستَودع من عترته، في فترات الدهور ـ حتى قبله «تارُخ» أطهر الأجسام، وأشرف الأجرام، ونقلته منه إلى إبراهيم، فأسعدت بذلك جَدَّه، وأعظمت به مجده، وقدّسته في الأصفياء، وسمّيته دون رسلك خليلاً.

ثمّ خصصت به إسماعيل دون سائر ولد إبراهيم عليه السلام، فأنطقت لسانه بالعربيّة التي فضّلتها على سائر اللغات، فلم تزل تنقله [محظوراً عن الانتقال في كلّ مقذوف] من أب إلى أب، حتّى قبله «كَنانَة» عن «مُدرَكة» فأخذت له مجامع الكرامة، ومواطن السلامة، وأحللت له البلدة التي قضيت فيها مخرجه.

ألف عين لأجل عين

فسبحانك لا إله إلّا أنت، أيّ صلب أسكنته فيه لم ترفع ذكره؟ وأيّ نبيّ بشّر به فلم تتقدّم في الأسماء اسمه؟ وأيّ ساحة من الأرض سلكت به لم يظهر بها قدسه؟ حتّى الكعبة التي جعلت منها مخرجه، غرست أساسها بياقوتة من جنّات عدن، وأمرت الملكَين المطهّرَيْن: جبرئيل وميكائيل، فتوسطا بها أرضك، وسمّيتها بيتك، واتخذتها معبداً لنبيّك، وحرمت وحشها وشجرها، وقدّست حجرها ومدرها!، وجعلتها مسلكاً

لوحيك، ومنسكاً لخلقك، ومأمَنَ المأكولات، وحجاباً للآكلات العاديات، تُحرّم على أنفسها إذعار من أجرتَ.

ثمّ أذنت للنظر في قبوله وإيداعه مالكاً، ثمّ من بعد مالك فِهراً، ثمّ خصصت من ولد فهر غالباً، وجعلت كل من تنقله إليه أميناً لحرمك، حتّى إذا قبله لؤيّ بن غالب آن لـه حركة تقديس، فلم تودعه من بعده صلباً إلّا جلّلته نوراً تأنس به الأبصار، وتطمئنّ إليه القلوب.

الاعتراف بما أنزل الله(١)

وأنا المقرّ بما أنزلتَ على ألسن أصفيائك.

وإن أبانا آدم عليه السلام عند اعتدال نفسه، وفراغك من خلقه، رفع وجهه فواجهه من عرشك رسم فيه: « لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله ». فقال: إلهي من المقرون باسمك؟ فقلت: هو محمّد خير من أخرجته من صلبك، واصطفيته بعدك من ولدك، ولولاه ما خلقتك!

هاشم من خيرة الآباء

فسبحانك لك العلم النافذ، والقَدَر الغالب، لم تزل الآباء تحمله، والأصلاب تنقله، كلّما أنزلته ساحة صُلب، جعلت لـه فيها صُنعاً، يحثّ العقول على طاعته، ويدعوها إلى متابعته، حتّى نقلته إلى هاشم، خير آبائه بعد إسماعيلَ، فأيّ أب وجدّ، ووالد أسرة، ومجتمع عترة، ومخرج طُهر، ومرجع فخر، جعلت ـ يا ربّ ـ هاشماً؟ لقد أقمته لدن بيتك، وجعلت لـه المشاعر والمتاجر.

---

(١) انظر بحار الأنوار: ج٢٥ ص٢٩ ب١.

من هاشم إلى عبد المطلب

ثمّ نقلته من هاشم إلى عبد المطلب، فأنهجته سبيل إبراهيم، وألهمته رشد التأويل، وتفصيل الحقّ، ووهبت لـه عبد الله وأبا طالب وحمزة، وفديت في القربان بعبد الله كسَمْتِك في إبراهيم بإسماعيل، ووسمت فيّ بأبي طالب في ولده كسَمْتِك في إسحاق، لتقديسك عليهم، وتقديم صفوة لهم، فلقد بلغت ـ يا إلهي ـ ببني طالب، الدرجة التي رفعت إليها فضلهم في الشرف الذي مددت به أعناقهم، والذكر الذي حلّيت به أسماءهم، وجعلتهم معدن النور وجنّته، وصفوة الدّين وذِروَته، وفريضة الوحي وسنّته.

عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثمّ أذنت لعبد الله في نبذه، عند ميقات تطهير أرضك من كفّار الأمم: الذين نسوا عبادتك، وجهلوا معرفتك، واتّخذوا لك أنداداً، وجحدوا ربوبيّتك، وأنكروا وحدانيّتك، وجعلوا لك شركاء وأولاداً، وصَبَوا إلى عبادة الأوثان، وطاعة الشيطان.

الله ينصر نبيّه بثلاثة

فدعاك نبيّنا (صلوات الله عليه) لنصرته، فنصرته بي وبجعفر وحمزة، فنحن الذين اخترتنا له، وسمّيتنا في دينك ـ لدعوتك ـ أنصاراً لنبيّك، قائدنا إلى الجنة وخيرتك وشاهدنا.

أنت ـ رب السماوات والأرضين ـ جعلتنا ثلاثةً ما نصب لـه عزيز إلّا أذللته بنا، ولا ملك إلا طَحطَحته بنا، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾[1]، وصفتنا يا ربّنا بذلك، وأنزلت فينا قرآناً، جلّيت به عن

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

وجوهنا الظلم، وأرهبت بصَولتنا الأمم.

إذا جاهد محمّد رسولك عدواً لدينك تلوذ به أسرته، وتحفّ به عترته، كأنهم النجوم الزاهرة إذا توسّطهم القمر المنير ليلة تمّه!

فصلواتك على محمّد عبدك ونبيّك وصفيك وخيرتك وآله الطاهرين.

أيّ منيعة لم تهدمها دعوته؟ وأيّ فضيلة لم تنلها عترته؟ جعلتهم خير أئمّة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويجاهدون في سبيلك، ويتواصون بدينك، تشهد لهم وملائكتك أنّهم باعوك أنفسهم، وابتذلوا من هيبتك أبدانهم [كذا] شَعِثةً رؤوسهم، تربةً وجوههم، تكاد الأرض من طهارتهم أن تقبضهم إليها! ومن فضلهم أن تميد بمن عليها، رفعت شأنهم بتحريم أنجاس المطاعم والمشارب، فأيّ شرف يا ربّ جعلته في محمّد وعترته؟!

الله يتوفّ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم(١)

فتوَفّى الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم سعيداً شهيداً، هادياً مهديّاً، قائماً بما استكفاه، حافظاً لما استرعاه، تمّم به الدين، وأوضح به اليقين، وأقرّت العقول بدلالته، وأبان به حجج أنبيائه، فاندمغ الباطل زاهقاً، ووضح العدل ناطقاً، وعطّل مظانّ الشيطان، وأوضح الحقّ والبرهان.

اللّهمّ فاجعل فواضل صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفتك ورحمتك، على محمّد نبيّ الرحمة، وعلى أهل بيته الطاهرين.

بين موسى عليه السلام وفرعون(٢)

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَام عَلَى

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٢ ب١.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لـه إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ، يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟.

إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ أَذًى.

لماذا الأنبياء عليهم السلام من ضعفة الناس؟

وَلَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الاعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الاسْتِكْبَارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ،

وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لَـه خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

في ظل الأنبياء والأوصياء(١)

فَانْظُرُوا إلى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ.

مع الملأ من قريش(٢)

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً، لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً، إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ، عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: وَمَا تَسْأَلُونَ؟.

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ، حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا، وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).
(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيؤُونَ إِلى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ.

ثُمَّ قَالَ ﷺ: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ، إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ.

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا، وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ، وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجنِحَةِ الطَّيْرِ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إلى ذَلِكَ، قَالُوا ـ عُلُوّاً وَاسْتِكْبَاراً ـ: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا، وَيَبْقَ نِصْفُهَا.

فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ، وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ: فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إلى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ.

فَأَمَرَهُ ﷺ فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالى، تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ، وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ، خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا، يَعْنُونَنِي.

النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام(١)

فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ، تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ الأَصْلَابِ، إِلَى مُطَهَّرَاتِ الأَرْحَامِ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ، قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ اللَّهِ خَلَفٌ.

حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى إِلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَنْبِتاً، وَأَعَزِّ الأَرُومَاتِ مَغْرِساً، مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ، وَانْتَجَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ.

عِتْرَتُهُ عليهم السلام خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ، نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ، وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لَا يُنَالُ.

فَهُوَ صلى الله عليه وآله إِمَامُ مَنِ اتَّقَى، وَبَصِيرَةُ مَنِ اهْتَدَى، سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ، وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ، سِيرَتُهُ الْقَصْدُ، وَسُنَّتُهُ الرُّشْدُ، وَكَلَامُهُ الْفَصْلُ، وَحُكْمُهُ الْعَدْلُ، أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَهَفْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ، وَغَبَاوَةٍ مِنَ الأُمَمِ.

البعثة النبوية الشريفة(٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٤)، والكافي: ج١ ص١٣٤ ـ ١٣٦ باب جوامع التوحيد ح١، والتوحيد: ص٤١ ـ ٤٤ ب٢ ح٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٥)، وبحار الأنوار: ج١٨ ص٢١٩ ب١ ح٥١.

بَعَثَهُ ﷺ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ.

فَبَالَغَ ﷺ فِي النَّصِيحَةِ، وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ، وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

النبي ﷺ مجمع الفضائل والمكارم(١)

مُسْتَقَرُّهُ ﷺ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ، وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ، فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ، قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الأَبْرَارِ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الأَبْصَارِ.

دَفَنَ اللَّهُ بِهِ الضَّغَائِنَ، وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ، أَلَّفَ بِهِ إِخْوَاناً، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَاناً، أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ، كَلَامُهُ بَيَانٌ، وَصَمْتُهُ لِسَانٌ.

في عصر البعثة(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً ﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، وَلَا وَحْياً، فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ، يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ، يَحْسِرُ الْحَسِيرُ، وَيَقِفُ الْكَسِيرُ، فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ، إِلَّا هَالِكاً لَا خَيْرَ فِيهِ، حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٦)، وبحار الأنوار: ج١٦ ص٣٨٠ ب١١ ح٩٢.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٤)، والإرشاد: ج١ ص٢٤٨.

لقد كنت من ساقتها

وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ مِنْ سَاقَتِهَا، حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ، وَلَا وَهَنْتُ.

وَايْمُ اللَّهِ، لأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ، حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ.

الإسلام نور(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الإِسْلَامَ، فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ، فَجَعَلَهُ أَمْناً لِمَنْ عَلِقَهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ عَنْهُ، وَنُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْماً لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبّاً لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ.

فَهُوَ أَبْلَجُ الْمَنَاهِجِ، وَأَوْضَحُ الْوَلَائِجِ، مُشْرَفُ الْمَنَارِ، مُشْرِقُ الْجَوَادِّ، مُضِيءُ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمُ الْمِضْمَارِ، رَفِيعُ الْغَايَةِ، جَامِعُ الْحَلْبَةِ، مُتَنَافِسُ السُّبْقَةِ، شَرِيفُ الْفُرْسَانِ، التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَالصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَالْمَوْتُ غَايَتُهُ، وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ.

رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم

حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسٍ، وَأَنَارَ عَلَماً لِحَابِسٍ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٦)، والكافي: ج٢ ص٤٩ ـ ٥٠ ح١، وكتاب سليم بن قيس: ص٦١٨ ـ ٦١٩ ح٩.

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لـه مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.

اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ.

الأمة إذا لم تغضب لله

وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ.

وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللَّهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ، وَكَانَتْ أُمُورُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ، وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ، وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ، فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ، وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللَّهِ فِي أَيْدِيهِمْ، يَعْمَلُونَ بِالشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ، لَجَمَعَكُمُ اللَّهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ.

أرسله على حين فترة(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام:

أَرْسَلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ، فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٨)، والكافي: ج٨ ص١٧٣ ـ ١٧٦ خطبة لأمير المؤمنين ح١٩٣.

بِهِ، ذَلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ، وَلَنْ يَنْطِقَ، وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ: أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ.

بعثه صلى الله عليه وآله النور المضيء[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام:

ابْتَعَثَهُ صلى الله عليه وآله بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي.

أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ.

أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ.

أَظْهَرَ بِهِ صلى الله عليه وآله الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ.

فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ.

وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ تَوَكُّلَ الإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

أوصيكم بتقوى الله

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَداً، وَالْمَنْجَاةُ أَبَداً.

رَهَّبَ صلى الله عليه وآله فَأَبْلَغَ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ، وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦١)، وبحار الأنوار: ج١٨ ص٢٢٢ ب١ ح٥٨.

وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا، فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا، أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، فَغُضُّوا عَنْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا، لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا، فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ، وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ، وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ، قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ، فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الأَوْلَادِ فَقْدَهَا، وَبِصُحْبَةِ الأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا.

لَا يَتَفَاخَرُونَ وَلَا يَتَنَاسَلُونَ، وَلَا يَتَزَاوَرُونَ وَلَا يَتَحَاوَرُونَ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ حَذَرَ الغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ، فَإِنَّ الأَمْرَ وَاضِحٌ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ.

أرسله ﷺ بالضياء(١)

أَرْسَلَهُ ﷺ بِالضِّيَاءِ، وَقَدَّمَهُ فِي الِاصْطِفَاءِ، فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ، وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ، حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

ألّف به القلوب(٢)

ومن خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي في كتاب الجمل:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٣)، وبحار الأنوار: ج١٨ ص٢٢٥ ب١ ح٦٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣١)، والاحتجاج: ص١٦١ ـ ١٦٢ احتجاج أمير المؤمنين على الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله، والجمل للشيخ المفيد: ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ خطبة أخرى لأمير المؤمنين بذي قار.

فَصَدَعَ صلى الله عليه وآله بِمَا أُمِرَ بِهِ، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ، فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقَ، وَأَلَّفَ بِهِ الشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي الأَرْحَامِ، بَعْدَ الْعَدَاوَةِ الْوَاغِرَةِ فِي الصُّدُورِ، وَالضَّغَائِنِ الْقَادِحَةِ فِي الْقُلُوبِ.

في رثاء النبي صلى الله عليه وآله(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وتجهيزه:

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ، مِنَ النُّبُوَّةِ وَالإِنْبَاءِ، وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ، خَصَّصْتَ حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ، وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً.

وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ، وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ، لأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّؤُونِ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلاً، وَالْكَمَدُ مُحَالِفاً، وَقَلَّا لَكَ، وَلَكِنَّهُ مَا لَا يُمْلَكُ رَدُّهُ، وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ.

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ.

أرحم الناس بالناس(٢)

ومن كلام له عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله:

لم يكن حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله بالطويل الذاهب طولاً، ولا بالقصير المتردِّد، كان فوقَ الرَّبعة، أبيض اللون، مُشرَب الحمرة، جَعداً ليس بالقطط، يَفرقُ شَعرته إلى أذنيه.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٥)، والأمالي للمفيد: ص١٠٢ ـ ١٠٣ المجلس ١٢ ح٤.
(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٧٤ ـ ٧٩ الخطبة رقم (١٧)، عن كتاب تاريخ ابن عساكر، ورواه أيضاً في الرياض النضرة: ص٢٢٧.

وكان حبيبي محمد ﷺ صَلت الجبين، واضح الخدَّين، أدعج العين، دقيق المسربة، برّاق الثنايا، أقنى الأنف، عنقه كأنما إبريق فضّة، كأن الذهب يجري في تَراقِيّه.

وكان لحبيبي محمد ﷺ شعرات من لبَّته إلى سرَّته، كأنهن قضيب مِسك أسود، ولم يكن في جسده ولا صدره شَعرات غيرهن، مَتن كِتفَيه كدارة القمر ليلة البدر، مكتوب فيه بالنور سطران: السطر الأعلى: لا إله إلا الله، وفي السطر الأسفل: محمد رسول الله.

وكان حبيبي محمد ﷺ شَثِن الكف والقدم، إذا مضى كأنما يَتقلَّع من صخر، وإذا انحدر كأنما ينحدر من صَبَب، وإذا التفت التفت بمجامع بدنه، وإذا قام غمر الناس، وإذا قعد علا على الناس، وإذا تكلم نصت له الناس، وإذا خطب بَكى الناس.

وكان حبيبي محمد ﷺ أرجع [أرحم] الناس بالناس، كان لليتيم كالأب الرحيم، وللأرملة كالزوج الكريم.

لم يكن مثله ولا مثل أهل بيته

وكان محمد ﷺ أشجع الناس قلباً، وأبذلهم كفاً، وأصبحهم وجهاً، وأطيبهم ريحاً، وأكرمهم حسباً، لم يكن مثله ولا مثل أهل بيته في الأولين والآخرين.

كان لباسه العَباء، وطعامه خبز الشعير، ووسادته الأُدْم مَحشوّة بليف النخل، وسريره أمَّ غَيلان مُرمَلاً بالشريط.

كان لمحمد ﷺ عِمامتان: إحداهما تدعى السحاب، والأخرى العُقاب، وكان سيفه ذا الفَقار، ورايته الغَبراء (الغراء)، وناقته العَضباء، وبغلته دُلدُل، وحِماره يَعفور، وفرسه مرتَجَز، وشاتُه بَرَكة، وقضيبه

الممشوق، ولواؤه الحمد، وإدامه اللبَن، وقِدره الدّبا، وتحيته الشكر.

يا أهل الكتاب كان حبيبي محمد صلى الله عليه وآله يعقِل البعير، ويعلِف الناضح، ويحلِب الشاة، ويَرقَع الثوب، ويَخصِف النعل.

مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله (١)

ومن كلام له عليه السلام في وصف خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسيرته، قال للحسين عليه السلام :

كان دخول رسول الله صلى الله عليه وآله لنفسه مأذوناً له في ذلك، فإذا آوى إلى منزله جزّء دخوله ثلاثة أجزاء: جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزّء جزأه بينه وبين الناس، فيرُدُّ ذلك بالخاصة على العامة، ولا يدّخر عنهم منه شيئاً.

وكان من سيرته صلى الله عليه وآله في جزء الأمة: إيثار أهل الفضل بإذنه، وقَسمه على قدر فضلهم في الدين، فمنهم ذو الحاجة، ومنهم ذو الحاجتين، ومنهم ذو الحوائج، فيتشاغل بهم ويشغلهم في ما أصلحهم وأصلح الأمَّة، من مسألته عنهم، وإخبارهم بالذي ينبغي لهم، ويقول : ليبلّغ الشاهد منكم الغائب، ويقول: أبلغوني حاجة من لا يقدر على إبلاغ حاجته، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يقدر على إبلاغها، ثبّت الله قدميه يوم القيامة. ولا يُذكر عنده إلا ذلك، ولا يَقبل من أحد غيره.

يدخلون رُوّاداً ـ ولا يفترقون إلا عن ذَواق ـ ويخرجون أدلَّة فقهاء.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٩٧ الخطبة رقم (٢٠)، عن كتاب عيون أخبار الرضا: ج١ص٣١٧ ـ ٣١٩ ب٢٩ ح١، ورواه أنساب الأشراف: ج١ص ٣٨٦، ودلائل النبوة: ص٥٥٤.

مخرج رسول الله ﷺ

قال الحسين عليه السلام: فسألته عن مخرج رسول الله ﷺ كيف كان يصنع فيه؟.

فقال: كان رسول الله ﷺ يَخزن لسانه إلا مما يَعنيه، ويؤلّفهم ولا يفرّقهم [ينفّرهم].

وكان يُكرم كريم كل قوم ويولّيه عليهم.

وكان يُحذّر الناس، ويحترس منهم من غير أن يطويَ عن أحد بِشْره ولا خُلقه، ويتفقد أصحابه، ويسأل الناس عما في الناس، ويُحسّن الحسن ويُقوّيه، ويُقبّح القبيح ويُهَوّنه.

معتدل الأمر غير مختلف.

لا يَغفُل مخافة أن يغفُلوا أو يميلوا.

وكان لكل حال عنده عَتاد.

وكان لا يقصُر عن الحق ولا يجوزه.

وكان الذين يلونه من الناس خيارهم.

وكان أفضلهم عنده أعمّهم نصيحة للمسلمين، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة لهم.

مجلس رسول الله ﷺ

قال: فسألته عن مجلسه ﷺ.

فقال: كان رسول الله ﷺ لا يجلس ولا يقوم إلا على ذكر الله جل اسمه، ولا يوطِن الأماكن وينهى عن إيطانها، وإذا انتهى إلى قوم جلس

حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك، ويعطي كل جلسائه نصيبه منه، حتى لا يحسب مَن جالسه أن أحداً أكرم عليه منه.

من جالسه [أو قاومه في حاجة] صابره، حتى يكون هو المنصرف عنه.

مَن سأله حاجة لم يرجع إلا بها، أو بميسور من القول.

قد وسع الناس منه خُلُقه وصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواءً.

مجلسه مجلس حلم وحياء، وصدق وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، ولا يوهن فيه الحُرَم، ولا تُنثى فلتاته، [ترى جلساؤه] متعادلين، متواصلين فيه بالتقوى، متواضعين، يوقرون فيه الكبير، ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب.

سيرة النبي صلى الله عليه وآله في جلسائه

قال الحسين عليه السلام: فقلت: فكيف كانت سيرته صلى الله عليه وآله في جلسائه؟

فقال: كان دائم البِشر، سهل الخُلق، ليّن الجانب، ليس بفظّ ولا غليظ، ولا صخّاب ولا فحّاش، ولا عيّاب ولا مدّاح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يؤيِس منه راجيه، ولا يُخيِّب فيه مؤمّليه.

قد ترك نفسه من ثلاث: من المراء، والإكثار، وما لا يعنيه.

وترك الناس من ثلاث: كان لا يذم أحداً ولا يُعيّره، ولا يَطلب عَثَراته ولا عَورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطّير، فإذا سكت

تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم أنصتوا لـه حتى يَفرَغ، حديثهم عنده حديث أولهم، يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه.

ويصبر للغريب على الجَفوَة في مسألته ومنطقه، حتى أن كان أصحابه ليستجلِبونهم، وكان يقول: إذا رأيتم طالب الحاجة يطلبها فأرفِدوه، وكان لا يقبل الثناء إلا من مكافئ، ولا يقطع على أحد كلامه حتى يجوز، فيقطعه بنهي أو قيام.

سكوت رسول الله ﷺ

قال الحسين عليه السلام: فسألته عن سكوت رسول الله ﷺ؟

قال: وكان سكوت رسول الله ﷺ على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكر.

فأما التقدير ففي تسوية النظر، والاستماع بين الناس.

وأما تفكره ففيما يبقى أو يفنى.

وجُمع لـه الحلم في الصبر، فكان لا يُغضبه شيء ولا يَستفزّه.

وجمع لـه الحذر في أربع:

أخذه بالحسن ليُقتدى به.

وتركه القبيح ليُنتهى عنه.

واجتهاده الرأي في صلاح أمته.

والقيام فيما جمع لهم خير الدنيا والآخرة.

ولائيات

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام[١]

ومنها: يعني آل النبي (عليهم الصلاة والسلام).

هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، ولَجَأُ أَمْرِهِ، وعَيْبَةُ عِلْمِهِ، ومَوْئِلُ حُكْمِهِ، وكُهُوفُ كُتُبِهِ، وجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ.

لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد[٢]

ومنها: يعني قوماً آخرين.

زَرَعُوا الْفُجُورَ، وسَقَوْهُ الْغُرُورَ، وحَصَدُوا الثُّبُورَ، لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ أَحَدٌ، ولَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَداً.

هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ، وعِمَادُ الْيَقِينِ، إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي، وبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي، ولَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ، وفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ والْوِرَاثَةُ، الآنَ إِذْ

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (٢).

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (٢).

رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ، ونُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ.

أهل البيت عليهم السلام(١)

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ، ومَحَطُّ الرِّسَالَةِ، ومُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ، ويَنَابِيعُ الْحُكْمِ، نَاصِرُنَا ومُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وعَدُوُّنَا ومُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ.

معرفة أهل البيت عليهم السلام(٢)

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، ولَمَعَ لَامِعٌ، ولَاحَ لَائِحٌ، واعْتَدَلَ مَائِلٌ، واسْتَبْدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْماً، وبِيَوْمٍ يَوْماً، وانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ.

وإِنَّمَا الأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، وعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، ولَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وعَرَفُوهُ، ولَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ أَنْكَرَهُمْ وأَنْكَرُوهُ.

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالإِسْلَامِ، واسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ، وذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ، وجِمَاعُ كَرَامَةٍ، اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ، وبَيَّنَ حُجَجَهُ، مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ، وبَاطِنِ حُكْمٍ، لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ، ومَصَابِيحُ الظُّلَمِ، لَا تفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، ولَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ، قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ، وأَرْعَى مَرْعَاهُ، فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي، وكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٠٩).
(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٥٢).

المنكرين لأهل البيت عليهم السلام[(١)]

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللَّهِ، يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ، ويَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ، بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، ولَا إِمَامٍ قَائِدٍ.

من أوصاف المهدي(عج)[(٢)]

قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا، وأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا، مِنَ الإِقْبَالِ عَلَيْهَا، والْمَعْرِفَةِ بِهَا، والتَّفَرُّغِ لَهَا، فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا، فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الإِسْلامُ، وضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وأَلْصَقَ الأَرْضَ بِجِرَانِهِ، بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ.

بثثت لكم المواعظ

ثم قال عليه السلام: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ، الَّتِي وَعَظَ الأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ، وأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، وأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا، وحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا، لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَاماً غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، ويُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟

أين إخواني؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلاً وأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِراً، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الأَخْيَارُ، وبَاعُوا قَلِيلاً مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى، بِكَثِيرٍ مِنَ الآخِرَةِ لا يَفْنَى.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٥٣.
(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٨٢.

مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وهُمْ بِصِفِّينَ، أَلَّا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً، يُسِيغُونَ الْغُصَصَ، ويَشْرَبُونَ الرَّنْقَ؟ قَدْ واللَّهِ، لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وأَحَلَّهُمْ دَارَ الأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ.

أَيْنَ إِخْوَانِيَ الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ، ومَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟

أَيْنَ عَمَّارٌ؟

وأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟

وأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟

وأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وأُبْرِدَ بِرُؤُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ؟

قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَ عليه السلام: أَوْهِ عَلَى إِخْوَانِيَ، الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ، وتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ، وأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ، دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، ووَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ.

ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: الْجِهَادَ، الْجِهَادَ عِبَادَ اللَّهِ، أَلَا وإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَومِي هَذَا، فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللَّهِ فَلْيَخْرُجْ.

قَالَ نَوْفٌ: وعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، ولِقَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رحمه الله فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، ولِأَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ، ولِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ، وهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ، فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ، فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيهَا، تَخْتَطِفُهَا الذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

وأمّا بنعمة ربّك فحدّث(١)

فوالله لأقولنّ قولاً لا يطيق أن يقوله أحد من خلقك:

أنا عَلَم الهدى، وكهف التقى، ومحلّ السخاء، وبحر الندى، وطَود النهى، ومعدن العلم، والنور في ظلم الدّجى، وخير من أمر واتّقى، وأكمل من تقمّص وارتدى، وأفضل من شهد النجوى بعد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وما أزكّي نفسي، ولكن أحدث بنعمة ربّي.

أنا صاحب القبلتين، وحامل الرايتين، فهل يوازى بي أحد؟

وأنا أبو السبطين، فهل يساوى بي بشر؟

وأنا زوج خير النّسوان، فهل يفوقني رجل؟.

أنا القمر الزاهر ـ بالعلم الذي علّمني ربّي ـ والفرات الزاخر، أشبهت من القمر نوره وبهاؤه، ومن الفرات بذله وسخاؤه.

أيها الناس، بنا أنار الله السبل، وأقام الميل، وعُبد الله في أرضه، وتناهت إليه معرفة خلقه، وقدّس الله جلّ وتعالى بإبلاغنا الألسن، وابتهلت بدعوتنا الأذهان.

عترة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم: ألسنة الصدق(٢)

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟ وَالأَعْلَامُ قَائِمَةٌ، وَالآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ؟ وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ؟ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وَأَعْلَامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٥ ص٣٢ ب١.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (٨٧).

أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ: «إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْس بِبَالٍ، فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ، وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَا.

أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ، قَدْ رَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الإِيمَانِ، وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي، فَلا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ».

بنو أمية إلى زوال

حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا، وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا، وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ، يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً.

أمرنا صعب مستصعب(١)

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَلأَنَا بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ الأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٨٩).

موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١)

أَنَا وَضَعْتُ فِي الصِّغَرِ بِكَلاكِلِ الْعَرَبِ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ.

وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إلى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الرسالة

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ.

حين نزل الوحي

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟ فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ، إِنَّكَ

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ، وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ لَوَزِيرٌ، وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ.

من مواصفات أئمة أهل البيت عليهم السلام[١]

وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ، سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ، وَلَا يَغُلُّونَ وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.

بنا اهتديتم في الظلماء[٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ، وَتَسَنَّمْتُمْ ذُرْوَةَ الْعَلْيَاءِ، وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ، وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ، وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ؟ رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ.

مَا زِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ الْمُغْتَرِّينَ، حَتَّى سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِّ الْمَضَلَّةِ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ.

الْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ الْعَجْمَاءَ ذَاتَ الْبَيَانِ، عَزَبَ رَأْيُ امْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة (١٩٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤)، والإرشاد: ج١ ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ فصل ومن كلامه حين قتل طلحة وانفض أهل البصرة، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٣٦ ـ ٢٣٧ ب٤ ح١٩٠.

لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عليه السلام خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، بَلْ أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ الْجُهَّالِ، وَدُوَلِ الضَّلَالِ.

الْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ.

أهوى أخيك معنا؟(١)

ومن كلام له عليه السلام، لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَاناً كَانَ شَاهِدَنَا، لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ.

فَقَالَ لَه عليه السلام:

أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟

فَقَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَقَدْ شَهِدَنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ، وَيَقْوَى بِهِمُ الإِيمَانُ.

أول من صدّق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم(٢)

ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة:

فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا، وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللَّهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢)، والمحاسن: ج١ ص٢٦١ ـ ٢٦٢ ب٣٣ ح٣٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٧)، والأمالي للصدوق: ص٢٤١ ـ ٢٤٣ المجلس ٤٢ ح١١، وإعجاز القرآن للباقلاني: ص١٤٣ ـ ١٤٥.

فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ.

لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ مَهْمَزٌ، وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ.

الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ، وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ.

رَضِينَا عَنِ اللَّهِ قَضَاءَهُ، وَسَلَّمْنَا لِلَّهِ أَمْرَهُ.

أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ.

فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي، وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي.

كنا مع رسول الله ﷺ (١)

ومن كلام له عليه السلام:

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً، وَمُضِيّاً عَلَى اللَّقَمِ، وَصَبْراً عَلَى مَضَضِ الْأَلَمِ، وَجِدّاً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ.

وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ الْفَحْلَيْنِ، يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمَنُونِ، فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٦)، وكتاب سليم بن قيس: ص٦٩٧ ح١٥، وكتاب وقعة صفين: ص٥٢٠ ـ ٥٢١ خطبة لعلي بعد الصلح.

فَلَمَّا رَأَى اللَّهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا الْكَبْتَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا النَّصْرَ، حَتَّى اسْتَقَرَّ الإِسْلَامُ مُلْقِياً جِرَانَهُ، وَمُتَبَوِّئاً أَوْطَانَهُ.

وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ، وَلَا اخْضَرَّ لِلإِيمَانِ عُودٌ، وَايْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَماً، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَماً.

سبقت إلى الإيمان والهجرة(١)

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه:

أَمَّا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ الْبُلْعُومِ، مُنْدَحِقُ الْبَطْنِ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ، فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ.

أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي، فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي، فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّؤُوا مِنِّي، فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ.

سلوني قبل أن تفقدوني(٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا، وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٧)، ووسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٢٨ ب٢٩ ح٢١٤٣١، والمناقب: ج٢ ص٢٧٢ فصل في إخباره بالمنايا والبلايا والأعمال.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٣)، وكتاب سليم بن قيس: ص٧١٢ ـ ٧١٣ ح١٧، وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص١١٩ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً، إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا، وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا، وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً.

وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي، وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ، وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ، لأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ، وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْؤُولِينَ، وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ، وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً، تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ، حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الأَبْرَارِ مِنْكُمْ.

إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ، يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ، وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ، يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ، يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً.

بلاء بني أمية وفتنتهم

أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ، عَمَّتْ خُطَّتُهَا، وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا. وَايْمُ اللَّهِ، لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي، كَالنَّابِ الضَّرُوسِ، تَعْذِمُ بِفِيهَا، وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا.

لَا يَزَالُونَ بِكُمْ، حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ، أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ.

وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ، حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ، إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ، وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ.

تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً، وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً، لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى.

نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ، وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ، ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ، كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً، وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ، لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ.

مَثَل آل محمد عليهم السلام(١)

ومن خطبة له عليه السلام أخرى :

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ.

دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ، بَطِيءُ الْقِيَامِ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ، فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ، وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، حَتَّى يُطْلِعَ اللَّهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ، وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ، فَلَا تَطْمَعُوا

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٠)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج٧ ص٩٣ قال: واعلم أن هذه الخطبة خطب بها أمير المؤمنين في الجمعة الثالثة من خلافته....

فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ، فَإِنَّ الْمُدْبِرَ عَسَى أَنْ تَزِلَّ بِهِ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ، وَتَثْبُتَ الأُخْرَى فَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً.

أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ، إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ.

إنّي أولى الناس بالناس(1)

ومن كلام له عليه السلام.

أَنْتُمُ الأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ.

بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ، فَوَاللَّهِ إِنِّي لأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ.

عندنا أبواب الحُكم(2)

ومن كلام له عليه السلام :

تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسَالَاتِ، وَإِتْمَامَ الْعِدَاتِ، وَتَمَامَ الْكَلِمَاتِ، وَعِنْدَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَبْوَابُ الْحُكْمِ، وَضِيَاءُ الأَمْرِ.

أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ الدِّينِ وَاحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٨)، وتاريخ الطبري: ج٤ ص٥٨ ذكر ما كان من خبر الخوارج، والإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١ ص١٦٥ ما قال علي لأهل الكوفة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢٠)، وكتاب سليم بن قيس: ص٧١٧ ح١٧، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص٢٢١ ب٣٣.

اعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لـه الذَّخَائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ، وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ، فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ، وَاتَّقُوا نَاراً حَرُّهَا شَدِيدٌ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ.

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ الصَّالِحَ، يَجْعَلُهُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ، خَيْرٌ لـه مِنَ الْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ.

إنك غضبت لله(١)

ومن كلام لـه عليه السلام لأبي ذر رحمه الله لما أُخرج إلى الربذة.

يَا أَبَا ذَرّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ، وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ، وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَالأَكْثَرُ حُسَّداً.

وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ اتَّقَى اللَّهَ لَجَعَلَ اللَّهُ لـه مِنْهُمَا مَخْرَجاً، لَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لأَمَّنُوكَ.

الأئمة من بطن هاشم(٢)

ومن كلام لـه عليه السلام:

بَعَثَ اللَّهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لـه عَلَى

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٠)، والكافي: ج٨ ص٢٠٦ ـ ٢٠٨ حديث قوم صالح ح٢٥١، وكشف الغمة: ج٢ ص٣٤٦ وأما مناقبه.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٤)، وبحار الأنوار: ج٢٩ ص٦١٢ ـ ٦١٣ ب١٥ بيان.

خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ، فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.

أَلَا إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً، لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ، وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً، وَالْعِقَابُ بَوَاءً.

أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا، أَنْ رَفَعَنَا اللَّهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ؟

بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى.

إِنَّ الأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ، لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

الذين غصبوا الأئمة حقهم

آثَرُوا عَاجِلاً، وَأَخَّرُوا آجِلاً، وَتَرَكُوا صَافِياً، وَشَرِبُوا آجِناً، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً كَالتَّيَّارِ لا يُبَالِي مَا غَرَّقَ، أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ.

أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى، وَالأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى؟

أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ، وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ؟

ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ، وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ، وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَدَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا، وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا.

نحن أبواب الله(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ، دَاعٍ دَعَا، وَرَاعٍ رَعَى، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي، وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ.

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ، وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ، وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ.

نَحْنُ الشِّعَارُ وَالأَصْحَابُ، وَالْخَزَنَةُ وَالأَبْوَابُ، وَلَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا، فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقاً.

في آل محمد عليهم السلام كرائم القرآن

فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ، إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا.

فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ، وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ.

فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ، الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ، أَعَمَلُهُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٤)، ووسائل الشيعة: ج٢٧ ص١٣٤ ـ ١٣٥ ب١٠ ح٣٣٤١١.

عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كَانَ لـه مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ، فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ، فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ، وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ؟

العمل: نبات

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِناً عَلَى مِثَالِهِ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ، وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ.

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ، وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ».

وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتاً، وَكُلُّ نَبَاتٍ لا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ، فَمَا طَابَ سَقْيُهُ، طَابَ غَرْسُهُ، وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ، خَبُثَ غَرْسُهُ، وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ.

الأئمة وعلم ما كان وما يكون(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام:

أَيُّهَا الغافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ، مَا لِي أَرَاكُمْ عَنِ اللَّهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ، كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ، وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ، وَإِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى، لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا، إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا، تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٥)، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص٢١٧ ب٣٣.

وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ، وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ.

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ، وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ، مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً، وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ، وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو، وَمَآلِ هَذَا الأَمْرِ، وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنَيَّ، وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ، إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ، إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا.

من ذا أحق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم؟[1]

ومن خطبة له عليه السلام :

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللَّهِ، وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الأَبْطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الأَقْدَامُ، نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا.

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي، وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي، فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالأَفْنِيَةُ، مَلأٌ يَهْبِطُ وَمَلأٌ يَعْرُجُ، وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ، يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ، فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٧)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٢٠ ق١ ب٥ ف٢ فضائله ح٢١٠٣.

مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ، وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

بضعة الرسول ﷺ والشهادة المبكّرة[1]

ومن كلام لـه عليه السلام عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام.

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِّي، وَعَنِ ابْنَتِكَ النَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ، وَالسَّرِيعَةِ اللَّحَاقِ بِكَ.

قَلَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي، إِلَّا أَنَّ فِي التَّأَسِّي لِي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ، مَوْضِعَ تَعَزٍّ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ، فَـ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[2].

فَلَقَدِ اسْتُرْجِعَتِ الْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ الرَّهِينَةُ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ، إِلَى أَنْ يَخْتَارَ اللَّهُ لِي دَارَكَ الَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ.

وَسَتُنَبِّئُكَ ابْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا، فَأَحْفِهَا السُّؤَالَ، وَاسْتَخْبِرْهَا الْحَالَ، هَذَا وَلَمْ يَطُلِ الْعَهْدُ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ الذِّكْرُ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمَا، سَلَامَ مُوَدِّعٍ، لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ، وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ الصَّابِرِينَ .

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٢)، والكافي: ج١ ص٤٥٨ ـ ٤٥٩ باب مولد فاطمة الزهراء ح٣، وكشف الغمة: ج١ ص٥٠٤ ـ ٥٠٥ ذكر وفاتها وما قبل ذلك.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

مع سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(١)

ومن كلام لـه عليه السلام في بعض أيام صفين، وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب:

امْلِكُوا عَنِّي هَذَا الْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهَذَيْنِ (يَعْنِي: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَام عَلَى الْمَوْتِ، لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

لله ما فعله الأشتر من خير!(٢)

ومن كلام لـه عليه السلام يريد به بعض أصحابه:

لِلَّهِ بَلاءُ فُلانٍ، فَلَقَدْ قَوَّمَ الأَوَدَ، وَدَاوَى الْعَمَدَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَّفَ الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ، أَصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا، أَدَّى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ، وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ، رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ، وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي.

إنا أمراء الكلام(٣)

ومن كلام لـه عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ اللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ الإِنْسَانِ، فَلَا يُسْعِدُهُ الْقَوْلُ إِذَا امْتَنَعَ، وَلَا

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٧)، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص٥٦٢ ب١٢ ح٤٦٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٨)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٢ ص٣ الخطبة رقم (٢٢٣).

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٣)، وأعلام الدين: ص٣٢١ من كلام أمير المؤمنين، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج١ص٧٩ باب العتاب.

يُمْهِلُهُ النُّطْقُ إِذَا اتَّسَعَ، وَإِنَّا لأُمَرَاءُ الْكَلامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ، وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ، وَاللاَّزِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ، أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى الإِدْهَانِ، فَتَاهُمْ عَارِمٌ، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِنُهُمْ مُمَاذِقٌ، لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ.

أفصح من نطق بالضاد بعد الرسول ﷺ[١]

ومن كلام لـه عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ﷺ ثم لحاقه به.

فَجَعَلْتُ أَتْبَعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ[٢].

هم عيش العلم وموت الجهل[٣]

ومن خطبة لـه عليه السلام يذكر فيها آل محمد عليهم السلام:

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٦)، والنهاية لابن الأثير: ج٥ ص٢٠١ باب الواو مع الطاء مادة (وطأ).

(٢) قال الشريف الرضي في كلام طويل: قوله: فَأَطَأُ ذِكْرَهُ من الكلام الذي رمى به إلى غايتي الإيجاز والفصاحة، أراد أني كنت أُعطى خبره من بدء خروجي إلى أن انتهيت إلى هذا الموضع، فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٩)، والكافي: ج٨ ص٣٩١ خطبة لأمير المؤمنين ح٥٨٦.

وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ، وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ الاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.

له الفخر والمجد والثناء(١)

ومن خطبة له عليه السلام في يوم الشورى:

إنّ أحسن ما ابتدأ به المبتدئون، ونطق به الناطقون، وتَفَوَّه به القائلون: حمد الله، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على النبي محمد وآله.

الحمد لله المتفرِّدِ بدوام البقاء، المتوحَّد بالملك، الذي له الفخر والمجد والثناء، خضعت له الجبابرة لآلائه وجلاله، ووجلت القلوب من مخافته، فلا عِدل له ولا نِدّ، ولا يشبهه أحد من خلقه، ونشهد له بما شهد به لنفسه، وأولو العلم من خلقه: أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، ليس له صفة تُنال، ولا حد يُضرب له فيه الأمثال، المدِرّ صَوب الغمام ببنات النِّطاف، ومُنهطِل الرّباب بوابل الطَّلّ، فَرَّشَ الفيافي والآكام بتشقيق الدِّمَن وأنيق الزهَر وأنواع النبات، والمهريق العيون الغِزار من صُم الأطواد، ببعث الزُّلال حياتاً للطير والهوامِّ والوَحش،

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١١٦ ـ ١٢٦ الخطبة رقم (٢٦)، عن مناقب الخوارزمي: ص٢١٣، ورواه في غاية المرام: ص١٨، وابن عساكر في تاريخ دمشق: ج٢٥ ص٦٠.

وسائر الأنعام والأنام، فسبحان من يُدان لدينه، ولا يُدان لغير الله دين، وسبحان الذي ليس لصفته حدّ محدود، ولا نعت موجود.

استنقذنا الله بمحمد ﷺ

ونشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله المرتضى، ونبيُّه المصطفى، وحبيبه المجتبى، أرسله الله إلينا كافة، والناس أهل عبادة الأوثان، وخضوع للضلالة، يسفكون دماءهم، ويقتلون أولادهم، ويخيفون سبيلهم، عَيشهم الظلم، وأمنهم الخَوف، وعزهم الذل، حتى استنقذنا الله بمحمد ﷺ من الجهالة، وَانْتاشَنا بمحمد ﷺ من الهلكة، ونحن معاشر العرب أضيَق الأمم معاشاً، وأخشنها رِياشاً، جُلُّ طعامنا الهبيد، وجل لباسنا الوبر والجلود، مع عبادة الأصنام والأوثان والنيران، فهدانا الله بمحمد ﷺ إلى صالح الأديان، وأنقذنا من عبادة الأوثان، بعد أن أمكنه الله من شُعلة النور، فأضاء بمحمد ﷺ مشارق الأرض ومغاربها، فقبضه الله إليه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فما أجلّ رزّيته، وأعظم مصيبته، فالمؤمنون فيه طُراً مصيبتهم واحدة.

لا فتى إلّا علي عليه السلام

ثم قال علي عليه السلام:

فأَنشُدُكم بالله يا معاشر المهاجرين والأنصار، هل تعلمون أن جبرئيل عليه السلام أتى النبي ﷺ وقال: يا محمد، لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي؟ هل تعلمون كان هذا؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تحبّ علياً وتحبّ من يحبه، فإن الله تعالى يحبّ علياً ويحبّ من يحبّ علياً؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما أُسري بي إلى السماء السابعة رُفِعتُ إلى رفارف من نور، ثم رُفعتُ إلى حُجُب من نور، فوَعد النبيَّ صلى الله عليه وآله الجبّارُ ـ لا إله إلا هو ـ أشياء، فلما رجع من عنده نادى مناد من وراء الحُجُب: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي بن أبي طالب، واستوص به؟ أتعلمون يا معاشر المهاجرين والأنصار كان هذا؟

فقال أبو محمد من بينهم ـ يعني عبد الرحمن بن عوف ـ: سمعتها من رسول لله صلى الله عليه وآله وإلّا فصمتا.

ليس لأحد مثل منزلتنا

ثم قال: هل تعلمون أن أحداً كان يدخل المسجد جُنباً غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن أبواب المسجد سدّها رسول الله صلى الله عليه وآله وترك بابي بأمر من الله؟

قالوا: اللّهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أني كنت إذا قاتلت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله قاتلتِ الملائكة عن يساره؟

قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال لي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لا نبي بعدي)؟

قالوا: اللّهم نعم.

قال: فأنشدكم الله، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ أخذ الحسن والحسين فجعل يقول: هيِّ يا حسن. فقالت فاطمة: يا رسول الله، إن الحسين أصغر وأضعف ركناً منه. فقال لها رسول الله ﷺ: ألا تَرضَينَ أن أقول أنا: هيِّ يا حسن، ويقول جبرئيل: هيَّ يا حسين؟ فهل لأحد من الناس مثل منزلتنا عند الله وعند رسول الله؟ نحن صابرون ليقضي الله في هذه البيعة أمراً كان مفعولاً.

أخو رسول الله ﷺ وخليفته(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله على سبيل الاحتجاج على أصحاب الشورى:

أنشُدُكُم بالله، الذي لا إله إلا هو، أَفيكم أحد وحّد الله قبلي؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد صلّى لله قبلي، وصلى القبلتين؟

قالوا: اللهم لا.

قال: أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أخو رسول الله ﷺ غيري، إذ

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٢٧ ـ ١٣٤ الخطبة رقم (٢٧)، عن تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٣٨ ص٣٩، ورواه ابن المغازلي في مناقبه: ص٥٣.

آخى بين المؤمنين فآخى بيني وبين نفسه، وجعلني منه بمنزلة هارون من موسى إلّا أني لستُ بنبي؟

قالوا: لا.

قال: أنشدكم بالله، أفيكم مطهَّر غيري، إذ سد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبوابكم وفتح بابي، وكنت معه في مساكنه ومسجده، فقام إليه عمه فقال: يا رسول الله، غلَّقت أبوابنا وفتحت باب علي؟! قال: نعم، أمر الله بفتح بابه وسد أبوابكم.

قالوا: اللّهم لا.

أحب الناس إلى الله ورسوله

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد أحبُّ إلى الله وإلى رسوله مني، إذ دفع الراية إليَّ يوم خيبر، فقال: لأعطينّ الراية إلى من يحبّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويوم الطائر إذ يقول: اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي، فجئت، فقال: اللّهم وإلى رسولك، اللّهم وإلى رسولك؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد قدّم بين يدي نجواه صدقة غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم من قتل مشركي قريش والعرب في الله وفي رسوله غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد دعا رسول الله ﷺ له في العلم، وأن يكون أُذُنُه الواعية مثل ما دعا لي؟

قالوا: اللّهم لا.

نفس رسول الله ﷺ

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد أقربُ إلى رسول الله ﷺ في الرحم، ومن جعله رسول الله ﷺ نفسه، وأبناءه أبناءه، ونساءه نساءه، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد كان يأخذ الخمس مع النبي ﷺ قبل أن يؤمن أحد من قرابته غيري وغير فاطمة؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد له ابنان مثل ابنيّ الحسن والحسين، سيدي شباب أهل الجنة، ما خلا النبيين غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد له أخ كأخي جعفر الطيار في الجنة، المزيّن بالجناحين مع الملائكة، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

منا أسد الله وأسد رسوله

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد لـه عمٌّ مثل عمّي، أسد الله وأسد رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الشهداء حمزة، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، هل فيكم أحد وليَ غَمضَ رسول الله صلى الله عليه وآله مع الملائكة، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد ولِيَ غُسل النبي صلى الله عليه وآله مع الملائكة يُقلّبونه كيف أشاء، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد كان آخر عهده برسول الله صلى الله عليه وآله حتى وضعه في حفرته، غيري؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: نشدتكم بالله، أفيكم أحد قضى عن رسول الله صلى الله عليه وآله ديونه ومواعيده، غيري ؟

قالوا: اللّهم لا.

قال: وقد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾﴾[1].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١١١.

هؤلاء شيعتنا[1]

ومن كلام لـه عليه السلام في نعته شيعته والمتمسكين بولايته، قاله لمولاه نوف:

إن شيعتي إن شهدوا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يُفتقدوا، وإن خطبوا لم يُزوَّجوا، وإن مرضوا لم يُعادوا.

شيعتي من لم يَهِرَّ هَرير الكلب، ولم يطمع طمع الغراب، ولم يسأل الناس وإن مات جوعاً، وإن رأى مؤمناً أكرمه، وإن رأى فاسقاً هجره.

شيعتي الذين هم في قبورهم يتزاورُون، وفي أموالهم يتواسَون، وفي الله تعالى يتباذُلون.

يا نوف، درهماً ودرهماً، وثوباً وثوباً، وإلّا فلا.

هؤلاء ـ والله يا نوف ـ شيعتي، شرورهم مأمونة، وقلوبهم محزونة، وحوائجهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، اختلفت بهم الأبدان، ولم تختلف قلوبهم.

قال نوف: قلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، فأين أطلب هؤلاء؟

قال: اطلبهم في أطراف الأرض، هؤلاء والله يا نوف شيعتي.

إذا كان يوم القيامة

يا نوف، يُحيي الله النبي صلى الله عليه وآله يوم القيامة، وهو آخذ بحُجزة ربه،

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٤٤٩ ـ ٤٥٢ الخطبة رقم (١٣٨)، عن تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٦٠ ص٧.

وأنا آخذ بحُجزته، وأهل بيتي آخذون بحُجزتي، وشيعتي آخذون بحُجزتنا، فإلى أين يا نوف؟ إلى الجنة ورب الكعبة، إلى الجنة ورب الكعبة، إلى الجنة ورب الكعبة.

أما الليل فصافّون أقدامهم، مفترشون جباههم، تجري دموعهم على خدودهم، يناجون ربهم في فكاك رقابهم.

وأما النهار فحلماء نجباء، كرام أبرار أتقياء.

يا نوف، بشّر الزاهدين، نِعم الساعة ساعة الزاهدين، أما إنها ساعة لا يسأل الله فيها عبد شيئاً إلا أعطاه، ما لم يكن جائراً، أو عاشراً، أو ساحراً، أو ضارب كوبة، أو ضارب عرطبة.

يا نوف، شيعتي الذين اتخذوا الأرض بساطاً، والماء طيباً، والقرآن شعاراً، وقَرَضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح عيسى ابن مريم.

مع شهداء كربلاء(١)

ومن كلام له عليه السلام لما مرّ في مسيره إلى صفّين بكربلاء:

ثَقَل لآلِ محمد ينزل ها هنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم.

فقال له رجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟

قال عليه السلام: ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم يُدخلكم الله بقتلهم إلى النار.

وفي رواية القندوزي، عن مودة القربى، عن الأصبغ بن نباتة، قال:

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص١٣٠ ـ ١٣٢، عن كتاب صفين: ص١٤١، وينابيع المودة: ص٢١٦.

أتينا مع علي أمير المؤمنين عليه السلام كربلاء، فنزل وبكى وقال:

ها هنا مُناخ ركابهم، ها هنا مَوضع رحالهم، وها هنا مُهراق دمائهم، فئة من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يُقتلون بهذه العرصة، تبكي عليهم السماء والأرض.

أرسله بالهدى ودين الحق(١)

ومن خطبة له عليه السلام بصفّين:

الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق من البَر والفاجر، وعلى حُججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم ومن عصاه، إن رَحِم فبفضله ومنّه، وإن عذّب فبما كسبت أيديهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾(٢).

أحمده على حُسن البلاء، وتظاهُر النعماء، وأستعينه على ما نابَنا من أمر دنيا أو آخرة، وأومن به وأتوكل عليه، وكفى بالله وكيلاً.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ، ارتضاه لذلك وكان أهله، واصطفاه على جميع العباد لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان كعلمه فيه رؤوفاً رحيماً.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكرم الخلق

أكرم خلق الله حسباً، وأجمله منظراً، وأسخاه نفساً، وأبرَّه بوالد،

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢١٧ ـ ٢٢٢، عن كتاب صفين: ص٣١٣، وقريباً منه رواه الصدوق في أماليه.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٢، سورة الأنفال، الآية: ٥١، سورة الحج، الآية: ١٠.

وأوصله لرحِم، وأفضله علماً، وأثقله حلماً، وأوفاه بعهد، وآمنه على عَقد.

لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يُظلم فيغفر، ويقدِر فيصفح ويعفو، حتى مضى صلى الله عليه وآله وسلم مطيعا لله، صابراً على ما أصابه، مجاهداً في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وآله وسلم، فكان ذَهابه أعظم المصيبة على جميع أهل الأرض، والبَر والفاجر.

ترك فيكم الكتاب والعترة

ثم ترك كتاب الله فيكم، يأمر بطاعة الله وينهى عن معصيته.

وقد عهِد إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهداً فلست أحيد عنه.

وقد حَضَرتم عدوكم، وقد علمتم من رئيسهم، منافق ابن منافق، يدعوهم إلى النار.

وابن عم نبيكم معكم بين أظهركم، يدعوكم إلى الجنة، وإلى طاعة ربكم، ويعمل بسنة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم.

فلا سواء من صلّى قبل كل ذكر، لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحد، وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق ابن طليق.

والله إنكم لعلى حق، وإنهم لعلى باطل، فلا يكونن القوم على باطلهم اجتمعوا عليه، وتَفرَّقون عن حقكم، حتى يغلب باطلهم حقكم ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾[١]، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٤.

فأجابه أصحابه فقالوا: يا أمير المؤمنين، انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلاً، نموت معك، ونحيا معك.

إني لعلى بيّنة من ربي

فقال علي عليه السلام مجيباً لهم: والذي نفسي بيده، لَنَظر إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله اضرب قُدّامه بسيفي، فقال: (لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا علي).

وقال: (يا علي أنت مني بمنزلة هارون بن موسى، غير أنه لا نبي بعدي، وموتك وحياتك يا علي معي).

والله ما كَذَبت ولا كُذِّبت، ولا ضَلَلت ولا ضُلَّ بي، وما نسيت ما عهد إليَّ، وإني لعلى بيّنة من ربّي، وإني لعلى الطريق الواضح أَلقُطه لقطاً.

عمار مع الحق(١)

ومن كلام له عليه السلام يمدح به عمّاراً حين استشهد بصفين:

إن امرأً من المسلمين لم يعظم عليه قتل عمار، ولم يدخل عليه بقتله مصيبة مُوجوعة، لغير رشيد.

رحم الله عماراً يوم أسلم، ورحم الله عماراً يوم قُتل، ورحم الله عماراً يوم يُبعث حياً.

لقد رأيت عماراً ما يُذكر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة إلا كان الرابع، ولا خمسة إلّا كان الخامس.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢٣٨ ـ ٢٣٩، عن أنساب الأشراف: ج١ ص١٧٤ ح٤١٩، والطبقات الكبرى: ج٣ ص٢٦٢.

وما كان أحد من أصحاب محمد يَشكّ في أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير مَوطن ولا اثنين، فهنيئاً لعمار الجنة، عمار مع الحق أين ما دار، وقاتل عمار في النار.

أنا أول من أجاب[١]

ومن كلام له عليه السلام لما رفعت المصاحف، وانخدع بها عشرون ألفاً من أصحابه، وطالبوه بإجابة القوم إلى كتاب الله :

ويحكم، أنا أول من دعا إلى كتاب الله، وأول من أجاب إليه، وليس يحلُّ لي، ولا يسعني في ديني أن أدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما أقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم، ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكني أعلمتكم أنهم قد كادوكم، وأنهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون!

ليت فيكم مثل الأشتر[٢]

ومن كلام له عليه السلام يمدح به الأشتر لما قالوا له: إن الأشتر لا يرضى إلّا بقتال القوم :

بلى، إن الأشتر ليرضى إذا رضيت، وقد رضيتُ ورضيتم، ولن يَصلُح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلّا أن يُعصى الله ويتعدى ما في كتابه.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢٤٩، عن كتاب صفين، وقريب منه في الإمامة والسياسة: ص١٢١ و١٢٤.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢٨٠ ـ ٢٨١، عن كتاب صفين: ص٥٢١.

وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه، فليس هو من أولئك، وليس أتخوَّفه على ذلك [ولا أعرفه على ذلك (خ ل)]، وليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوه مثل رأيه، إذن لخفَّت عليَّ مؤونتكم، ورجَوت أن يستقيم لي بعض أَوَدِكم، وأما القضية فقد استَوثقنا لكم فيها، وقد طمعت أن لاتضلوا إن شاء الله رب العالمين.

أنت أخي ووارثي[1]

ومن كلام لـه عليه السلام في جواب من سأله عن سبب اختصاصه بوراثة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب، فصنع لهم مُداً من الطعام، فأكلوا حتى شبعوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ!!

ثم دعا صلى الله عليه وآله وسلم بعس فشربوا حتى رووا، وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب!!

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا بني عبد المطلب، إني بُعثت إليكم خاصة، وإلى الناس عامة، وقد رأيتم من هذه الآية ما قد رأيتم، فأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي، ووارثي ووزيري؟

فلم يقم إليه أحد!!

فقمت إليه، وكنت أصغر القوم سناً، فقال: اجلس.

ثم قال ذلك ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول: اجلس.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٤٩١ ـ ٤٩٣ الخطبة رقم (٣٠١)، عن كتاب خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص٨٦، ورواه الطبري في تاريخه: ج٢ ص٣٢١.

حتى كان في الثالثة، ضرب بيده على يدي، ثم قال: أنت أخي وصاحبي، ووارثي ووزيري، فبذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

اعرف الحق، تعرف أهله(١)

ومن كلام له عليه السلام مع الحارث الهمداني عندما ذكر له اختصام أصحابه بينهم:

ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط، فإليهم يَرجع الغالي، وبهم يَلحق التالي.

فقال له الحارث: لو كشفت ـ فداك أبي وأمي ـ الرَّين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا.

قال عليه السلام: قدك، فإنك امرؤ ملبوس عليك.

ثم قال: إن دين الله لا يُعرف بالرجال! بل بآية الحق، فاعرِف الحق تعرف أهله.

يا حارث، إن الحق أحسن الحديث، الصادع به مجاهد، وبالحق أخبرك، فأرعني سمعك، ثم خبّر به من كان له حصافة من أصحابك:

ألا إني عبد الله وأخو رسوله، وصدِّيقه الأول [الأكبر (خ ل)]، صدَّقته وآدم بين الروح والجسد.

ثم إني صدِّيقه الأول في أمتكم حقاً.

فنحن الأوّلون ونحن الآخرون، ونحن خاصّته ـ يا حارث ـ

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٦٦٧ ـ ٦٧١ الخطبة رقم (٣٥١)، عن أمالي الشيخ المفيد: ص١٠ المجلس ١ ح٣، وأمالي الشيخ: ص٤١ المجلس ٢٩ ح٥.

وخالصته، وأنا صِنْوه ووصيه ووليه، وصاحب نجواه وسرّه، أوتيت فهم الكتاب، وفصل الخطاب، وعلم القرون والأسباب، واستُودعت ألف مفتاح، يفتح كل مفتاح ألف باب، يفضي كل باب إلى ألف ألف عهد، وأُيّدت واتخذت، وأمددت بليلة القدر نَفلاً، وإن ذلك يجري لي، ولمن استُحفظ من ذريتي، ما جرى الليل والنهار، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قسيم الجنة والنار

وأبشِّرك يا حارث، لتعرفُني عند الممات، وعند الصراط، وعند الحوض، وعند المقاسَمة.

قال الحارث: وما المقاسمة؟

قال: مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحيحة، أقول: هذا وليِّ فاتركيه، وهذا عدوّي فخذيه.

ثم أخذ أمير المؤمنين عليه السلام بيد الحارث، فقال: يا حارث، أخذتُ بيدك كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي فقال لي ـ وقد شكوت إليه حسد قريش والمنافقين لي ـ: إنه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله وبحجزته ـ يعني عصمة من ذي العرش تعالى ـ وأخذت أنت يا علي بحجزتي، وأخذ ذريتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم، فماذا يصنع الله بنبيه، وما يصنع نبيّه بوصيه؟!

خذها إليك يا حارث، قصيرة من طويلة: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت.

يقولها ثلاثاً.

فقام الحارث يجرّ رداءه وهو يقول: ما أبالي بعدها متى لقيت الموت أو لقيني.

سلوني عن كتاب الله(١)

ومن كلام له عليه السلام في مسجد الكوفة والناس حوله:

سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله إلا وقد أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلّمني تأويلها.

فقال ابن الكوّاء: فما كان ينزل عليه وأنت غائب؟

فقال عليه السلام: بلى، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحفظ عليَّ ما غبت عنه، فإذا قدِمتُ عليه قال لي: يا علي، أنزل الله بعدك كذا وكذا فيقرئنيه، وإن تأويله كذا وكذا فيعلِّمُنيه.

محبّتنا أهل البيت إيمان(٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة، واصطفاه بالرسالة، فأنال في الناس وأنال.

وعندنا أهل البيت مفاتيح العلم، وأبواب الحكمة، وضياء الأمر، وفصل الخطاب.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٦٧٦ الخطبة رقم (٣٥٤)، عن كتاب سليم بن قيس: ص١٨٩.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٦٧٩ ـ ٦٨٠ الخطبة رقم (٣٥٦)، عن المحاسن للبرقي: ص١٩٩.

فمن يحبنا أهل البيت ينفعه إيمانه، ويتقبل منه عمله.

ومن لا يحبنا أهل البيت لا ينفعه إيمانه، ولا يتقبل منه عمله، وإن أدأب الليل والنهار لم يَزُل.

إني أولاكم بالله ورسوله[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام:

الحمد لله الذي هدانا من الضلالة، وبصَّرنا من العمى، ومنَّ علينا بالإسلام، وجعل فينا النبوة، وجعلنا النجباء، وجعل أَفراطنا أفراط الأنبياء، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونعبد الله ولا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ من دونه ولياً.

فنحن شهداء الله، والرسول شهيدٌ علينا، نشفع فنشفَّع فيمن شفعنا له، وندعو فيستجاب دعاؤنا، ويُغفر لمن ندعو لـه ذنوبه، أخلصنا لله فلم ندع من دونه ولياً.

أيـها النـاس ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[2].

أيها الناس، إني ابن عم نبيكم، وأولاكم بالله ورسوله، فاسألوني ثم اسألوني، وكأنكم بالعِلم قد نَفَد، وإنه لا يهلِك عالم إلّا يهلِك بعض علمه.

مثل العلماء في الناس

وإنما العلماء في الناس كالبدر في السماء، يضيء نوره على سائر الكواكب.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٢٢ ـ ٢٥ الخطبة رقم (٤)، عن كتاب الإرشاد للمفيد: ص١٢٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

خذوا من العلم ما بدا لكم، وإياكم أن تطلبوه لخصال أربع:

لتباهوا به العلماء.

أو تماروا به السفهاء.

أو تراؤوا به في المجالس.

أو تصرفوا وجوه الناس إليكم للترؤُّس.

لا يستوي عند الله في العقوبة الذين يعلمون والذين لا يعلمون، نفعنا الله وإياكم بما علمنا، وجعله لوجهه خالصاً، إنه سميعٌ مجيب.

إن ها هنا لعلماً جماً[1]

ومن كلام له عليه السلام في جواب من سأله عن نفسه، وعن خيار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ابن مسعود، فقال: قرأ القرآن ووقف عنده، وأحلَّ حلاله وحرّم حرامه.

وسُئل عن حذيفة، فقال: أسرّ إليه علم أسماء المنافقين، طلب عِلماً فأدركه.

وسُئل عن أبي ذر، فقال: وعاءُ مُلئ علماً، وقد ضيّعه الناس!

وسُئل عن عمّار، فقال: مؤمن ينسى، فإذا ذُكّر تذكّر، وقد ملئ إيماناً ما بين قَرنه إلى قدمه!

وسُئل عن سلمان، فقال: أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وهو بحر لا يُنزح! وهو منا أهل البيت.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٤١٩ ـ ٤٢٠ الخطبة رقم (١١١)، عن كتاب تيسير المطالب: ص٧٦، وقريب منه رواه ابن عساكر في كتاب تبيين كذب المفتري: ص٨٠.

وسُئل عنه نفسِهِ، فقال: إيّاه أردتم! كنت إذا سكتُّ ابتُدِيت، وإذا سألت أعطِيت، وإن ما بين هاتين الدّفتين ـ يعني الجنبين ـ لعِلماً جمّاً.

كأنّي بالقائم عليه السلام حين يظهر(١)

ومن كلام له عليه السلام يصف فيه بعض حالات ولده الإمام الثاني عشر عليه السلام:

كأني بالقائم عليه السلام قد عبر من وادي السلام إلى مسيل السهلة، على فرس مُحجّل له شِمراخ يَزهر، يدعو ويقول في دعائه:

لا إله إلّا الله حقاً حقاً، لا إله إلّا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلّا الله تعبُّداً ورِقاً.

اللّهم معزَّ كل مؤمن، ومذلَّ كل جبار عنيد، أنت كهفي حين تعييني المذاهب، وتضيق عليَّ الأرض بما رحُبت.

اللّهم خلقتني وكنت غنياً عن خلقي، ولولا نصرك إياي لكنت من المغلوبين.

يا منشر الرحمة من مواضعها، ومخرج البركات من معادنها، ويا من خصّ نفسه بشُموخ الرِّفعة، وأولياؤه بعزّهِ يتعزّزون.

يا من وضعت له الملوك نَير المذلة على أعناقها، فهم من سطوته خائفون، أسألك باسمك الذي فطرت به خلقك فكلٌّ له مذعنون، أسألك أن تصلّي على محمد وآل محمد، وأن تُنجز لي أمري وتُعجّل لي في الفرج، وتكفيني وتعافيني، وتقضي حوائجي، الساعة الساعة، الليلة الليلة، إنك على كل شيء قدير.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٤٥٥ ـ ٤٥٦ الخطبة رقم (١٢١)، عن كتاب بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣٩١ نقلاً عن كتاب العدد القوية.

أخلاقيات

عند انقلاب الموازين[١]

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ، وَزَمَنٍ كَنُودٍ، يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً، وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً، لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا.

أصناف الناس

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ:

مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ، وَكَلَالَةُ حَدِّهِ، وَنَضِيضُ وَفْرِهِ.

وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ، وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ، وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ، قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ، لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ، أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ، أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ، وَلَبِئْسَ الْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَناً، وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضاً.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَلَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٢)، وإعجاز القرآن للباقلاني: ص١٤٨ ـ ١٤٩، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص٩٨ ـ ٩٩ ب٣١.

الدُّنْيَا، قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ، وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ، وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ، وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلأَمَانَةِ، وَاتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إلى الْمَعْصِيَةِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ، وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ، فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ، فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ، وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدىً.

من أخلاق النبلاء

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ، وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ، فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍّ، وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ، وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ، وَدَاعٍ مُخْلِصٍ، وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ، قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ، وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ، فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ، أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ، قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا، وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا، وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا.

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ، وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ، وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ(١).

---

(١) قال الشريف الرضي: أقول: وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية، وهي من كلام أمير المؤمنين الذي لا يشك فيه، وأين الذهب من الرغام، وأين العذب من الأجاج، وقد دل على ذلك الدليل الخرّيت، ونقده الناقد البصير: عمرو بن بحر الجاحظ، فإنه ذكر هذه الخطبة في كتاب: البيان والتبيين، وذكر من نسبها إلى معاوية، ثم تكلم من بعدها بكلام في معناها جملته، أنه قال: وهذا الكلام بكلام علي أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس، وفي الإخبار عما هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقية والخوف أَلْيَق، قال: ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال، يسلك في كلامه مسلك الزُّهاد ومذاهب العُباد؟!.

الزهد: من قمم الأخلاق(١)

ومن كلام لـه عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، الزَّهَادَةُ: قِصَرُ الأَمَلِ، وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ، وَالتَّوَرُّعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ، فَإِنْ عَزَبَ ذَلِكَ عَنْكُمْ، فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ، وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ، فَقَدْ أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ ظَاهِرَةٍ، وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ.

له الإحاطة بكل شيء(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ، وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ، لـه الإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْء.

من أخلاق العقلاء

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ، وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ.

فَاللَّهَ اللَّهَ! أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابه، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمىً، قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨١)، وبحار الأنوار: ج٦٧ ص٣١٧ ح٢٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٦)، وبحار الأنوار: ج ٤ ص٣١٩ ب ٤ ح٤٥.

وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ، وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَاناً، حَتَّى أَكْمَلَ لـه وَلَكُمْ ـ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابه ـ دِينَهُ الَّذي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابه مِنَ الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ، وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ، وَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ، وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَدِيدٍ.

لا تداهنوا

فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِي كَثِيرِ الأَيَّامِ الَّتِي تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ، وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ الإِدْهَانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

أنصح الناس لنفسه

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ، وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لـه دِينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ وَغُرُورِهِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ، وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلإِيمَانِ، وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ، جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلإِيمَانِ، الصَّادِقُ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، وَالْكَاذِبُ عَلَى شَرَفِ مَهْوَاةٍ وَمَهَانَةٍ، وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ.

مِن أحب العباد إلى الله(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ: عَبْداً أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ، وَتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَى فِي قَلْبِهِ، وَأَعَدَّ الْقِرَى لِيَوْمِهِ النَّازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ الْبَعِيدَ، وَهَوَّنَ الشَّدِيدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ سُهِّلَتْ لـه مَوَارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً، وَسَلَكَ سَبِيلاً جَدَداً.

قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ، وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ، إِلَّا هَمّاً وَاحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى.

قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا، وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا، فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ.

قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الأُمُورِ: مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إلى أَصْلِهِ، مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ، كَشَّافُ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ، دَلِيلُ فَلَوَاتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ.

قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ، وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ، قَدْ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٧)، وأعلام الدين: ص١٢٧ ـ ١٢٩ باب صفة المؤمن.

أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكَانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ، نَفْيُ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً، إِلَّا أَمَّهَا، وَلَا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ، فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ.

مِن أبغض الخلق إلى الله

وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ، وَنَصَبَ لِلنَّاسِ أَشْرَاكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ، وَقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ، وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ، يُؤْمِنُ النَّاسَ مِنَ الْعَظَائِمِ، وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ، يَقُولُ: أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ، وَيَقُولُ: أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ، لَا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ، وَلَا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ، وَذَلِكَ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ.

ما ينبغي لأهل العصمة والتقوى(١)

ومن كلام له عليه السلام في النهي عن غيبة الناس:

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ، وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ، أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ، وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ.

فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ؟ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٠)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص٣١٨ ب٤ ف٢ ح٧٣٤٠.

اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابه بِهِ؟
وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ؟

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذَلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ، مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللَّهِ، لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ، وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ، لَجَرَاءَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ؟

يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ، فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ.

فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلاً له عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

من آداب التآخي(١)

ومن كلام له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ، وَسَدَادَ طَرِيقٍ، فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي، وَتُخْطِئُ السِّهَامُ، وَيُحِيلُ الْكَلَامُ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ، أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ.

فسُئل عليه السلام عن معنى قوله هذا؟

فجمع أصابعه ووضعها بين أذنه وعينه ثم قال: الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ: سَمِعْتُ، وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ: رَأَيْتُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤١)، ووسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٧٩ ب٣٣ ح٢١٨١١، وبحار الأنوار: ج٧٢ ص١٩٧ ب١٢ ح١٦.

المعروف إذا لم يوضع في أهله(١)

ومن كلام له عليه السلام :

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ، وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتَى، إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ، مَا دَامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ: مَا أَجْوَدَ يَدَهُ! وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بِخَيْلٌ.

فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الأَسِيرَ وَالْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغَارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ، ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهَذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا، وَدَرْكُ فَضَائِلِ الآخِرَةِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

ليرأف كبيركم بصغيركم(٢)

ومن كلام له عليه السلام :

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ، وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ، وَلَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ، كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ، يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْراً، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرّاً.

عاقبة الظالمين(٣)

افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٢)، والكافي: ج٤ ص٣٢ باب وضع المعروف موضعه ح٣، وبحار الأنوار: ج٧١ ص٤١٦ ب٣٠ ح٣٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٦)، بحار الأنوار: ج٣٤ ص١١٣ ـ ١١٤ ب٣١.

(٣) نهج البلاغة: ضمن الخطبة ١٦٦.

عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ الله لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ، يُزَعْزِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ، وَايْمُ اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ، كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

التيه: نتيجة التخاذل

أَيُّهَا النَّاسُ، لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ، ولَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ، لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً، بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ اتَّبَعْتُمُ الدَّاعِيَ لَكُمْ، سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ الرَّسُولِ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ الاعْتِسَافِ، وَنَبَذْتُمُ الثِّقْلَ الْفَادِحَ عَنِ الأَعْنَاقِ.

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[1]

ومن خطبة له عليه السلام في أول خلافته :

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٧)، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص٤٠ ـ ٤١ ب١ ح٢٦، وتاريخ الطبري: ج٣ص٤٥٧ اتساق الأمر في البيعة لعلي بن أبي طالب.

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْزَلَ كِتَاباً هَادِياً بَيَّنَ فِيهِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيْرِ تَهْتَدُوا، وَاصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الشَّرِّ تَقْصِدُوا.

الْفَرَائِضَ، الْفَرَائِضَ! أَدُّوهَا إلى اللَّهِ تُؤَدِّكُمْ إلى الْجَنَّةِ، إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ حَرَاماً غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلالاً غَيْرَ مَدْخُولٍ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرَمِ كُلِّهَا، وَشَدَّ بِالإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا، فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ.

بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ، فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُم آخِرُكُمْ.

المسؤولية: خلق إسلامي

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ، فَإِنَّكُمْ مَسْؤُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ.

أقبلوا نصيحة الله[١]

ومن خطبة له عليه السلام :

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحابه مِنَ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٦)، وأعلام الدين: ص١٠٥ ـ ١٠٧ أبيات في التوحيد.

الأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا، لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ».

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ، وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْزِعاً، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إلى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى.

من أخلاق المؤمن

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ، فَلَا يَزَالُ زَارِياً عَلَيْهَا، وَمُسْتَزِيداً لَهَا، فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ، وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ، قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ، وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ.

الناصح الذي لا يغش

وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، زِيَادَةٍ فِي هُدًى، أَوْ نُقْصَانٍ مِنْ عَمًى.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى، فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ، وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ، وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ، إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إلى اللَّهِ تَعَالى بِمِثْلِهِ.

كونوا من أتباع القرآن

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لـه الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ، غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ»، فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ.

الْعَمَلَ، الْعَمَلَ!

ثُمَّ النِّهَايَةَ، النِّهَايَةَ!

وَالِاسْتِقَامَةَ، الِاسْتِقَامَةَ!

ثُمَّ الصَّبْرَ، الصَّبْرَ!

وَالْوَرَعَ، الْوَرَعَ!

إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلى نِهَايَتِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ، وَإِنَّ لِلإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلى غَايَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلى اللَّهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ، أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ، وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ.

استقيموا على الطريقة

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ، وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللَّهِ وَحُجَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا

تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾[(١)]، وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللَّهُ فاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابه، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ، ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا، وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا، وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا، فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

إيّاكم وتلوّن الأخلاق

ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا، وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِداً، وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ، فَإِنَّ هَذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ، وَاللَّهِ مَا أَرَى عَبْداً يَتَّقِي تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْزُنَ لِسَانَهُ، وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ، وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ خَيْراً أَبْدَاهُ، وَإِنْ كَانَ شَرّاً وَارَاهُ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ، لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ، وَمَاذَا عَلَيْهِ!!

وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ»، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ تَعَالى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ، سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ، فَلْيَفْعَلْ.

المؤمن بعيد عن البدع

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَاماً أَوَّلَ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَاماً أَوَّلَ، وَأَنَّ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئاً مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلّ اللَّهُ، وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا، وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَضُرِبَتِ الأَمْثَالُ لَكُمْ، وَدُعِيتُمْ إلى الأَمْرِ الْوَاضِحِ، فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى، وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ، وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ، حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ.

الناس رجلان

وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً، لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ، وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ.

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَسَبَبُهُ الأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَبَقِيَ النَّاسُونَ أَوِ الْمُتَنَاسُونَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْراً فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرّاً فَاذْهَبُوا عَنْهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، اعْمَلِ الْخَيْرَ وَدَعِ الشَّرَّ، فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ».

الظلم ثلاثة

أَلَا وَإِنَّ الظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ.

فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ: فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾[١].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٤٨ و١١٦.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ: فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ، عِنْدَ بَعْضِ الْهَنَاتِ.

وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ: فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً، الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحاً بِالْمُدَى، وَلَا ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذَلِكَ مَعَهُ.

فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى، وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ.

طوبى لمن شغله عيبه

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ.

الإيمان مستقَرّ ومستودَع[1]

ومن كلام له عليه السلام :

فَمِنَ الإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي الْقُلُوبِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَّ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إلى أَجَلٍ مَعْلُومٍ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ، فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ.

وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الأَوَّلِ، مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الإِمَّةِ وَمُعْلِنِهَا، لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٩)، وبحار الأنوار: ج٦٦ص٢٢٧ ب٣٤ ح١٩.

فِي الأَرْضِ، فَمَنْ عرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ، وَلَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ، فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ.

عظم حلمه فعفى[1]

ومن كلام له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي فِي الْخَلْقِ حَمْدُهُ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ، أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ، وَآلَائِهِ الْعِظَامِ، الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى، مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ، وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ، بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، وَلَا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ، وَلَا إِصَابَةِ خَطَأٍ، وَلَا حَضْرَةِ مَلأٍ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

نعم الخُلُق: التقوى

عِبَادَ اللَّهِ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا حَقُّ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللَّهِ حَقَّكُمْ، وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللَّهِ، وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إلى الْجَنَّةِ، مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ.

لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الأُمَمِ الْمَاضِينَ مِنْكُمْ، وَالْغَابِرِينَ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩١).

لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غداً، إِذَا أَعَادَ اللَّهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ عَمَّا أَسْدَى، فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا، وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا، أُولَئِكَ الأَقَلُّونَ عَدَداً، وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، إِذْ يَقُولُ: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[1].

فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا، وَأَلِظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا، وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفاً، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً، أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ، وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ، وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ، وَدَاوُوا بِهَا الأَسْقَامَ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ، وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُم مَنْ أَطَاعَهَا.

صونوا التقوى وتصوّنوا بها

أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهاً، وَإِلى الآخِرَةِ وُلَّاهاً، وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا، وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا، وَلَا تَسْمَعُوا نَاطِقَهَا، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا، وَلَا تَسْتَضِيؤُوا بِإِشْرَاقِهَا، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ، وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ، وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ.

أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ، وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ، وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ، حَالُهَا انْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ.

من دأب الدنيا

دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ، أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلَحَاقٍ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٣.

وَفِرَاقٍ، قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا، فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ، فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ، وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ، وَقَدْ أَدْبَرَتِ الْحِيلَةُ، وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[1].

هَيْهَاتَ، هَيْهَاتَ! قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ، وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[2].

اختار العزّ والكبرياء لنفسه[3]

ومن خطبة له عليه السلام تسمّى (القاصعة) وهي تتضمن ذم إبليس لعنه اللّه، على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام، وأنه أول من أظهر العصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس من سلوك طريقته.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ.

ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ ـ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ، وَمَحْجُوبَاتِ

---

(١) سورة ص، الآية: ٣.

(٢) سورة الدخان، الآية: ٢٩.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٢)، وبحار الأنوار: ج١٤ ص٤٦٥ ـ ٤٧٧ ب٣١ ح٣٧، وأعلام الورى: ص٢٢ ـ ٢٣ ب٢، والمناقب: ج١ ص١٢٩ فصل في إعجازه.

الْـغُـيُـوبِ ـ: ﴿...إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾[1]، اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ.

إبليس: إمام المتعصبين

فَعَدُوُّ اللَّهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، الَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ، وَنَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ، وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ، أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللَّهُ بِتَكَبُّرِهِ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ، فَجَعَلَهُ فِي الدُّنْيَا مَدْحُوراً، وَأَعَدَّ لـه فِي الآخِرَةِ سَعِيراً؟

لو أراد الله لفعل

وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لـه الأَعْنَاقُ خَاضِعَةً، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ، تَمْيِيزاً بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ، وَنَفْياً لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ.

اعتبروا من فعل الله بإبليس

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ، إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ، وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ، لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا، أَمْ مِنْ سِنِي الآخِرَةِ؟ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ.

---

(١) سورة ص، الآيات: ٧١ ـ ٧٤.

فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟

كَلّا، مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ لَوَاحِدٌ، وَمَا بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ.

لا يُعديكم إبليس بدائه

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ عَدُوَّ اللَّهِ، أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجِلِهِ.

فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ، وَأَغْرَقَ إِلَيْكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ، فَقَالَ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ، صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ، وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ.

حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لـه الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَّةُ مِنْهُ فِيكُمْ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إلى الأَمْرِ الْجَلِيِّ، اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ، فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ، وَأَوْطَؤُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ، طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ، وَحَزّاً فِي حُلُوقِكُمْ، وَدَقّاً لِمَنَاخِرِكُمْ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إلى النَّارِ الْمُعَدَّةِ لَكُمْ.

فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ حَرْجاً، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً، مِنَ الَّذِينَ

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ، وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ، فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ، وَلَهُ جِدَّكُمْ.

أجلب إبليس بخيله عليكم

فَلَعَمْرُ اللّهِ، لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ، وَقَصَدَ بِرَجِلِهِ سَبِيلَكُمْ، يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ، لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ، فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ.

فَأَطْفِؤُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ، وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ، وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُوسِكُمْ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ.

وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً بَيْنَكُمْ، وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لـه مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً، وَرَجِلاً وَفُرْسَاناً، وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ، مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ، سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ، مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ، الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

إيّاكم وكبر الحمية

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الأَرْضِ، مُصَارَحَةً لِلَّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ، فَاللَّهَ اللَّهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ، وَفَخْرِ

الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّهُ مَلاَقِحُ الشَّنَئَانِ، وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ، الَّتِي خَدَعَ بِهَا الأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ، حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ، وَمَهَاوِي ضَلاَلَتِهِ، ذُلُلاً عَنْ سِيَاقِهِ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ، أَمْراً تَشَابهتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ، وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ.

لا تطيعوا الأدعياء

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ، الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَجَاحَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا صَنَعَ بِهِمْ، مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ، فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ، وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً، وَلَا لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً، وَلَا تُطِيعُوا الأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ، وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ.

اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ، وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ، وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، اسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ، وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ، فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ.

اعتبروا بما أصاب المستكبرين

فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ

جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ، كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ.

فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ، لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ، فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ، قَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ.

فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ، جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالِاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1]، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ، بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ.

بين موسى عليه السلام وفرعون

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَام عَلَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ، وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لـه إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ، وَدَوَامَ عِزِّهِ، فَقَالَ: أَلا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ، يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ، وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥ ـ ٥٦.

إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ، وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ، وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ، وَوُحُوشَ الأَرَضِينَ لَفَعَلَ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلاءُ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ، وَاضْمَحَلَّتِ الأَنْبَاءُ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ، وَلَا لَزِمَتِ الأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنىً، وَخَصَاصَةٍ تَمْلأُ الأَبْصَارَ وَالأَسْمَاعَ أَذًى.

لماذا الأنبياء من ضعفة الناس؟

وَلَوْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ، وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ، وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ، لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ، وَلآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً، وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ، وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ، وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ، وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ، وَالِاسْتِسْلامُ لِطَاعَتِهِ، أُمُوراً لـه خَاصَّةً، لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ، وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ، كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

من أسرار وجوب الحج

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ الأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ (صلوات الله

عليه) إلى الآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ، الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً.

ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ الأَرْضِ حَجَراً، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدَراً، وَأَضْيَقِ بُطُونِ الأَوْدِيَةِ قُطْراً، بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ، لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ.

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ عليه السلام وَوَلَدَهُ، أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ، تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الأَفْئِدَةِ، مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ، وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً، يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ.

قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيماً، وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إلى جَنَّتِهِ.

لو كانت الكعبة بين رياض ناضرة

وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الأَشْجَارِ، دَانِيَ الثِّمَارِ، مُلْتَفَّ الْبُنَى، مُتَّصِلَ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ، عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ.

وَلَوْ كَانَ الأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا، وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا، بَيْنَ

زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ، لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ.

وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ، إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إلى فَضْلِهِ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ.

الكِبر: مَصيَدة إبليس

فَاللَّهَ اللَّهَ! فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ، فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى، الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ، فَمَا تُكْدِي أَبداً، وَلَا تُشْوِي أَحَداً، لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ، وَلَا مُقِلّاً فِي طِمْرِهِ.

وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ، تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ، وَلِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالأَرْضِ تَصَاغُراً، وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً، مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إلى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَالْفَقْرِ.

انْظُرُوا إلى مَا فِي هَذِهِ الأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ الْكِبْرِ.

التعصّب الأعمى

وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ، إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ الْجُهلاءِ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ السُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ، فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ مَا يُعْرَفُ لـه سَبَبٌ، وَلَا عِلَّةٌ.

أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ، وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ، فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ، وَأَنْتَ طِينِيٌّ.

وَأَمَّا الأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الأُمَمِ، فَتَعَصَّبُوا لآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ، فَـ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1].

ليكن تعصّبكم للمكارم والمحاسن

فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ، فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ، وَمَحَامِدِ الأَفْعَالِ، وَمَحَاسِنِ الأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ، مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ، وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ بِالأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ، وَالأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ، وَالأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ، وَالآثَارِ الْمَحْمُودَةِ.

فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ، مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ، وَالأَخْذِ بِالْفَضْلِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ، وَالإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ، وَالإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ.

احذروا ما نزل بالأمم قبلكم

وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ، بِسُوءِ الأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٥.

الأَعْمَالِ، فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ.

فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاحَتِ الأَعْدَاءُ لـه عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ بِهِ عَلَيْهِمْ، وَانْقَادَتِ النِّعْمَةُ لـه مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ الْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ، مِنَ الاِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضِّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا.

وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ، مِنْ تَضَاغُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الأَيْدِي.

تدبَّروا أحوال المؤمنين الماضين

وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِيصِ وَالْبَلاءِ، أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ الدُّنْيَا حَالاً؟ اتَّخَذَتْهُمُ الْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً، فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ الْهَلَكَةِ، وَقَهْرِ الْغَلَبَةِ، لا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلاً إلى دِفَاعٍ.

حَتَّى إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جِدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالاِحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ الْبَلاءِ فَرَجاً، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ الذُّلِّ، وَالأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ، فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً، وَقَدْ بَلَغَتِ الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَذْهَبِ الآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

ثمرات الاتحاد والاختلاف

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الأَمْلاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ الأَرَضِينَ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟

فَانْظُرُوا إلى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ الأُلْفَةُ وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَارِبِينَ، وَقَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ.

تحت وطأة الأكاسرة والقياصرة

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَبَنِي إِسْحَاقَ، وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عليهم السلام، فَمَا أَشَدَّ اعْتِدَالَ الأَحْوَالِ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الأَمْثَالِ؟

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ، لَيَالِيَ كَانَتِ الأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الآفَاقِ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ، وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا، إلى مَنَابِتِ الشِّيحِ، وَمَهَافِي الرِّيحِ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ، إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ، أَذَلَّ الأُمَمِ دَاراً، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً، لَا يَأْوُونَ إلى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا، وَلَا إلى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا، فَالأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ، فِي بَلَاءِ أَزْلٍ، وَأَطْبَاقِ جَهْلٍ، مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ.

في ظل الأنبياء والأوصياء

فَانْظُرُوا إلى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ، كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا، فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ، وَفِي خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ.

قَدْ تَرَبَّعَتِ الأُمُورُ بِهِمْ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ، وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إلى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ، وَتَعَطَّفَتِ الأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الأَرَضِينَ، يَمْلِكُونَ الأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ، وَيُمْضُونَ الأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ، لا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ.

نفضتم أيديكم من حبل الطاعة

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ، بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عقَدَ بَيْنَهُمْ، مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إلى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً، لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ.

صرتم بعد الهجرة أعراباً

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ، وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ.

تَقُولُونَ: النَّارَ وَلَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِؤُوا الإِسْلَامَ عَلَى

وَجْهِهِ، انْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ، الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ، وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ، وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إلى غَيْرِهِ، حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ، وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ، إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ.

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبْطِؤُوا وَعِيدَهُ، جَهْلاً بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي.

لقد قطعتم قيد الإسلام

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ الإِسْلَامِ، وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ، وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ.

أَلا وَقَدْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَالنَّكْثِ وَالْفَسَادِ فِي الأَرْضِ، فَأَمَّا النَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ، وَأَمَّا الْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ، وَرَجَّةُ صَدْرِهِ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ، وَلَئِنْ أَذِنَ اللَّهُ فِي الْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ، لأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلادِ تَشَذُّراً.

من أخلاق المتّقين[1]

ومن خطبة له عليه السلام يصف فيها المتقين :

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٣)، وكتاب سليم بن قيس: ص٨٤٩ ـ ٨٥٢ ح٤٣، والكافي: ج٢ ص٢٢٦ ـ ٢٣٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح١، والأمالي للصدوق: ص٥٧٠ ـ ٥٧٤ المجلس ٨٤ ح٢.

رُوِيَ: أَنَّ صَاحِباً لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يُقَالُ لَهُ: هَمَّامٌ، كَانَ رَجُلاً عَابِداً، فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صِفْ لِيَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ؟. فَتَثَاقَلَ عليه السلام عَنْ جَوَابه، ثُمَّ قَالَ:

يَا هَمَّامُ، اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ.

فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، ثُمَّ قَالَ عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى خَلَقَ الْخَلْقَ ـ حِينَ خَلَقَهُمْ ـ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ، فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ.

المتقون هم أهل الفضائل

فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الِاقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ، وَلَوْلَا الأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقاً إلى الثَّوَابِ، وَخَوْفاً مِنَ الْعِقَابِ.

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَالْجَنَّةُ

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ، صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً، أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً، تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ، أَرَادَتْهُمُ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا.

ليل المتّقين ونهارهم

أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ، يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً، يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ، فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ، وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلى اللَّهِ تَعَالى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ.

وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ، قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: لَقَدْ خُولِطُوا، وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ، فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ، إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ، خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لَا

تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ.

من علامات المتّقين

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لـه قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْماً فِي لِينٍ، وَإِيمَاناً فِي يَقِينٍ، وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ، وَقَصْداً فِي غِنىً، وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ، وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ، وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ، وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدىً، وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ.

يَعْمَلُ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ، وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ، يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً، حَذِراً لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ، إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ، قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى.

يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلَلُهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينُهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ.

سمات المتّقين البارزة

يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ، بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيِّناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ، وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ، لا يَحِيفُ عَلَى

مَنْ يُبْغِضُ، وَلا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ.

لَا يُضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ، وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ، إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ.

نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، أَتْعَبَ نَفْسَهُ لآخِرَتِهِ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ، بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ.

هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها

قَالَ: فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا.

فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَمَا وَاللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟.

فَقَالَ لـه قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟.

فَقَالَ عليه السلام: وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لا يَعْدُوهُ، وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ، فَمَهْلاً لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ.

خوض الغمار من رضوان الله[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام يصف فيها المنافقين:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٤)، وبحار الأنوار: ج٦٩ ص١٧٦ ـ ١٧٧ ب١٠٣ ح٦.

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لـه مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً، وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً.

وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَاضَ إلى رِضْوَانِ اللَّهِ كُلَّ غَمْرَةٍ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ، وَقَدْ تَلَوَّنَ لـه الأَدْنَوْنَ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الأَقْصَوْنَ، وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا، وَضَرَبَتْ إلى مُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا، مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ، وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ.

احذروا النفاق والمنافقين

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ، فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ، يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ، قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ، يَمْشُونَ الْخَفَاءَ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ، وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ، حَسَدَةُ الرَّخَاءِ، وَمُؤَكِّدُو الْبَلَاءِ وَ مُقْنِطُو الرَّجَاءِ، لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ، وَإِلى كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ، يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ، إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا.

من صفات المنافقين

قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلاً، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحاً، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحاً.

يَتَوَصَّلُونَ إلى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنْفِقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ، يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ.

قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ، فَهُمْ لُمَةُ الشَّيْطَانِ، وَحُمَةُ النِّيرَانِ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(١).

التقوى: زمام وقوام (٢)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ، فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا، تَؤُلْ بِكُمْ إلى أَكْنَانِ الدَّعَةِ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ، وَمَنَازِلِ الْعِزِّ، فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ له الأَقْطَارُ، وَتُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ، وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ، وَتَذِلُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ، فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً، فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ، وَلَا حَمِيمٌ يَنْفَعُ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَدْفَعُ.

من آثار العقل والتعقل(٣)

ومن كلام له عليه السلام :

قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ له لامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ، فَأَبَانَ له الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الأَبْوَابُ إلى بَابِ السَّلامَةِ، وَدَارِ الإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ، فِي قَرَارِ الأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (١٩٥)، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٣١٦ ـ ٣١٧ ب١٤ ح١٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٠)، وبحار الأنوار: ج٦٦ ص٣١٦ ب٣٧ ح٣٤.

التقوى: عتق وتحرر[(١)]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ، بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ، فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ، وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ.

وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ عُمُراً نَاكِساً، أَوْ مَرَضاً حَابِساً، أَوْ مَوْتاً خَالِساً، فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ.

قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ، فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ، وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ، وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ، وَدُجُوُّ أَطْبَاقِهِ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ.

فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً، فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ، بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ.

الجد والاجتهاد: دأب العقلاء

فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاِجْتِهَادِ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاِسْتِعْدَادِ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا، كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٠)، وبحار الأنوار: ج٧٠ ص٨٣ ب١٢٢ ح٤٦.

الْمَاضِيَةِ، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ، الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا.

وَأَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً، لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ.

فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ، لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا.

من علامات الزاهدين

كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا، فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا، عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ، تَقَلَّبُ أَبْدَانِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الآخِرَةِ، وَيَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ، وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ.

أفضل الأخلاق: إحياء الحق[(١)]

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.

فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ: بُلُوغُ لَذَّةٍ، أَوْ شِفَاءُ غَيْظٍ، وَلَكِن إِطْفَاءُ بَاطِلٍ، أَوْ إِحْيَاءُ حَقّ.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٦)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٤٩٢ ب٢٩ ح٦٩٨، ومستدرك سفينة البحار: ج٨ ص١٦٣ باب الغفلة واللهو وكثرة الفرح.

وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

الصفح مع الدولة[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمذاني:

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ، وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ.

وَعَظِّمِ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ، وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ، وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ، وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ، أَوْ اعْتَذَرَ مِنْهُ.

وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِباً، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ، فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلاً.

وَاكْظِمِ الْغَيْظَ، وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ، تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٩)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٥٠٨ ـ ٥٠٩ ب٢٩ ح٧٠٧.

أفضل المؤمنين

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ، وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ، وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ.

اسكن الأمصار العظام

وَاسْكُنِ الأَمْصَارَ الْعِظَامَ، فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.

وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ، وَقِلَّةَ الأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ.

وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الأَسْوَاقِ، فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ، وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ.

وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إلى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ.

وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ، إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ.

وَأَطِعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ، فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا.

وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ، وَأَرْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا، إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا، وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا.

وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ، فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللَّهَ، وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ.

وَاحْذَرِ الْغَضَبَ، فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ. وَالسَّلامُ.

حجب العقول عن أن تتخيّل ذاته[١]

ومن خطبة لـه عليه السلام تعرف بالوسيلة:

الحمد لله الذي أعدم الأوهام أن تَنال إلى وجوده، وحجب العقول أن تَختال[٢] ذاته، لامتناعها من الشَّبه والتشاكل، بل هو الذي لا تتفاوت ذاته، ولا تتبعَّض بتجزِئة العَدَد في كماله.

فارَق الأشياء لا باختلاف الأماكن، ويكون فيها لا على الممازجة، وعَلِمَها لا بأداة لا يكون العلم إلّا بها، وليس بينه وبين معلومه عِلمٌ غيره كان عالماً لعلومه.

إن قيل: كان، فعلى تأويل أزليّة الوجود.

وإن قيل: لم يزُل، فعلى تأويل نفي العدم، فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه فاتّخذ إلهاً غيره علوّاً كبيراً.

نحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه، وأوجب قبوله على نفسه.

الشهادتان: الكلمتان الطيّبتان

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، شهادتان تَرفعان القول، وتضاعفان العمل، خَفَّ ميزان تُرفعان منه، وثقُل ميزان توضعان فيه، وبهما الفوز بالجنة، والنجاة من النار، والجواز على الصراط، وبالشهادة تدخلون الجنة.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٤٨ ـ ٦٣ الخطبة رقم (١٣)، عن تحف العقول: ص٦١ في المختار الرابع من كلامه.

(٢) تتخيل، خ ل.

وبالصلاة تنالون الرحمة، فأكثروا من الصلاة على نبيكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1].

لا شرف أعلى من الإسلام

أيها الناس، إنه لا شرف أعلى من الإسلام، ولا كرم أعزّ من التقوى، ولا مَعقِل أحرز من الورع، ولا شفيع أنجح من التوبة، ولا لباس أجلّ من العافية، ولا وِقاية أمنع من السلامة، ولا مال أذهب بالفاقة من الرضا والقُنُوع، ومن اقتصر على بُلغة الكفاف فقد انتظم الراحة.

والرغبة مفتاح التعَب، والاحتكار مطِيّة النَّصَب، والحسد آفة الدين، والحِرص داع إلى التقحّم في الذنوب، وهو داع إلى الحرمان، والبغْي سائق إلى الحَين، والشّرَه جامع لمساوي العيوب، رُبَّ طمع خائب، وأمل كاذب، ورجاء يؤدِّي إلى الحرمان، وتجارة تؤُول إلى الخسران.

ألا ومن تورّط في الأمور غير ناظر في العواقب، فقد تعرّض لمفضِحات النوائب، وبئست القلادة الدَين[2] للمؤمن.

لا جمال أحسن من العقل

أيها الناس، إنه لا كنز أنفع من العلم، ولا عزَّ أنفع من الحلم، ولا حسب أبلغ من الأدب، ولا نصب أوجع من الغضب، ولا جمال أحسن من العقل، ولا قرين أشر من الجهل، ولا سَوأة أسوأ من الكذب، ولا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) الذنب، خ ل.

حافظ أحفظ من الصمت، ولا غائب أقرب من الموت.

من حفر لأخيه بئراً وقع فيه

أيها الناس، إنه من نظر في عيب نفسه شغل عن عيب غيره، ومن رضي برزق الله لم يأسف على ما في يد غيره، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عَورات بيته، ومن نسي زلّته استعظم زلل غيره، ومن أعجب برأيه ضلّ، ومن استغنى بعقله زلّ، ومن تكبّر على الناس ذلّ، ومن سَفَه على الناس شُتم، ومن خالط العلماء وُقر، ومن خالط الأنذال حُقّر، ومن حمل ما لا يُطيق عجز.

لا عبادة كالتفكّر

أيها الناس، إنه لا مال هو أعود من العقل، ولا فقر هو أشد من الجهل، ولا واعظ هو أبلغ من النصح، ولا عقل كالتدبير، ولا عبادة كالتفكّر، ولا مُظاهرة أوثق من المشاورة، ولا وَحدة أوحش من العُجب، ولا ورع كالكفِّ، ولا حلم كالصبر والصمت.

عشر خصال يظهرها اللسان

أيها الناس، إن في الإنسان عشر خصال يُظهرها لسانه:

شاهد يُخبر عن الضمير، وحاكم يَفصل بين الخطاب، وناطق يُردّ به الجواب، وشافع تُدرِك به الحاجة، وواصف تعرِف به الأشياء، وأمير يأمر بالحسن، وواعظ ينهى عن القبيح، ومُعَزّ تُسكّن به الأحزان، وحامد تُجلى به الضغائن، ومونق يُلهي الأسماع.

بين الصمت والكلام

أيها الناس، إنه لا خير في الصمت عن الحُكم، كما أنه لا خير في القول بالجهل.

اعلموا أيّها الناس، أنه من لم يَملِك لسانه يندم، ومن لا يتعلم يجهل، ومن لا يتحلم لا يحلم، ومن لا يرتدع لا يعقِل، ومن لا يعقِل يَهُن، ومن يَهُن لا يُوَقّر، ومن يتّق ينج، ومن يكسب مالاً من غير حقَه يصرفه في غير أجره، ومن لا يدعُ وهو محمود يدعُ وهو مذموم، ومن لم يُعط قاعداً مُنع قائماً، ومن يطلب العزَّ بغير حق يُذَلّ، ومن عاند الحق لزمه الوهن، ومن تفقّه وُقّر، ومن تكبر حُقّر، ومن لا يُحسِن لا يُحمد.

القبر خير من الفقر

أيها الناس، إن المنيَّة قبل الدنيَّة، والتجلُّد قبل التبلُّد، والحساب قبل العقاب، والقبر خير من الفقر، وعُمي البصر خير من كثير من النظر، والدهر يوم لك ويوم عليك، فاصبر فبكليهما تُمتحَن.

أعجب ما في الإنسان

أيها الناس، أعجب ما في الإنسان قلبه، وله موادٌّ من الحكمة، وأضداد من خلافها، فإن سَنَح لـه الرجاء أذلّه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحِرص، وإن مَلَكه اليأس قتله الأسف، وإن عَرض لـه الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعد بالرضا نسي التحفُّظ.

وإن ناله الخوف شغله الحزن، وإن اتّسع بالأمن استلبته الغِرّة، وإن جُدّدت لـه نعمة أخذته العزَّة، وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى، وإن عضّته فاقة

شغله البلاء، وإن أَصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن أجهده الجزع قعد به الضعف، وإن أَفرط في الشبع كظّته البِطنة، فكل تقصير به مُضِر، وكل إفراط لـه مفسِد.

من جاد ساد

أيها الناس، من قلّ ذلّ، ومن جاد ساد، ومن كثر ماله رأس، ومن كثُر حلمه نبُل، ومن فكّر في ذات الله تزندق، ومن أكثر من شيء عُرف به، ومن كثُر مزاحه استُخفَّ به، ومن كثُر ضحكه ذهبت هَيبته.

فسد حسب من ليس لـه أدب، إن أفضل الفعال صيانة العِرض بالمال، ليس من جالَس الجاهل بذي معقول.

من جالس الجاهل فليستعدَّ لقيل وقال، لن ينجو من الموت غني بماله، ولا فقير لإقلاله.

إنّ للقلوب شواهد

أيها الناس، إنّ للقلوب شواهد تُجري الأنفس عن مَدرجة أهل التفريط.

فِطنة الفهم للمواعظ مما تدعو النفس إلى الحذر من الخطأ، وللنفوس خواطِر للهوى، والعقول تَزجر وتَنهى، وفي التجارب عِلم مستأنَف، والاعتبار يقود إلى الرشاد.

وكفاك أدباً لنفسك ما تكرهه من غيرك.

عليك لأخيك المؤمن مثل الذي لك عليه.

لقد خاطر من استغنى برأيه، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم،

ومن استقبل وُجوه الآراء عَرَف مواقع الخطأ، ومن أمسك عن الفُضول عدّلت رأيه العقول، ومن حصر شهوته فقد صان قدْره، ومن أمسك لسانه أمِنه قَومُه ونال حاجته، وفي تقلّب الأحوال عُلم جواهر الرجال، والأيام توضح لك السرائر الكامنة.

أشرف الغنى: ترك المنى

وليس في البرق الخاطف مُستمتَع لمن يَخوض في الظلمة، ومن عُرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار والهيبة، وأشرف الغنى ترك المنى، والصبر جُنَّة من الفاقة، والحرص علامة الفقر، والبخل جلباب المسكنة.

والمودّة قرابة مستفادة، ووَصول مُعدِم خير من جاف مكثِر، والموعظة كهف لمن وعاها، ومن أطلق طرفه كثر أسفه، ومن ضاق خلقه ملّه أهله، ومن نال استطال، قلّ ما تُصدّقك الأُمنيّة، التواضع يكسوك المهابة، وفي سَعة الأخلاق كُنوز الأرزاق.

في خلاف النفس رُشدُها

من كساه الحياء ثَوبه خفي على الناس عيبه، تَحرَّ القصد من القول، فإنه من تحرّى القصد خفّت عليه المُؤَن، في خلاف النفس رُشدُها، من عرف الأيام لم يَغفُل عن الاستعداد.

ألا وإن مع كل جُرعة شَرَقاً، وفي كل أُكلة غُصَصاً، لا تَنال نعمة إلّا بزوال أخرى، لكل ذي رَمَق قوت، ولكل حبَّة آكل، وأنت قوت الموت.

اعلموا أيّها الناس، أنه من مشى على وجه الأرض فإنه يصير إلى بطنها، والليل والنهار يتسارعان في هدم الأعمار.

من الكرم: لين الكلام

أيّها الناس، كفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهل شؤم، من الكرم لين الكلام.

إيّاك والخديعة! فإنها من خُلُق اللئام، ليس كل طالب يُصيب، ولا كل غائب يَؤُب.

لا ترغب فيمن زهد فيك.

رُبّ بعيد هو أقرب من قريب.

سل عن الرفيق قبل الطريق، وعن الجار قبل الدار.

استر عَورة أخيك لما تعلمه فيك، اغتفر زلَّة صديقك ليوم يركبك عدوُّك، مَن غضب على من لا يقدر أن يضره طال حزنه، وعذب نفسه.

من خاف ربه كفَّ ظلمه، من لم يعرف الخير من الشر فهو بمنزلة البهيمة.

إن من الفساد إضاعة الزاد، ما أصغر المصيبة مع عِظَم الفاقة غداً، وما تناكرتم إلّا لما فيكم من المعاصي والذنوب، ما أقرب الراحة من التعب، والبؤس من التغيير.

معيار الخير والشر

ما شرّ بشرٍّ بعده الجنة، وما خيرٌ بخيرٍ بعده النار، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية.

عند تصحيح الضمائر تبدو الكبائر، تصفية العمل أشد من العمل، تخليص النية عن الفساد أشد على العاملين من طول الجهاد.

هيهات، هيهات! لولا التّقى كنتُ أدهى العرب.

عليكم بالعدل على العدو والصديق

عليكم بتقوى الله في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وبالعدل على العدو والصديق، وبالعمل في النشاط والكسل، والرضا عن الله في الشدة والرخاء.

من كثُر كلامه كثر خطؤه، ومن كثر خطؤه قلَّ حياؤه، ومن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومن قلَّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار.

ومن تفكّر اعتبر، ومن اعتبر اعتزل، ومن اعتزل سَلِم.

الحرّ: من ترك الشهوات

ومن ترك الشهوات كان حراً، ومن ترك الحسد كانت له المحبة عند الناس.

عزّ المؤمن غناه عن الناس، القناعة مالٌ لا ينفد، ومن أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير، ومن علم أن كلامه من عمله قلّ كلامه إلّا فيما ينفعه.

العجب ممن يخاف العقاب فلا يكُفّ، ويرجو الثواب ولا يتوب.

وعَمَلُ الفكر يورث نوراً، والغفلة ظُلمة، والجهالة ضلالة.

والسعيد من وُعظ بغيره، والأدب خير ميراث، وحسن الخلق خير قرين.

ليس مع قطيعة الرحم نَماء، ولا مع الفجور غنى، العافية عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت إلّا بذكر الله، وواحد في ترك مجالسة السفهاء.

رأس العلم: الرفق

رأس العلم الرفق، وآفته الخُرق، ومن كنوز الإيمان الصبر على المصائب، والعَفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى، كثرة الزيارة تورث الملالة، والطمأنينة قبل الخُبرة ضدّ الحزم.

إعجاب المرء بنفسه يدل على ضعف عقله، لا تُؤيِس مذنباً فكم من عاكف على ذنبه خُتم لـه بخير، وكم من مُقبل على عمله مفسد لـه في آخر عمره صائر إلى النار.

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد.

طوبى للمخلصين

طوبى لمن أخلص لله عَمله وعِلمه، وبُغضه وحُبَّه، وأخذه وتركه، وكلامه وصمته، وفعله وقوله.

لا يكون المسلم مسلماً حتى يكون ورِعاً، ولن يكون ورِعاً حتى يكون زاهداً، ولن يكون زاهداً حتى يكون حازماً، ولن يكون حازماً حتى يكون عاقلاً، وما العاقلُ إلّا من عقل عن الله، وعمل للدار الآخرة.

وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين.

أحسن يحسن إليك[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام مع نَوف البِكالي حين سأله أن يعظه:

يا نَوف، أحسن يُحسن إليك.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٤٤٦ ـ ٤٤٨ الخطبة رقم (١٣٧)، عن أمالي الصدوق: ص١٨٥ ح٩ من المجلس ٣٧.

فقال: يا نَوف، ارحم تُرحم.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

قال: يا نَوف، قل خيراً تُذكر بخير.

فقلت: زدني يا أمير المؤمنين.

قال: يا نَوف، اجتنب الغيبة، فإنها أدام كلاب النار.

لا تكن أحد هؤلاء

ثم قال: يا نَوف، كذب من زعم أنه وُلِد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، وكذب من زعم أنه وُلد من حلال وهو يبغضني ويبغض الأئمة من ولدي، وكذب من زعم أنه وُلد من حلال وهو يحب الزنى، وكذب من زعم أنه وُلد من حلال وهو مجترئ على معاصي الله كل يوم وليلة.

يا نَوف، اقبل وصيّتي: لا تكوننّ نقيباً، ولا عريفاً، ولا عشّاراً، ولا بريداً.

حسّن خلقك يُخفّف حسابك

يا نَوف، صِل رحمك يزد الله في عمرك، وحسّن خلقك يُخفّف الله حسابك.

يا نَوف، إن سرّك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين مُعيناً.

يا نَوف، من أحبّنا كان معنا يوم القيامة، ولو أن رجلاً أحب حجراً لحشره الله معه.

يا نَوف، إيّاك أن تَتزين للناس، وتُبارز الله بالمعاصي فيفضحك الله يوم تلقاه.

يا نَوف، احفظ عني ما أقول لك، تَنَل به خير الدنيا والآخرة.

كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام(١)

ومن كلام لـه عليه السلام يخبر فيه عن سيطرة الأشرار.

قال أبو عطاء: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام محزوناً يتنفس فقال:

كيف أنتم وزمان قد أظلكم؟ تُعطّل فيه الحدود، ويُتّخذ المال فيه دُوَلاً، ويُعادى فيه أولياء الله، ويُوالى فيه أعداء الله!

قلنا: يا أمير المؤمنين، فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع؟

قال: كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام، نُشروا بالمناشير، وصُلبوا على الخُشُب. موت في طاعة الله عزّ وجلّ خير من حياة في معصية الله.

كونوا في الناس كالنحل في الطير(٢)

ومن كلام لـه عليه السلام يوصي فيه شيعته بمكارم الأخلاق:

كونوا في الناس كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلّا وهو يَستضعِفها، ولو يعلم ما في أجوافها لم يَفعل بها ما يَفعل!

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٦٣٩ الخطبة رقم (٣٤٥)، عن دستور معالم الحكم: ص١١٣ أواخر الباب ٥.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٦٨٦ ـ ٦٨٧ الخطبة رقم (٣٦١)، عن مقدمة كتاب الغيبة للنعماني: ص٨، ورواه في أمالي الشيخ المفيد: ص٨٤ ح٧ من المجلس ١٥.

خالِطوا الناس بأبدانكم، وزائلوهم بقلوبكم وأعمالكم، فإن لكل امرئ ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

موت الأخلاق: من علامات الظهور

أما إنكم لن تَروا ما تحبون وما تأملون ـ يا معشر الشيعة ـ حتى يَتفُل بعضكم في وجوه بعض، وحتى يسمّي بعضكم بعضاً كذّابين، وحتى لا يبقى منكم على هذا الأمر إلّا كالكحل في العين، والملح في الطعام، وهو أقلّ الزاد.

احذر الأحمق والحماقة[1]

ومن كلام له عليه السلام في التحذير عن مصادقة الأحمق:

يا فلان، ما العدوُّ إلى عدوِّه أسوَأ تضييعاً من الأحمق إلى نفسه!

احذر الأحمق، فإن الأحمق يرى نفسه محسناً وإن كان مسيئاً! ويرى عجزه كَيساً، وشرَّه خيراً!.

إن استغنى بَطَر، وإن افتقر قنط، وإن ضحك شَهَق، وإن بكى خار، وإن نصحك أخجلك، وإن اعتزلك شتمك، وإن كان فَوقك حقرك، وإن كان دونك همزك.

فاستعن بالله، وعليك بالأخلاق الصالحة، فإن كنت غنياً فأحسن، وإن كنت فقيراً فاصبر، وضع نفسك للحق، وفِرّ بها من الباطل، ولا

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ الخطبة رقم (٥٩)، عن تيسير المطالب في ترتيب أمالي السيد أبي طالب: ص٢٦٦ من الباب ٥٥ من النسخة المخطوطة وص٤١٩ من المطبوعة.

تتكل في معيشتك على كسب غيرك! وتنتظر متى يتصدّق عليك.

مصائب أخلاقية عظيمة(١)

ومن كلام له عليه السلام :

أيها الناس، سبع مصائب عظام ـ ونعوذ بالله منها ـ: عالم زلّ، وعابد ملّ، ومؤمن ضلّ، ومؤتمن غلّ، وغني أقلّ، وعزيز ذلّ، وفقير اعتلّ.

من موانع الدعاء

فقام إليه رجل فقال: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت القبلة إذا ما ضللنا، والنور إذا ما أظلمنا، ولكن نسألك عن قول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾(٢)، فما بالنا ندعو فلا يجاب لنا دعاؤنا؟.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن قلوبكم جاءت بثمان خصال:

أولها: إنكم عرفتم الله، فلم تؤدوا حقه كما أوجب عليكم، فما أغنت عنكم معرفتكم شيئاً.

والثانية: إنكم آمنتم برسوله، ثم خالفتم سنته وأمتّم شريعته، فأين ثمرة إيمانكم؟.

والثالثة: إنكم قرأتم كتابه المنزل عليكم، فلم تعملوا به، وقلتم: سمعنا وأطعنا، ثم خالفتم.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٢٤٥ ـ ٢٤٧ الخطبة رقم (٦٣)، عن كتاب بحار الأنوار: ج٩٣ ص٣٧٦ عن كتاب دعائم الدين نقلاً عن كتاب التنبيه.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

والرابعة: إنكم قلتم: إنكم تخافون من النار، وأنتم في كل وقت تُقدِمون عليها بمعاصيكم، فأين خوفكم؟.

والخامسة: إنكم قلتم: إنكم ترغبون في الجنة، وأنتم في كل وقت تفعلون ما يباعدكم منها، فأين رغبتكم فيها؟.

والسادسة: إنكم أكلتم نعم الله ولم تشكروه عليها.

والسابعة: إن الله أمركم بعداوة الشيطان، وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[1]، فعاديتموه بالقول، وواليتموه بالمخالفة.

والثامنة: إنكم جعلتم عيوب الناس نصب أعينكم، وعيوبكم وراء ظهوركم، تلومون من أنتم أحق باللَّوم منه، فأيُّ دعاء يستجاب مع هذا؟ وقد سددتم أبوابه وطُرُقه.

موجبات الإجابة

فاتقوا الله، وأصلحوا أعمالكم، وأخلصوا سرائركم، وأمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، فيستجيب الله لكم دعاءكم.

ثلاثة يجتنب مؤاخاتهم[2]

ومن كلام له عليه السلام في التحذير من مصادقة أصناف ثلاثة:

ينبغي للمسلم أن يجتنب مواخاة ثلاثة: الماجن، والأحمق، والكذّاب.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٢٦٨ ـ ٢٦٩ الخطبة رقم (٧١)، عن الكافي: ج٢ ص٣٧٦ وص٦٣٨.

فأما الماجن: فيُزَيّن لك فعله، ويحب أن تكون مثله، ولا يُعينك على أمر دينك ومعادك، ومقارنته جفاء وقَسوَة، ومدخله ومخرجه عليك عار.

وأما الأحمق: فإنه لا يُشير عليك بخير، ولا يُرجى لصرف السوء عنك ولو أجهد نفسه، وربما أراد منفعتك فضرّك! فموته خير من حياته، وسكوته خير من نُطقه، وبُعده خير من قُربه.

وأما الكذّاب: فإنه لا يَهنَؤك معه عَيش، ينقل حديثك وينقل إليك الحديث! كلما أفنى أحدوثة مطّها بأخرى، حتى إنه يُحدّث بالصدق فما يُصدّق، ويُغري بين الناس بالعداوة فيُنبت السخائم في الصدور، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم.

اجتنب الغضب(١)

ومن وصية له عليه السلام لرجل التمس منه الوصيّة:

أوصيك بتقوى الله، واجتناب الغضب، وترك الأماني، وأن تحافظ على ساعتين من النهار: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ومن العصر إلى غروبها، ولا تفرح بما علِمت، ولكن بما عمِلت فيها.

أخلاق مذمومة(٢)

ومن كلام له عليه السلام في ذميم الأخلاق:

لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل، ويرجو التوبة بطول الأمل،

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي:ج٨ ص٩٥ الخطبة رقم (٢١)، عن تاريخ اليعقوبي: ج٢ص١٨٥.

(٢) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص٧٧ ـ ٧٨ ب٤.

ويقول في الدنيا قول الزاهدين، ويعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها لم يشبع، وإن مُنع منها لم يقنع، يَعجِز عن شكر ما أوتي، ويبتغي الزيادة فيما بقي، وينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي.

يحبّ الصالحين ولا يعمل بعملهم، ويُبغض الطالحين وهو منهم، ويَكره الموت لكثرة ذنوبه، ويُقيم على ما يكره الموت له، إن سقم ظل نادماً، وإن صحَّ قام لاهياً، يُعجِب بنفسه إذا عوفي، ويَقنِط إذا ابتلي.

صفات دانية

تغلبه نفسه على ما يَظن، ولا يَغلبها على ما يَستَيقن، لا يَثِق من الرزق بما ضمن له، ولا يعمل من العمل بما فُرض عليه، إن استغنى بطر، وإن افتقر قنط ووهن، فهو من الذنب والنعمة مُوقَر، يبتغي الزيادة ولا يشكر، يَتكلف من الناس ما لم يُؤمر، ويُضَيّع من نفسه ما هو أكثر، يُبالغ إذا سأل، ويُقصّر إذا عمل.

يخشى الموت، ولا يبادر الفوت، يستكثر من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقّره من غيره، وهو على الناس طاعن، ولنفسه مداهن، ولَلَّغْوُ مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء، يحكم على غيره لنفسه، ولا يحكم عليها لغيره، وهو يُطاع ويَعصي، ويَستَوفي ولا يوفي.

عليك بخصال الخير(١)

ومن كلام له عليه السلام في مكارم الأخلاق:

عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أوصاني أبي عليه السلام قبل موته بثلاثين خَصلة، قال:

---

(١) دستور معالم الحكم: ص٧٩ ـ ٨٢ ب٤ وصيته لابنه الحسن.

يا بني، إن أنت عملت بها في الدنيا سلّمك الله من شرّ الدنيا والآخرة.

قال: قلت: وما هي يا أبه؟.

فقال: احذر من الأمور ثلاثاً، وخف من ثلاث، وارج ثلاثاً، ووافق ثلاثاً، واستحي من ثلاث، وافزع إلى ثلاث، وشُحّ على ثلاث، وتخلَّص إلى ثلاث، واهرب إلى ثلاث، واهرب من ثلاث، وجانب ثلاثاً، يجمع الله لك بذلك حُسن السيرة في الدنيا والآخرة.

احذر ثلاثاً

فأما الذي أمرتك أن تحذرها: فاحذر الكِبر، والغضب، والطمع.

فأما الكِبر: فإنه خَصلة من خِصال الأشرار، والكبرياء رداء الله عزّ وجلّ، ومن أسكن الله قلبه مثقال حبَة من كِبر أورده النار.

والغضب يُسفّه الحليم، ويُطيش العالم، ويُفقَد معه العقل، ويَظهر معه الجهل.

والطمع فَخ من فخاخ إبليس، وشَرَك من عظيم احتباله، يَصيد به العلماء والعقلاء، وأهل المعرفة وذَوي البصائر.

خَف ثلاثاً

قال: قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: خف ثلاثاً.

قال: نعم يا بني، خف الله، وخف من لا يخاف الله، وخف لسانك فإنه عدوُّك على دينك، يؤمِنك الله جميع ما خِفته.

ارجُ ثلاثاً

قال: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: وارج ثلاثاً.

قال: يا بني، ارج عفو الله عن ذنوبك، وارج محاسن عملك، وارج شفاعة نبيك صلى الله عليه وآله.

وافِق ثلاثاً

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: وافق ثلاثاً.

قال: نعم، وافق كتاب الله، ووافق سنة نبيك صلى الله عليه وآله، ووافق ما يوافق الحق والكتاب.

استحِ من ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: استحِ من ثلاث.

قال: نعم يا بني، استحِ من مطالعة الله إيّاك وأنت مقيم على ما يكره، واستحِ من الحفظة الكرام الكاتبين، واستحِ من صالح المؤمنين.

افزَع إلى ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: وافزع إلى ثلاث.

قال: نعم، افزع إلى الله في ملمّات أمورك، وافزع إلى التوبة في مَساوي عملك، وافزع إلى أهل العلم وأهل الأدب.

شُحَّ على ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: شحّ على ثلاث.

قال: نعم، شح على عمرك أن تُفنيَه مما هو عليك لا لك، وشحّ على دينك ولا تَبذله للغضب، وشحّ على كلامك إلّا ما كان لك ولا عليك.

تخلّص إلى ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: تخلّص إلى ثلاث.

قال: نعم يا بني، تخلّص إلى معرفتك نفسك وإظهار عيوبها ومقتك إياها، وتخلّص إلى تقوى الله، ثم تخلّص إلى إخمال نفسك وإخفاء ذكرك.

أُهرُب من ثلاث

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: واهرب من ثلاث.

قال: نعم يا بني، أُهرب من الكذب، واهرب من الظالم وإن كان وَلَدك أو والدك، واهرب من مواطن الامتحان التي يحتاج فيها إلى صبرك.

جانِب ثلاثاً

قلت: صدقت يا أبه، فأخبرني عن قولك: جانب ثلاثاً.

قال: نعم يا بني، جانب هواك وأهل الأهواء، وجانب الشر وأهل الشر، وجانب الحمقى وإن كانوا متقرّبين أو مَشيَخة مختصّين، والسلام.

احفظ عني أربعاً وأربعاً[1]

ولما ضربه عليه السلام ابن ملجم، دخل عليه الحسن عليه السلام وهو باك، فقال له:

ما يبكيك يا بني؟.

فقال له: ما لي لا أبكي، وأنت في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا؟.

---

(١) دستور معالم الحكم: ص٨٩ ـ ٩٠ ب٤ وصيته للحسن لما ضربه ابن ملجم.

فقال له: يا بني، احفظ عني أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت بهن شيء.

قلت: وما هن يا أبه؟.

قال: إن أغنى الغنى العقل، وأكثر الفقر الحُمق، وأوحش الوحشة العُجب، وأكرم الحسب حُسن الخلق.

قلت: يا أبه، هذه أربع، فأعطني الأربع.

قال: يا بني، وإيّاك ومصادقة الأحمق! فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.

وإيّاك ومصادقة الكذّاب! فإنه يقرّب عليك البعيد، ويبعّد عليك القريب.

وإيّاك ومصادقة البخيل! فإنه يقعُد بك عند أحوج ما تكون إليه.

وإيّاك ومصادقة الفاجر! فإنه يبيعّك في نفاقه.

من آداب السائل والمجيب(١)

وكلام له عليه السلام يوصي به السائل والمجيب:

أما بعد، أيّها الناس إذا سأل سائل فليعقل، وإذا سُئل فليتثبَّت، فوالله لقد نزلت بكم نوازل البلاء، وحقائق الأمور لِفَشَل كثير من المسؤولين، وإطراق كثير من السائلين.

مواصفات أبغض خلق الله(٢)

وقال عليه السلام:

ذمّتي رهينة وأنا به زعيم لمن صرّحت له العبر، أن لا يهيج على

---

(١) دستور معالم الحكم: ص٩٧ ب٥.

(٢) دستور معالم الحكم: ص١٢١ ـ ١٢٣ ب٦.

التقوى زَرْع قوم، ولا يظمأ على التقوى سِنخ أصل.

ألا وإن بغض خلق الله إلى الله: رجل قَمَش عِلماً غارّاً بأغباش الفتنة، عَمِيّاً بما في غَيب الهُدنة، سمّاه أشباهه من الناس عالماً، ولم يَغن في العِلم يوماً سالماً، بكَّر فاستكثر مما قلَّ منه، فهو خير مما كثَّر.

حتى إذا ما ارتَوى من آجِن، وأكثر من غير طائل، قَعَد بين الناس قاضياً لتخليص ما التبس على غيره، إن نزلت به إحدى المبهمات هيّأ حشواً رأياً من رأيه، فهو من قَطع الشبهات في مثل غَزل العنكبوت، لأنه لا يَعلم إذا أخطأ، أأخطأ أم أصاب.

خَبّاط عَشَوات، رَكّاب جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فَيَسلم، ولا يَعَض في العِلم بضِرس قاطع، يذرو الرواية ذَروَ الريح الهشيم، تبكي منه الدماء، وتصرخ منه المواريث، ويُستحل بقضائه الفَرج الحرام، لا مليء والله بإصدار ما ورد عليه، ولا أهل لما قُرّظ به.

المؤمن وصفاته(١)

وكلام لـه عليه السلام يصف فيه المؤمن:

صفة المؤمن: قوَّة في دينه، وجُرأة في لينه، وإيمان في يقينه، وخَوض في فقه، وبِرٌّ في استقامة، وعمل في علم، ونشاط في هدى، وكَيس في رِفق، لا يَغلبه فَرجه، ولا يَفضحه بطنه، نفسه منه في عناء، والناس منه في إعفاء، لا يَغتاب، ولا يَتكبر.

من آداب المتعلم(٢)

وقال عليه السلام في حق العالم:

(١) دستور معالم الحكم: ص١٢٩ ب٧ وصفه للمؤمن.
(٢) دستور معالم الحكم: ص١٣١ ـ ١٣٢ ب٧ وصفه للعالم.

من حق العالم: أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تُعِنته في الجواب، ولا تُلحّ عليه إذا كسل، ولا تأخذه بثوبه إذا نهض، ولا تفشي لـه سراً، ولا تغتب عنده أحداً، وأن تجلس أمامه.

وإذا أتيته قصدته بالتحية، وسلّمت على القوم عامة، وأن تحفظ سرّه ومَغيبه ما حفظ أمر الله عزّ وجلّ، فإنما العالم بمنزلة النخلة تنتظر متى يَسقُط عليك منها شيء.

والعالم أفضل من الصائم القائم الغازي في سبيل الله، وإذا مات العالم انثلم بموته في الإسلام ثُلمة لا تُسَدُّ إلى يوم القيامة، وإذا مات العالم شيَّعه سبعة وسبعون ألفاً من مقربي السماء.

كن شكوراً[1]

إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلِّق بالمزيد، وهما مقرونان في قَرَن، فلن ينقطع المزيد من الله عزّ وجلّ، حتى ينقطع الشكر من العباد.

الخير: أن يعظم حلمك[2]

ليس الخير أن يكثُر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثُر علمك، وأن يعظُم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله عزّ وجلّ، وإن أسأت استغفرت الله.

ولا خير في الدنيا إلّا لرجلين: رجل أذنب ذُنوباً فهو يتدارك ذلك

---

(١) دستور معالم الحكم: ص١٣٨ ب٧ ما قاله في النعمة والشكر.

(٢) دستور معالم الحكم: ص١٤٠ ـ ١٤١ ب٧ قوله في السعيد والشقي.

بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات، ولا يقِلُّ عمل مع تقوى، فكيف يقلُّ ما يُتقبل.

رجلان يبغضهما الله(١)

إن أبغض الخلق إلى الله لرجلان:

رجل وكله الله عزّ وجلّ إلى نفسه، فهو جائر عن القصد السبيل، مشعُوف بكلام بدعة، قد لَهج منها بالصوم والصلاة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هَدْي من كان قبله، مضل لمن افتتن به حياته وموته، حمّال لخطايا غيره، رهين بخطيئته.

ورجل قَمَش جهلاً في جهّال الناس بالأباطيل والأضاليل، نصبها عُدَّة من حبائل غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على رأيه، واستعطف الحق على هواه، يُزَيِّن العظائم، ويهوِّن كبير الجرائم، لم يراقب مَن خَلَقَه فيسكت حيث لا يعلم، قد اغترّ مع ذلك فُساقاً تُصدِّقه، يستجهل بهم أشباه الناس، وجافٍ متجافٍ أعمى حَيران يدعو إلى العمى، ويرى البصر في ترك النظر، يقول: أقف عند الشبهات، وفيها وقع، ويقول: اعتزل البدع، وفيها اضطجع.

مثل الرجل الذي قمش جهلاً

فهو في الناس رجل: الصورة صورة إنسان، والقلب قلب حَيران، بهيمة بل البهيمة خير منه، فهو في الأحياء في التقلّب، والموت أغلب عليه في الصفة، عَشوَة غارٌّ بأَغباش، غُمر بما في رَيث الهُدنة، قد سمّاه

---

(١) دستور معالم الحكم: ص١٤١ ـ ١٤٦ ب٧ في المرائين وعلماء السوء والجهلة والعلماء العاملين.

أشباه الناس عالماً، ولم يَغن فيه يوماً سالماً، تَكثَّر فاستكثر، وما قلّ منه خير مما كثّر.

حتى إذا ارتَوى من غير آجِن، واكتنز من غير طائل، جلس بين الناس قاضياً، ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضياً فَسَّقه، ولم يأتَمَّ في حُكمه بمن خلّفه، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات، هيّأ لها حشواً رأياً من رأيه ثم قطع.

فهو من لَبس الشبهات في غَزل العنكبوت؛ لأنه لا يدري أصاب أم أخطأ؟ لا يحسِب العِلم في شيء مما أنكر، ولا يدري أن وراء ما بلغ مذهباً، إن قاس شيئاً بشيء لم يُكذّب نظره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يَعلم من جَهل نفسه، لكي لا يقال له: لا يعلم.

ثم جَسر فحَكم، فهو مفتاح عَشَوات، رَكّاب شُبُهات، خَبَّاط جهالات، لا يَعتذر مما لا يَعلم فَيسلَم، ولا يَعَضّ في العلم بضرس قاطع فيغنم، يذرو الرواية ذَروَ الريح الهَشيم، تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء، ويستحل بقضائه الفَرج الحرام، لا مليء بإصدار ما أورد عليه، ولا هو أهلٌ لِما منه فَرَط من ادّعائه في عِلم الخَلق.

أحبّ الناس إلى الله

ألا وإن أحب الناس إلى الله: لعبد أعانه الله جل ثناؤه على نفسه، فاستشعر الخوف، وتجلبب الحزن، وأضمر اليقين، وتجنّب الشك والشبهات، وتوهّم الزوال، فهو منه على بال.

قد زهرت مصابيح الهدى في قلبه، فقُرّب به البعيد، وهُوّن به الشديد، فَكّرَ فاستكثر، ونظر فأبصر، حتى إذا ارتَوى من عَذب فرات

سهلت موارده، فشرب نَهلاً، وسَلك سَبيلاً سَهلاً، لم يَدَع مظلمة إلّا أبصر جلاءها، ولا مبهمة إلّا عَرف مَداها.

قد خلع سرابيل الشهوات، وتخلّى من الهموم إلّا همّاً واحداً، انفرد به دون الهموم الشاغبة الشاغلة للعقول، فخرج من صفة العَمى، ومشاركة الهوى، فصار من مفاتيح أبواب الهدى، ومغاليق أبواب الردى، واستفتح بما فتح به العالِم أبوابه، فخاض بحاره، وقطع غماره، ووَضَحَت لـه سبله ومناره.

مواصفات من أحبّه الله تعالى

قد استمسك من العُرى بأوثقها، ومن الحبال بأمتنها، فهو من اليقين على مثل ضياء الشمس، قد نصب نفسه لله عزّ وجل في أرفع الأمور، من إصدار كل وارد عليه، وردّ كل فرع إلى أصله، فالأرض الذي هو فيها مشرقة بيضاء نوره، ساكنة بقضائه، فَرّاج عَشَوات، كشّاف مهِمّات، دفّاع معضلات، مصباح ظلمات، دليل فَلَوات، لا يَدَع للخير مطلباً.

فالعِلم ثمرة قلبه، ومُنى نفسه التي إليها يقصِد، وإياها يحاوِل، بقيّةً أبقاه الله جلّ وعزّ لدينه وحجّته، خليفة من خلائف أنبياء الله بلزوم طريقتهم، والدعاء إلى ما كانت عليه دَعوَتهم، والقيام بحجّتهم، قد أمكن الكتاب من زِمانه، فهو قائده وإمامه، يَضَع رَحله حيث حَل ثَقَله، والناس عن الصراط ناكبون، في غمرة ساهون، وفي حيرة يعمهون.

عبادات

فريضة الحج[١]

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ، الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ، يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ، ويَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ.

جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلَامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ، واخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعاً أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، ووَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ، وتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ، يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِي مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ، ويَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ، جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى لِلإِسْلَام عَلَماً، ولِلْعَائِذِينَ حَرَماً، فَرَضَ حَجَّهُ، وأَوْجَبَ حَقَّهُ، وكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

من كمال الأضحيَّة[٣]

ومن خطبة لـه عليه السلام في ذكرى يوم النحر وصفة الأضحية:

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١. والاحتجاج: ج١ ص١٩٨ ـ ٢٠٨ احتجاجه فيما يتعلق بتوحيد الله.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٣)، ووسائل الشيعة: ج١٤ص١٢٧ب٢١ ح١٨٧٨٤، وبحار الأنوار: ج٩٦ ص٣٠٠ ب٥٢ ح٣٤.

وَمِنْ تَمَامِ الأُضْحِيَّةِ: اسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا، وَسَلاَمَةُ عَيْنِهَا.

فَإِذَا سَلِمَتِ الأُذُنُ وَالْعَيْنُ سَلِمَتِ الأُضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ، وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنْسَكِ(١).

أفضل القربات إلى الله(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: الإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ.

وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الإِسْلَامِ.

وَكَلِمَةُ الإِخْلَاصِ، فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ.

وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ.

وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ.

وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ.

وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ، وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ.

وَصِلَةُ الرَّحِمِ، فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ.

وَصَدَقَةُ السِّرِّ، فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ.

وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ، فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ.

وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ.

---

(١) المنسك أي المذبح.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٠)، وتحف العقول: ص١٤٩ ـ ١٥٠، وعلل الشرائع: ج١ ص٢٤٧ ب١٨٢ ح١.

استنّوا بسنّة نبيّكم

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ.

وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ، فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ.

وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله وسلم، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ.

وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ، فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ.

وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ.

وَتَفَقَّهُوا فِيهِ، فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ.

وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ، فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ.

وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ، فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ.

وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ، كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لـه أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ.

بعد صلاة الاستسقاء(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام في الاستسقاء:

أَلَا وَإِنَّ الأَرْضَ الَّتِي تُقِلُّكُمْ، وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ، مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ، وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ، وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٣)، ومستدرك الوسائل: ج٦ ص٢٠١ ـ ٢٠٢ ب١١ ح٦٧٥٢، وبحار الأنوار: ج٨٨ ص٣١٢ ـ ٣١٣ ب١ ح٣.

إِنَّ اللَّهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ، وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ، وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ، وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿... ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾[1].

فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ.

اسقنا غيثك

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الأَسْتَارِ وَالأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ.

اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ، نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لا يَخْفَى عَلَيْكَ، حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعِبَةُ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَلَّا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ، وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا.

---

(١) سورة نوح، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ، وَاسْقِنَا سُقْيَا نَاقِعَةً، مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً، تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ، نَافِعَةَ الْحَيَا، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ، وَتَسْتَوْرِقُ الأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الأَسْعَارَ، إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ.

الصلاة تحتّ الذنوب(١)

ومن كلام له عليه السلام كان يوصي به أصحابه:

تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَحَافِظُوا عَلَيْهَا، وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا، وَتَقَرَّبُوا بِهَا، فَإِنَّهَا ﴿كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(٢).

أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾(٣).

وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبَقِ، وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِالْحَمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ، فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ.

وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ، وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾(٤).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٩)، والكافي: ج٥ ص٣٦ ـ ٣٨ باب ما كان يوصي به أمير المؤمنين به ح١.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٣) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢ ـ ٤٣.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٧.

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَصِباً بِالصَّلاةِ بَعْدَ التَّبْشِيرِ لـه بِالْجَنَّةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[1]، فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ.

الزكاة مع الصلاة قربان

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ الإِسْلَامِ، فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لـه كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازاً [حجاباً (خ ل)] وَوِقَايَةً، فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الأَجْرِ، ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ.

أداء الأمانة

ثُمَّ أَدَاءَ الأَمَانَةِ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا، إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ، وَالأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ، وَلَا أَعلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ، أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ، وَلَكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ، وَهُوَ الإِنْسَانُ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2].

لا تخفى عليه خافية

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ، لَطُفَ بِهِ خُبْراً، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ،

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ.

صلّوا بهم صلاة أضعفهم(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أمراء البلاد في معنى الصلاة:

أَمَّا بَعْدُ، فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنْزِ.

وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ، وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ النَّهَارِ، حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ.

وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ، وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى مِنى.

وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ.

وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ.

وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ، وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ.

بعد صلاة العيد(٢)

ومن خطبة له عليه السلام في يوم الفطر:

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وجعل الظلمات والنّور، ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون، لا نشرك بالله، ولا نتخذ من دونه إلهاً ولا وليّاً.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٥٢)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٤٧٢ ـ ٤٧٣ ب٢٩ ح٦٨٥، والبحار: ج٧٩ ص٣٦٥ ب٥ ح٥٢.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٥٠٩ ـ ٥١٥ الخطبة رقم (١٤٩) عن تيسير المطالب . في ترتيب أمالي السيد أبي طالب . ص١٣٥، ورواه الفقيه في الحديث ٧٩ ج١ ص٣٢٥ باختلاف يسير.

والحمد لله الذي لا مقنوط من رحمته، ولا مخلوٌّ من نعمته، ولا مستنكِف عن عبادته، بكلماته قامت السماوات، واستقرت الأرضون، وثبتت الجبال الرواسي، وجرت الرياح اللواقح، وسار في جوّ السماء السّحاب، وقامت على حدودها البحار، قاهر يَخضع لـه المعتزّون، ويَذِلّ طوعاً وكرهاً لـه العالمون.

نستعينه ونستغفره

نحمَده كما حَمَد نفسه، وكما هو أهله، ونستعينه ونستغفره، ونشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك لـه، يعلم ما تخفي النفوس، وما تُجنّ البحار، وما تُواري الأسرار، وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار، ونستهدي الله الهُدى، ونعوذ به من الضلالة والردّى.

ونشهد أنّ محمداً عبده ونبيّه، ورسوله إلى خلقه، وأمينه على وحيه، قد بلّغ رسالات ربّه، وجاهد في الله المولّين عنه، العادلين به، وعَبَد الله حتّى أتاه اليقين، وصلّى الله عليه وآله.

اذكروا الله يذكركم

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، الذي لا تنفد منه نعمة، ولا تُفقَد لـه رحمة، الذي رَغَّب في التقوى، وزهّد في الدنيا، وحذّر من المعاصي، وتعزّز بالبقاء، وذَلَّل خلقه بالموت والفناء، فالموت غاية المخلوقين، وسبيل العالَمين، ومعقود بنواصي الباقين.

أدّوا زكاة فطرتكم

فاذكروا الله يذكركم، وادعوه يستجب لكم.

وأدّوا فِطرتكم، فإنّها سُنّة من نبيّكم ﷺ وهي لازمة لكم، واجبة عليكم، فليؤدِّها كلّ امرئٍ منكم عن عياله ذكرهم وأنثاهم، صغيرهم

وكبيرهم، حُرّهم ومملوكهم، عن كلّ إنسانٍ منهم نصف صاع من بُرّ.

وقال أبو العباس (رحمه الله تعالى): وسمعنا من رواية أخرى:

صاعاً من بُرّ أوصاعاً من شعير أو تمر.

فأطيعوا الله فيما فرض عليكم، وأمركم به من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحجّ البيت ـ من استطاع إليه سبيلاً ـ وصوم شهر رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإحسان إلى نسائكم، وما ملكت أيمانكم، وأطيعوا الله فيما نهاكم عنه، من قَذف المحصَنات، وإتيان الفاحِشات، وشرب الخمر، وبَخس المكيال والميزان، وشهادة الزُّور، والفرار من الزحف، عصمنا الله وإيّاكم بالتّقوى، وجعل الآخرة خيراً لكم ولنا من الأولى.

إنّ أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله، أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾[١].

أستهدي الله الهُدى

ثم جلس ثم قام فقال: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله الهُدى، وأعوذ به من الضلالة والرّدى، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سورة الإخلاص، الآيات: ١ ـ ٤.

أرسله على حين فَترةٍ من الرسل، وانقطاعٍ من الوَحي، وطمُوس من العلم، ودُرُوس من معالم الهدى، فصدَع بوَحيه، وجَلا غَمرات الظلَم بنوره، وقَمَع مَشرِف الباطل بحقّه، حتى أنار الإسلام، ووَضَحَت الأحكام، فصلّى الله عليه وآله وعليهم رحمة الله وبركاته.

التقوى جُنّة حصينة

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، والاعتصام بوثائق عُراها، والمواظبة على رعايتها، فإنها جُنّة حصينة، وعُقدة متينة، وغنيمة مُغتنَمة، قبل أن يحال بينكم وبينها بانقطاع من الرّجاء، وحدوثٍ من الزوال، ودَنفٍ من الانتقال.

فاذكروا من فارق الدنيا، ولم يأخذ منها فَكاك رَهنه، ولا براءة أمنه، فخرج منها سليباً محسوراً، قد أتعب الملائكة نفسه التّي هي مطّلعةٌ عليها، وهو مُسوَدّ وجهه، زُرقَة عَيناه بادية عَورته، يدعو بالويل والثبور، لا يُرحم دعاؤه، ولا يُفتر عنه من عذابها شيء، كذلك يُجزى كلّ كفورٍ.

واذكروا من فارق الدنيا وقد أخذ منها فكاك رهنه، وبراءة أمنه، فرحل منها آمِناً مرحوماً، موفّقاً معصوماً، قد ظفر بالسعادة، وفاز بالخلود، وأقام بدار الحيوان، وعِيشةَ الرضوان، حيث لا تَنوب الفجائع، ولا تَحُلّ القوارع، ولا تموت النفوس، عطاؤهم عطاءٌ غير مجذوذ.

ثم أخذ عليه السلام في الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ودعا على أهل الشرك، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[1] إلى آخر الآية.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

قبل صلاة الجمعة[١]

ومن خطبة له عليه السلام في يوم الجمعة :

الحمد لله أهل الحمد ووليّه، ومنتهى الحمد ومحلّه، البديء البديع، الأجلّ الأعظم، الأعز الأكرم، المتَوَحّد بالكبرياء، والمتفرّد بالآلاء، القاهر بعزّه، والمسلّط بقهره، الممتنع بقوّته، المهيمن بقدرته، والمتعالي فوق كلّ شيء بجبروته، المحمود بامتنانه وبإحسانه، المتفضّل بعطائه وجزيل فوائده، الموسع برزقه، المسبغ بنعمه.

نحمده على آلائه، وتظاهر نعمائه، حمداً يَزِن عظمة جلاله، ويَملأ قَدْر آلائه وكبريائه.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، الذي كان في أوّليته متقادِماً، وفي دَيموميَّته متَسيطراً، خضع الخلائق لوحدانيّته ورُبُوبيّته وقديم أزليّته، ودانوا لدَوام أبديّته.

خيرة الله من خلقه

وأشهد أن محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، اختاره بعلمه، واصطفاه لوَحْيه، وائتمنه على سرّه، وارتضاه لخلقه، وانتدبه لعظيم أمره، وإمضاء معالم دينه، ومناهج سبيله، ومفتاح وحْيه، وجعله سبباً لباب رحمته.

ابتعثه على حين فَترة من الرسل، وهَدأة من العِلم، واختلافٍ من المِلل، وضلالٍ عن الحقّ، وجهالةٍ بالربّ، وكفرٍ بالبعث والوعد.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص١٥٣ ـ ١٦٠ الخطبة رقم (٤٤) عن روضة الكافي: ص١٧٣ ح١٩٤.

الكتاب كريم

أرسله إلى النّاس أجمعين رحمة للعالمين، بكتاب كريم قد فضّله وفصّله، وبيّنه وأوضحه وأعزّه، وحفِظه من أن يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ضرب للنّاس فيه الأمثال، وصرّف فيه الآيات لعلّهم يعقلون.

أَحَلّ فيه الحلال، وحرّم فيه الحرام، وشرع فيه الدّين لعباده عُذراً ونُذراً، لئلّا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل، ويكون بلاغاً لقوم عابدين.

فبلّغ رسالاته، وجاهد في سبيله، وعبده حتّى أتاه اليقين، صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليماً كثيراً.

الوصية بالتقوى

أوصيكم عباد الله وأوصي نفسي، بتقوى الله الذي ابتدأ الأمور بعلمه، وإليه يصير غداً ميعادها، وبيده فناؤها وفناؤكم، وتصرُّم أيّامكم، وفناء آجالكم، وانقطاع مُدَّتكم، فكأن قد زالت عن قليل عنّا وعنكم، كما زالت عمّن كان قبلكم!

فاجعلوا عباد الله، اجتهادكم في هذه الدنيا التزوُّد من يومها القصير ليوم الآخرة الطويل، فإنّها دار عملٍ والآخرة دار القرار والجزاء، فتجافوا عنها فإنّ المغترّ من اغترّ بها.

التزهيد في الدنيا

لن تَعْدو الدنيا إذا تناهت إليها أُمنيّة أهل الرغبة فيها ـ المحبّين لها، المطمئنين إليها، المفتونين بها ـ أن تكون كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا

﴿مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ﴾(١).

مع أنه لم يصب امرؤ منكم في هذه الدنيا حَبرةً إلّا أورثته عَبرةً! ولا يُصبح فيها في جناح أمن، إلّا وهو يخاف فيها نزول جائحةٍ، أو تغيّر نعمةٍ، أو زوال عافيةٍ.

مع أنّ الموت من وراء ذلك، وهَول المطّلَع، والوقوف بين يدَي الحَكَم العدل، يوم تُجزى كلّ نفس بما عملت، ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾(٢).

فاتقوا الله عزّ ذكره، وسارعوا إلى رضوان الله، والعمل بطاعته، والتقرّب إليه بكلّ ما فيه الرضا فإنّه قريب مجيب.

جعلنا الله وإيّاكم ممن يعمل بمحابّه ويجتنب سَخَطه.

القرآن أحسن القصص

ثمّ إن أحسن القصص وأبلغ الموعظة، وأنفع التذكّر كتاب الله عزّ وجلّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾(٣).

أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم اللّهِ الرحمٰن الرَّحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾(٤).

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٤.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.
(٤) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[١].

الصلاة على النبي وآله عليهم السلام

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد، وبارك على محمّد وآل محمّد، وتحنّن على محمّد وآل محمّد، وسلّم على محمّد وآل محمّد، كأفضل ما صلَّيتَ، وباركت، وترحّمت، وتحنّنت، وسلّمت، على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد.

اللّهم أعط محمّداً الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة.

اللّهم اجعل محمّداً وآل محمّدٍ أعظم الخلائق كلّهم شرفاً يوم القيامة، وأقربهم منك مَقعداً، وأوجههم عندك يوم القيامة جاهاً، وأفضلهم عندك منزلةً ونصيباً.

اللّهم أعط محمّداً أشرف المقام، وحِباء السلام، وشفاعة الإسلام.

اللّهم وألحقنا به غير خَزايا ولا ناكبين [ولا ناكثين (خ ل)]، ولا نادمين ولا مبدّلين، إله الحقّ آمين.

أحقّ من خُشي وحُمد

ثمّ جلس عليه السلام قليلاً، ثمّ قام فقال:

الحمد لله أحقّ من خُشي وحُمد، وأفضل من اتُّقي وعُبد، وأولى من عُظّم ومُجّد.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

نحمده لعظيم غَنائه، وجزيل عطائه، وتظاهر نعمائه، وحُسن بلائه، ونؤمن بهداه الذي لا يَخبو ضياؤه، ولا يهدأ سناؤه، ولا يوهَن عُراه، ونعوذ بالله من سوء كلّ الريب، وظُلَم الفتن، ونستغفره من مكاسب الذنوب، ونستعصمه من مساوي الأعمال، ومكاره الآمال، والهجوم في الأهوال، ومشاركة أهل الريب، والرضا بما يعمل الفجّار في الأرض بغير الحقّ.

اللّهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، الذين تَوَفَّيْتهم على دينك وملّة نبيّك صلى الله عليه وآله وسلم.

اللّهم تقبّل حسناتهم، وتجاوز عن سيِّئاتهم، وأدخل عليهم الرحمة والمغفرة والرضوان.

واغفر للأحياء من المؤمنين والمؤمنات، الذين وحّدوك، وصدّقوا رسولك، وتمسّكوا بدينك، وعملوا بفرائضك، واقتَدَوا بنبيّك، وسنّوا سنّتك، وأحلّوا حلالك، وحرّموا حرامك، وخافوا عقابك، ورجَوا ثوابك، ووالَوا أولياءك، وعادوا أعداءك.

اللّهم اقبل حسناتهم، وتجاوز عن سيّئاتهم، وأدخلهم برحمتك في عبادك الصالحين، إله الحقّ آمين.

أدنى ما للصائمين والصائمات[1]

ومن خطبة له عليه السلام في عيد الفطر:

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص١٦١ ـ ١٦٢ الخطبة رقم (٤٥) عن أمالي الشيخ الصدوق: ص٥٤ ح١٠، ورواه مجموعة ورّام: ص٤٦٧.

أيها الناس، إنّ يومكم هذا يوم يُثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون، وهو أشبه يوم بيوم قيامكم[1].

فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلّاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم.

واذكروا بوقوفكم في مصلّاكم وقوفكم بين يدي ربّكم.

واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنّة أو النار.

واعلموا عباد الله، أن أدنى ما للصائمين والصائمات، أن يناديهم ملك ـ في آخر يوم من شهر رمضان ـ: أبشروا عباد الله، فقد غفر الله لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا كيف تكونون فيما تستأنفون؟.

طلب العلم عبادة[2]

ومن وصية له عليه السلام في الحث على العلم:

أيّها النّاس، اعلموا أنّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، وأنّ طلب العلم أَوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم بينكم، مضمون لكم، قد قَسَمه عادلٌ بينكم وضَمِنه، وسَيَفي لكم به، والعلم مخزون عليكم عند أهله، قد أُمرتم بطلبه منهم فاطلبوه.

واعلموا، أنّ كثرة المال مَفسدة للدين، مَقساة للقلوب، وأنّ كثرة

---

(١) قيامتكم. خ ل.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٧ ص١٠ ـ ١٤ الخطبة رقم (١) عن الكافي: الحديث ٤ من الباب ١ من كتاب فضل العلم، والحديث ١٤ من باب ٨ من كتاب الحجة، ورواها تحف العقول: ص١٣٧ في المختار من كلام أمير المؤمنين.

العلم والعمل به مصلحة للدين، سبب إلى الجنّة، والنفقات تُنقص المال، والعلم يَزكو على إنفاقه، وإنفاقه بثّه إلى حَفَظته ورُواته.

صحبة العالم الربّاني

واعلموا، أن صحبة العالم واتّباعه دينٌ يُدان الله به، وطاعته مَكسبة للحسنات، مِمحاة للسيّئاتِ، وذخيرة للمؤمنين، ورِفعة في حياتهم، وجميل الأُحدُوثة عنهم بعد موتهم.

العلم وفضائله

وأن العلم ذو فضائل كثيرة: فرأسه التواضع، وعَينه البراءة من الحسد، وأُذُنه الفهم، ولسانه الصدق، وحِفظه الفحص، وقلبه حسن النيّة، وعقله معرفة الأسباب بالأمور، ويده الرحمة، وهمّته السلامة، ورجله زيارة العلماء، وحِكمته الورع، ومُستقرُّه النجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسَيفه الرضا، وقَوسه المداراة، وجَيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعروف، ومأواه الموادَعَة، ودليله الهدى، ورفيقه صُحبة الأخيار.

العبادة بالعقل لا بالكثرة[1]

والله، لَيَسبقنّ إلى جنّات عَدنٍ يوم القيامة أقوامٌ، ما كانوا بأكثر النّاس صلاةً، ولا صياماً، ولا حجّاً، ولا عمرةً، ولكن على قدر عقولهم.

---

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص١٥٦.

أقل مراتب الجهاد[1]

الجهاد ثلاثة:

أول ما يغلب عليه من الجهاد: اليد، ثمّ اللسان، ثمّ القلب.

فإذا كان القلب لا يَعرف معروفاً، ولا يُنكر منكراً، نُكِس فجُعل أعلاه أسفله.

(١) دستور معالم الحكم: ص١٥٢.

مواعظ

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا[1]

عِبَادَ اللَّهِ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا، وحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا، وتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِنَاقِ، وانْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّيَاقِ، واعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لـه مِنْهَا وَاعِظٌ وزَاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لـه مِنْ غَيْرِهَا لَا زَاجِرٌ ولَا وَاعِظٌ.

الدنيا وزخارفها[2]

سُبْحَانَكَ خَالِقاً ومَعْبُوداً بِحُسْنِ بَلائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ، خَلَقْتَ دَاراً وجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً، مَشْرَباً ومَطْعَماً، وأَزْوَاجاً وخَدَماً، وقُصُوراً وأَنْهَاراً، وزُرُوعاً وثِمَاراً.

ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا، فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، ولَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، ولَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا.

---

(١) نهج البلاغة، ضمن الخطبة ٩٠.

(٢) نهج البلاغة، ضمن الخطبة ١٠٨.

أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، واصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، ومَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، ومَرِضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، ويَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، ووَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، ولِمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا.

لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، ولَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، حَيْثُ لَا إِقَالَةَ ولَا رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ.

الرحيل إلى الآخرة

فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ، وحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ.

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ، يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، ويَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ.

يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ.

ويَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا، وأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا ومُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، ويَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، والْعِبْءُ عَلَى ظَهْرِهِ، والْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ

لـه عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، ويَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا، ويَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ.

فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ، حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ، فَصارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، ولَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ، ولَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلامِهِمْ.

الإنسان إذا فارق الحياة

ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطاً بِهِ، فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ، وخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ، قَدْ أَوْحَشُوا مِنْ جَانِبِهِ، وتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ، لَا يُسْعِدُ بَاكِياً، ولَا يُجِيبُ دَاعِياً.

ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الأَرْضِ، فَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ، وانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ، والأَمْرُ مَقَادِيرَهُ، وأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ، وجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ، أَمَادَ السَّمَاءَ وفَطَرَهَا، وأَرَجَّ الأَرْضَ وأَرْجَفَهَا، وقَلَعَ جِبَالَهَا ونَسَفَهَا، ودَكَّ بَعْضُهَا بَعْضاً مِنْ هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ، ومَخُوفِ سَطْوَتِهِ، وأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا، فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ إِخْلَاقِهِمْ، وجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ.

عند قيام الساعة

ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُهُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الأَعْمَالِ، وخَبَايَا الأَفْعَالِ، وجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ: أَنْعَمَ عَلَى هَؤُلَاءِ، وانْتَقَمَ مِنْ هَؤُلَاءِ.

فَأَمَّا أَهْلُ الطَّاعَةِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ، ولَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ، ولَا تَنُوبُهُمُ الأَفْزَاعُ، ولَا تَنَالُهُمُ الأَسْقَامُ، ولَا تَعْرِضُ لَهُمُ الأَخْطَارُ، ولَا تُشْخِصُهُمُ الأَسْفَارُ.

وأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ: فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وغَلَّ الأَيْدِيَ إِلَى الأَعْنَاقِ، وقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالأَقْدَامِ، وأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ، ومُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ، فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ، فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ ولَجَبٌ، ولَهَبٌ سَاطِعٌ، وقَصِيفٌ هَائِلٌ، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، ولَا يُفَادَى أَسِيرُهَا، ولَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا، لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، ولَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى.

من عوامل الهلاك(١)

وإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ، وتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ، وتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ، وتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ والنِّقْمَةُ.

تعرف الأشياء بأضدادها

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنِ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وُفِّقَ، ومَنِ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلاً هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ، فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ، وعَدُوَّهُ خَائِفٌ.

وإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ، فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ، وسَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ، فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الأَجْرَبِ، والْبَارِئِ مِنْ ذِي السَّقَمِ.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٤٧.

واعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ، ولَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، ولَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.

أهل البيت عليهم السلام أهل الحق

فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ، ومَوْتُ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ، وظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، لَا يُخَالِفُونَ الدِّينَ، ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، وصَامِتٌ نَاطِقٌ.

كما تزرع تحصد(١)

حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ، واسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِراً، واسْتَدْبَرُوا مُقْبِلاً، فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، ولَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ.

إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ ونَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ، فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، ونَظَرَ فَأَبْصَرَ، وانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَداً وَاضِحاً، يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي، والضَّلَالَ فِي الْمَغَاوِي، ولَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ.

فَأَفِقْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، واسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، واخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ صلى الله عليه وآله مِمَّا لَا بُدَّ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٥٣.

مِنْهُ، ولَا مَحِيصَ عَنْهُ، وخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، ودَعْهُ ومَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ.

وضَعْ فَخْرَكَ، واحْطُطْ كِبْرَكَ، واذْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ، وكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، ومَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَداً، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ، وقَدِّمْ لِيَوْمِكَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ! أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ، والْجِدَّ الْجِدَّ! أَيُّهَا الْغَافِلُ، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١].

من موجبات الثواب والعقاب

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، الَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ ويُعَاقِبُ، ولَهَا يَرْضَى ويَسْخَطُ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْداً وإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ، وأَخْلَصَ فِعْلَهُ، أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا لَاقِياً رَبَّهُ، بِخَصْلَةٍ مِنْ هَذِهِ الْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا:

أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ.

أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ بِهَلَاكِ نَفْسٍ.

أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ.

أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ.

أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ.

أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ.

اعْقِلْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ.

فوارق ومميزات

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٤.

وإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا.

وإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والْفَسَادُ فِيهَا.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ.

إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ.

اعملوا رحمكم الله[1]

اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ، فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ يَدْعُو إِلى دارِ السَّلامِ، وأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالأَقْلَامُ جَارِيَةٌ، وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، والتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ، وَالأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ.

قريب ما يطرح الحجاب[2]

ومن كلام له عليه السلام :

فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ، لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ، وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ.

وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ.

وَبِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم (٩٤)، والكافي: ج١ ص١٣٤ ـ ١٣٦ باب جوامع التوحيد ح١، والتوحيد: ص٤١ ـ ٤٤ ب٢ ح٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠)، والكافي: ج١ ص٤٠٥ باب ما يجب من حق الإمام ح٣.

تخففوا تلحقوا[١]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ، تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[٢].

اليوم المضمار وغداً السباق[٣]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ، أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ.

أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ؟

أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟

أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ، فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ، قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ، وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ، وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١)، وخصائص الأئمة: ص١١٢ ومن كلامه في آخر عمره لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، وتاريخ الطبري: ج٣ ص٤٥٧ اتساق الأمر في البيعة لعلي.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: إن هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه، وبعد كلام رسول الله بكل كلام لمال به راجحاً، وبرز عليه سابقاً. فأما قوله: تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فما سمع كلام أقل منه مسموعاً، ولا أكثر منه محصولاً، وما أبعد غورها من كلمة، وأنقع نطفتها من حكمة، وقد نبّهنا في كتاب (الخصائص) على عظم قدرها، وشرف جوهرها.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٨)، والإرشاد: ج١ ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ ومن كلامه في مثل ذلك ما اشتهر بين العلماء.

قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فَقَدْ خَسِرَ عَمَلُهُ، وَضَرَّهُ أَجَلُهُ.

أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ.

أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا.

أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعُهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ، وَمَنْ لَا يَسْتَقِيمُ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَى الرَّدَى.

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ.

فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا (مِنَ الدُّنْيَا) مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَداً[١].

---

(١) قال الشريف الرضي: وأقول: إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد في الدنيا، ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام، وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الاتّعاظ والازدجار.

ومن أعجبه قوله: أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ، وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ، فإن فيه مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل، وواقع التشبيه، سراً عجيباً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله: وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ، وَالْغَايَةُ النَّارُ، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل: السبقة النار، كما قال: السبقة الجنة؛ لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب، وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار نعوذ بالله منها، فلم يجز أن يقول: والسبقة النار، بل قال: وَالْغَايَةُ النَّارُ؛ لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسرّه الانتهاء إليها ومن يسره ذلك، فصلح أن يعبر بها عن الأمرين معاً، فهي في هذا الموضع كالمصير والمآل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ ـ سورة إبراهيم: ٣٠ . ولا يجوز في هذا الموضع أن يقال: سبْقتكم بسكون الباء إلى النار، فتأمل ذلك فباطنه عجيب، وغوره بعيد لطيف.

وكذلك أكثر كلامه.

وفي بعض النسخ: وقد جاء في رواية أخرى: (والسُّبْقة الجنة) بضم السين، والسبقة عندهم: اسم لما يُجعل للسابق إذا سبق من مال أو عَرَض، والمعنيان متقاربان؛ لأن ذلك لا يكون جزاءً على فعل الأمر المذموم، وإنما يكون جزاءً على فعل الأمر المحمود.

أخوف ما أخاف عليكم[١]

ومن كلام لـه عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الأَمَلِ.

فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ.

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ اصْطَبَّهَا صَابُّهَا.

أَلَا وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأَبِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ، وَغَداً حِسَابٌ وَلَا عَمَلَ[٢].

تزوّدوا للآخرة[٣]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ، وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ، وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ، الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ، وَلَا تُفْقَدُ لـه نِعْمَةٌ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٢)، ووسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٨٠ ب٣٢ ح٢٠٥١٥، والإرشاد: ج١ ص٢٣٦ ومن كلامه في مثل ذلك ما اشتهر بين العلماء.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: الحذّاء السريعة، ومن الناس من يرويه: جذّاء.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٥)، ومن لا يحضره الفقيه: ج١ ص٥١٤ باب صلاة العيدين ح١٤٨٢.

وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ، وَلِأَهْلِهَا مِنْهَا الْجَلَاءُ، وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضْرَاءُ، وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ، وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ، فَارْتَحِلُوا مِنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ، وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ.

الدنيا قد تصرّمت[1]

ومن خطبة له عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِانْقِضَاءٍ، وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ، فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا، وَتَحْدُو بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا، وَقَدْ أَمَرَّ فِيهَا مَا كَانَ حُلْواً، وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْواً، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الإِدَاوَةِ، أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ.

فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللَّهِ الرَّحِيلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ، الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ، وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الأَمَلُ، وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ فِيهَا الأَمَدُ.

كل شيء أمام ثواب الله قليل

فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوُلَّهِ الْعِجَالِ، وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ الْحَمَامِ، وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِي الرُّهْبَانِ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ، الْتِمَاسَ الْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ، أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ، وَحَفِظَتْهَا رُسُلُهُ، لَكَانَ قَلِيلاً فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٢)، والأمالي للمفيد: ص١٥٩ ـ ١٦١ المجلس ٢٠ ح٢، ومصباح المتهجد: ص٦٦٣ ـ ٦٦٤ خطبة يوم الأضحى.

لا تكافئ أعمالكم نعم الله عليكم

وَتَاللَّهِ لَوِ انْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ انْمِيَاثاً، وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ، أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَماً، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي الدُّنْيَا مَا الدُّنْيَا بَاقِيَةٌ، مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ عَنْكُمْ ـ وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئاً مِنْ جُهْدِكُمْ ـ أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ الْعِظَامَ، وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلإِيمَانِ.

الدنيا مزرعة الآخرة(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا، وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ كَانَ لَهَا.

ابْتُلِيَ النَّاسُ بِهَا فِتْنَةً، فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا، أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ، وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا، قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ.

فَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ كَفَيْءِ الظِّلِّ، بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ.

لم يخلقكم الله عبثاً(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، وَابْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ، وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ، وَاسْتَعِدُّوا لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ، وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٦٣)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٣٨ الزهد في الدنيا ح٢٤٣١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٦٤)، وغرر الحكم ودررالكلم: ص١٥٧ اعمل لآخرتك ح٢٩٧٦.

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ.

وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ، لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ، وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الأَوْبَةِ، وَإِنَّ قَادِماً يَقْدُمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ، لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ الْعُدَّةِ، فَتَزَوَّدُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الدُّنْيَا، مَا تَحْرُزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غداً.

قدّموا توبتكم

فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ نَصَحَ نَفْسَهُ، وَقَدَّمَ تَوْبَتَهُ، وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ، فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ، وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ، وَالشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لـه الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، إِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا.

فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ، أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً، وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى الشِّقْوَةِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ، وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ.

اغتنموا المهل(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام:

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا، وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٦)، وبحار الأنوار: ج٦٦ ص٣١٠ ب٣٧ ح٣١، وتحف العقول: ص٢١٣ وروي عنه في قصار هذه المعاني.

رَاقَبَ رَبَّهُ، وَخَافَ ذَنْبَهُ.

قَدَّمَ خَالِصاً، وَعَمِلَ صَالِحاً.

اكْتَسَبَ مَذْخُوراً، وَاجْتَنَبَ مَحْذُوراً.

وَرَمَى غَرَضاً، وَأَحْرَزَ عِوَضاً.

كَابَرَ هَوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ.

جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجاتِهِ، وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ.

رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ.

اغْتَنَمَ الْمَهَلَ، وَبَادَرَ الأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.

دارٌ أولها عناء وآخرها فناء(١)

ومن خطبة له عليه السلام في صفة الدنيا:

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ، وَآخِرُهَا فَنَاءٌ.

فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ.

مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ.

وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ.

وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ(٢).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٢)، والاختصاص: ١٨٨ حديث سقيفة بني ساعدة، وخصائص الأئمة: ١١٨ ومن جملة وصيته لابنه الإمام أبي محمد الحسن بن علي.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: وإذا تأمل المتأمل قوله: وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ، وجد تحته من المعنى العجيب، والغرض البعيد، ما لا تبلغ غايته، ولا يدرك غوره، لا سيما إذا قرن إليه قوله:
وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ، فإنه يجد الفرق بين (أبصر بها) و(أبصر إليها)، واضحاً نيراً، وعجيباً باهراً.

دار اختبار واعتبار[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام عجيبة تسمى «الغراء» :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ، وَدَنَا بِطَوْلِهِ، مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ، وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ.

أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ، وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ، وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلاً بَادِياً، وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيباً هَادِياً، وَأَسْتَعِينُهُ قَاهِراً قَادِراً، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِياً نَاصِراً.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ لإِنْفَاذِ أَمْرِهِ، وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ، وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، الَّذِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ، وَوَقَّتَ لَكُمُ الآجَالَ، وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ، وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَ بِكُمُ الإِحْصَاءَ، وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ، وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ، وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ، وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ، فَأَحْصَاكُمْ عَدَداً، وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَداً، فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ، وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا، وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

الدنيا: ظل زائل

فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا، رَدِغٌ مَشْرَعُهَا، يُونِقُ مَنْظَرُهَا، وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا، غُرُورٌ حَائِلٌ، وَضَوْءٌ آفِلٌ، وَظِلٌّ زَائِلٌ، وَسِنَادٌ مَائِلٌ.

حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا، وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا، قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا، وَقَنَصَتْ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٣).

بِأَحْبُلِهَا، وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا، وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ، قَائِدَةً لـه إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ، وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ، وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ، وَثَوَابِ الْعَمَلِ.

وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ بِعَقْبِ السَّلَفِ، لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَاماً، وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَاماً، يَحْتَذُونَ مِثَالاً، وَيَمْضُونَ أَرْسَالاً، إِلَى غَايَةِ الِانْتِهَاءِ، وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ.

إذا أزف النشور

حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الأُمُورُ، وَتَقَضَّتِ الدُّهُورُ، وَأَزِفَ النُّشُورُ، أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ، وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ، وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ، وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ، سِرَاعاً إِلَى أَمْرِهِ، مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ، رَعِيلاً صُمُوتاً، قِيَاماً صُفُوفاً، يَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ، وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ.

قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ، وَانْقَطَعَ الأَمَلُ، وَهَوَتِ الأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً، وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ مُهَيْمِنَةً، وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ، وَعَظُمَ الشَّفَقُ، وَأُرْعِدَتِ الأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ الدَّاعِي، إِلَى فَصْلِ الْخِطَابِ، وَمُقَايَضَةِ الْجَزَاءِ، وَنَكَالِ الْعِقَابِ، وَنَوَالِ الثَّوَابِ.

تبعثون أفراداً

عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ اقْتِدَاراً، وَمَرْبُوبُونَ اقْتِسَاراً، وَمَقْبُوضُونَ احْتِضَاراً، وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثاً، وَكَائِنُونَ رُفَاتاً، وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَاداً، وَمَدِينُونَ جَزَاءً، وَمُمَيَّزُونَ حِسَاباً.

قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ الْمَخْرَجِ، وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ، وَعُمِّرُوا مَهَلَ

الْمُسْتَعْتِبِ، وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ، وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ، وَرَوِيَّةِ الارْتِيَادِ، وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ فِي مُدَّةِ الأَجَلِ، وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ.

فَيَا لَهَا أَمْثَالاً صَائِبَةً، وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً، لَوْ صَادَفَتْ قُلُوباً زَاكِيَةً، وَأَسْمَاعاً وَاعِيَةً، وَآرَاءً عَازِمَةً، وَأَلْبَاباً حَازِمَةً.

فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ، وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ، وَوَجِلَ فَعَمِلَ، وَحَاذَرَ فَبَادَرَ، وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ، وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ، وَحُذِّرَ فَحَذِرَ، وَزُجِرَ فَازْدَجَرَ، وَأَجَابَ فَأَنَابَ، وَرَاجَعَ فَتَابَ، وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى، وَأُرِيَ فَرَأَى.

فَأَسْرَعَ طَالِباً، وَنَجَا هَارِباً، فَأَفَادَ ذَخِيرَةً، وَأَطَابَ سَرِيرَةً، وَعَمَّرَ مَعَاداً، وَاسْتَظْهَرَ زَاداً، لِيَوْمِ رَحِيلِهِ، وَوَجْهِ سَبِيلِهِ، وَحَالِ حَاجَتِهِ، وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ، وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ، وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ، وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ.

خلّف لكم عِبرَ الماضين

جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا، وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا، وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا، مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا، فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا، وَمُدَدِ عُمُرِهَا، بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا، وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا، فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ، وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ، وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ.

وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَاراً سَتَرَهَا عَنْكُمْ، وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَراً مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ، مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ، أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ

الآمَالِ، وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الآجَالِ، لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلاَمَةِ الأَبْدَانِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الأَوَانِ.

فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ؟ وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ؟ وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ؟ مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ، وَأُزُوفِ الِانْتِقَالِ، وَعَلَزِ الْقَلَقِ، وَأَلَمِ الْمَضَضِ، وَغُصَصِ الْجَرَضِ، وَتَلَفُّتِ الِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالأَقْرِبَاءِ، وَالأَعِزَّةِ وَالْقُرَنَاءِ.

يوم لا تَدفع الأقارب ولا تنفع النواحب

فَهَلْ دَفَعَتِ الأَقَارِبُ؟ أَوْ نَفَعَتِ النَّوَاحِبُ؟ وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ الأَمْوَاتِ رَهِيناً، وَفِي ضِيقِ الْمَضْجَعِ وَحِيداً، قَدْ هَتَكَتِ الْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ، وَأَبْلَتِ النَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ، وَعَفَتِ الْعَوَاصِفُ آثَارَهُ، وَمَحَا الْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ، وَصَارَتِ الأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا، وَالْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا، وَالأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا، مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا، لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئِ زَلَلِهَا.

أَوَ لَسْتُمْ أَبْنَاءَ الْقَوْمِ وَالآبَاءَ، وَإِخْوَانَهُمْ وَالأَقْرِبَاءَ؟ تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ، وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ، وَتَطَؤُونَ جَادَّتَهُمْ؟ فَالْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا، لَاهِيَةٌ عَنْ رُشْدِهَا، سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا، كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا، وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا.

إن مجازكم على الصراط

وَاعْلَمُوا، أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ، وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ، وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ، وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ، وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ، وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ، وَأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ، وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِأَمَانِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الأُمُورِ، ظَافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى، وَرَاحَةِ النُّعْمَى، فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ، وَآمَنِ يَوْمِهِ.

وَقَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيداً، وَقَدَّمَ زَادَ الآجِلَةِ سَعِيداً، وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ، وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ، وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ، وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ.

كفى بالجنّة ثواباً

فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالاً، وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالاً، وَكَفَى بِاللَّهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيراً، وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجاً وَخَصِيماً.

أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ، وَحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيّاً، وَنَفَثَ فِي الآذَانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى، وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ، وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ، حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ، وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ.

أنشأه في ظلمات الأرحام

أَمْ هَذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْحَامِ، وَشُغُفِ الأَسْتَارِ، نُطْفَةً دِهَاقاً، وَعَلَقَةً مِحَاقاً، وَجَنِيناً وَرَاضِعاً، وَوَلِيداً وَيَافِعاً.

ثُمَّ مَنَحهُ قَلْباً حَافِظاً، وَلِسَاناً لَافِظاً، وَبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِراً.

حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ، وَاسْتَوَى مِثَالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وَخَبَطَ سَادِراً، مَاتِحاً فِي غَرْبِ هَوَاهُ، كَادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، فِي لَذَّاتِ طَرَبِهِ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، ثُمَّ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيراً، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً.

فجعات المنيّة

دَهِمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ، فَظَلَّ سَادِراً، وَبَاتَ سَاهِراً، فِي غَمَرَاتِ الآلَامِ، وَطَوَارِقِ الأَوْجَاعِ وَالأَسْقَامِ، بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ، وَوَالِدٍ شَفِيقٍ، وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً، وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ، وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ.

ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وَ جُذِبَ مُنْقَاداً سَلِساً.

ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوَادِ، رَجِيعَ وَصَبٍ، وَنِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ، وَحَشَدَةُ الإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ، وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، وَمُفْرَدِ وَحْشَتِهِ.

حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ، نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وَعَثْرَةِ الامْتِحَانِ.

وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ، وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ، وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ، لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلَا قُوَّةٌ

حَاجِزَةٌ، وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ، وَلَا سِنَةٌ مُسَلِّيَةٌ، بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ، وَعَذَابِ السَّاعَاتِ، إِنَّا بِاللَّهِ عَائِذُونَ.

احذروا الذنوب

عِبَادَ اللَّهِ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وَسُلِّمُوا فَنَسُوا، أُمْهِلُوا طَوِيلاً، وَمُنِحُوا جَمِيلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسِيماً؟ احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ.

أُولِي الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ، وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ، هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ، أَمْ لا؟ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ، أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ؟ أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ؟

وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الأَرْضِ، ذَاتِ الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ، قِيدُ قَدِّهِ، مُتَعَفِّراً عَلَى خَدِّهِ.

الآنَ عِبَادَ اللَّهِ، وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، فِي فَيْنَةِ الإِرْشَادِ، وَرَاحَةِ الأَجْسَادِ، وَبَاحَةِ الاحْتِشَادِ، وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ، وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ، وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ، وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وَإِخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ(١).

اتّعظوا بالعمر(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ،

---

(١) قال الشريف الرضي: وفي الخبر أنه لما خطب بهذه الخطبة اقشعرت لها الجلود، وبكت العيون، ورجفت القلوب، ومن الناس من يسمي هذه الخطبة (الغرّاء).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٥)، وبحار الأنوار: ج٤ ص٣١٩ ب٤ ح٤٥.

وَالآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ، لا تَقَعُ الأَوْهَامُ لـه عَلَى صِفَةٍ، وَلَا تُعْقَدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ، وَلَا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ.

انتفعوا بالمواعظ

فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالآيِ السَّوَاطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الأُمْنِيَّةِ، وَدَهِمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ، فَـ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[1]، سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا، وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا.

لا يهرم خالدها

ومنها في صفة الجنة:

دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلاتٌ، وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ، لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا، وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا، وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا.

أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا[2]

ومن خطبة لـه عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ، وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ، وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَدْيَانِ، كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الأَبْدَانِ.

عِبَادَ اللَّهِ، أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهَذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا

---

(١) سورة ق، الآية: ٢١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩٩)، ومن لا يحضره الفقيه: ج١ ص٤٢٨ ـ ٤٢٩ باب وجوب الجمعة وفضلها ح١٢٦٣.

تَرْكَهَا، وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ، وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا، فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلاً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ، وَأَمُّوا عَلَماً فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ، وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَهَا؟ وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَه يَوْمٌ لا يَعْدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ مِنَ الْمَوْتِ يَحْدُوهُ، وَمُزْعِجٌ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا رَغْماً.

فَلَا تَنَافَسُوا فِي عِزِّ الدُّنْيَا وَفَخْرِهَا، وَلَا تَعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا، فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى انْقِطَاعٍ، وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ، وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى انْتِهَاءٍ، وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ.

اذكروا هادم اللذّات

أَوَ لَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ الأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ، وَفِي آبَائِكُمُ الْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ؟

أَوَ لَمْ تَرَوْا إِلَى الْمَاضِينَ مِنْكُمْ لا يَرْجِعُونَ، وَإِلَى الْخَلَفِ الْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ؟

أَوَ لَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى؟ فَمَيِّتٌ يُبْكَى، وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى، وَعَائِدٌ يَعُودُ، وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ، وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ، وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، وَعَلَى أَثَرِ الْمَاضِي مَا يَمْضِي الْبَاقِي.

أَلَا فَاذْكُرُوا هَاذِمَ اللَّذَّاتِ، وَمُنَغِّصَ الشَّهَوَاتِ، وَقَاطِعَ الأُمْنِيَاتِ،

عِنْدَ الْمُسَاوَرَةِ لِلأَعْمَالِ الْقَبِيحَةِ، وَاسْتَعِينُوا اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ وَاجِبِ حَقِّهِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ.

اتّقوا يوم الحساب(١)

ومن كلام له عليه السلام يجري مجرى الخطبة :

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فِيهِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ، وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ، خُضُوعاً قِيَاماً، قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الأَرْضُ، فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً، مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً، وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعاً.

ويل لك يا بصرة

فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا، وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا.

أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ، يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ.

فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَّهِ، لَا رَهَجَ لـه وَلَا حَسَّ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الأَحْمَرِ، وَالْجُوعِ الأَغْبَرِ.

سرورها مشوب بالحزن(٢)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٢)، وبحار الأنوار: ج٣٢ ص٢٤٨ ب٤ ح١٩٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٣)، والكافي: ج٢ ص١٧ صحيفة علي بن الحسين وكلامه ح٣، وتحف العقول: ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ وروي عنه في قصار هذه المعاني.

فَإِنَّهَا وَاللَّهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الآمِنَ، لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ، سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ، وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا.

رَحِمَ اللَّهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ، وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ، فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزَلْ، وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ.

أبغض الرجال عند الله

الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً أن لا يَعْرِفَ قَدْرَهُ، وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَبْداً وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ، جَائِراً عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِراً بِغَيْرِ دَلِيلٍ، إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الآخِرَةِ كَسِلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لـه وَاجِبٌ عَلَيْهِ، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ.

الزمان العصيب

وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ، إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ، وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ، أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى، لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ، وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ، أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ، وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الإِسْلَامُ، كَمَا يُكْفَأُ الإِنَاءُ بِمَا فِيهِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾[١][٢].

أحذّركم الدنيا وما فيها[٣]

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا، فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا.

غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ، حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ، نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ، لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[٤].

لَمْ يَكُنِ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْناً إِلَا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْراً، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ إِلَّا

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٣٠.

(٢) قال الشريف الرضي: أما قوله: كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ، فإنما أراد به الخامل الذكر، القليل الشر.
والمساييح جمع مسياح، وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم.
والمذاييع جمع مذياع، وهو الذي إذا سمع لغيره بفاحشة أذاعها ونوّه بها.
والبُذُر جمع بذور، وهو الذي يكثر سفهه، ويلغو منطقه.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١١)، وتحف العقول: ص١٨٠ ـ ١٨٣ ومن كلامه في الزهد، وكشف الغمة: ج١ص١٧٢ في وصف زهده في هذه الدنيا.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٤٥.

هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاَءٍ، وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لـه مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لـه مُتَنَكِّرَةً.

وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى، أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى، لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً، وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ.

الدنيا فانية

غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا، لا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى، مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ، وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ.

كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا قَدْ فَجَعَتْهُ، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ، وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيراً، وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلاً؟

سُلْطَانُهَا دُوَّلٌ، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ، وَحُلْوُهَا صَبِرٌ، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ، حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ، وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ سُقْمٍ، مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ، وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ، وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ.

أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَاراً، وَأَبْقَى آثَاراً، وَأَبْعَدَ آمَالاً، وَأَعَدَّ عَدِيداً، وَأَكْثَفَ جُنُوداً؟ تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيْثَارٍ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْهَا بِغَيْرِ زَادٍ مُبَلِّغٍ، وَلَا ظَهْرٍ قَاطِعٍ.

دأب الدنيا

فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ، أَوْ

أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً؟ بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ، وَأَوْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ، وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ، وَأَعَانَت عَلَيْهِمْ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ.

فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا، حِينَ ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الأَبَدِ.

وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ، أَوْ أَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ؟

أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا.

فَاعْلَمُوا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا، وَظَاعِنُونَ عَنْهَا، وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً.

حال الموتى

حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَاناً، وَأُنْزِلُوا الأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً، وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا.

جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ، مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ، حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ، لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ.

اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الأَرْضِ بَطْناً، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً، وَبِالأَهْلِ غُرْبَةً، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً، فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا، حُفَاةً عُرَاةً، قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ، وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[1].

من أسرار الموت[2]

ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت:

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلاً؟ أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟ بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ؟ أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا؟ أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟

كَيْفَ يَصِفُ إِلَهَهُ مَنْ يَعْجَزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ؟.

أسمعوا دعوة الموت آذانكم[3]

ومن خطبة له عليه السلام:

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا.

دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا، وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٢)، وبحار الأنوار: ج٦ ص١٤٣ ب٥ ح٩، والبحار: ج٧٤ ص٤٣٢ ـ ٤٣٣ ب١٥ ح٤٥.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٣)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٣٢ و١٣٣ ق١ ب٦ ف١ الدنيا دار عبرة وموعظة.

لَمْ يُصْفِهَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ.

خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ، وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ.

فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ الْبِنَاءِ، وَعُمُرٍ يَفْنَى فِيهَا فَنَاءَ الزَّادِ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطَاعَ السَّيْرِ.

اجْعَلُوا مَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ، وَاسْأَلُوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَا سَأَلَكُمْ، وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ الْمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ.

من علامات الزاهدين

إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ اغْتَبَطُوا بِمَا رُزِقُوا.

قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ الآمَالِ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَةِ.

وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، مَا فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرَائِرِ، وَسُوءُ الضَّمَائِرِ، فَلَا تَوَازَرُونَ وَلا تَنَاصَحُونَ، وَلَا تَبَاذَلُونَ وَلَا تَوَادُّونَ.

مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ، وَلَا يَحْزُنُكُمُ الْكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ، وَيُقْلِقُكُمُ الْيَسِيرُ مِنَ الدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ، كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ، وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ.

وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ، إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ

يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ، صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ، وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ.

تقوى الله هي الزاد(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هَذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ، عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ، وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ، وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ، وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ، إِيمَاناً نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ، وَيَقِينُهُ الشَّكَّ.

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ، وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ، لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ، وَبِهَا الْمَعَادُ، زَادٌ مُبْلِغٌ، وَمَعَادٌ مُنْجِحٌ، دَعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ، وَوَعَاهَا خَيْرُ وَاعٍ، فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا، وَفَازَ وَاعِيهَا.

من علامات التقوى

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ مَحَارِمَهُ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ، فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٤).

بِالنَّصَبِ، وَالرِّيَّ بِالظَّمَإِ، وَاسْتَقْرِبُوا الأَجَلَ، فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَكَذِّبُوا الأَمَلَ، فَلاحَظُوا الأَجَلَ.

ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ، وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ.

فَمِنَ الْفَنَاءِ: أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُؤْسَى جِرَاحُهُ، يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسَّقَمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ، آكِلٌ لا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ.

وَمِنَ الْعَنَاءِ: أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ، وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَا مَالاً حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ.

وَمِنْ غِيَرِهَا: أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيماً زَلَّ، وَبُؤْساً نَزَلَ.

وَمِنْ عِبَرِهَا: أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى أَمَلِهِ، فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ، وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعَزَّ سُرُورَهَا، وَأَظْمَأَ رِيَّهَا، وَأَضْحَى فَيْئَهَا، لا جَاءٍ يُرَدُّ، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ.

شرّ من الشرّ

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ.

وَاعْلَمُوا، أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ، خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ

الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ، وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ.

إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ.

قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ، أَوْلَى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاللَّهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ، وَدَخِلَ الْيَقِينُ، حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ.

فَبَادِرُوا الْعَمَلَ، وَخَافُوا بَغْتَةَ الأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مَا فَاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيَادَتُهُ، وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ.

الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي، فَـ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

نحمده على ما أخذ وأعطى[٢]

ومن خطبة له عليه السلام:

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى، الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ، وَالْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ، الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ، وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٢).

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ، شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الإِعْلَانَ، وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ.

إنه والله الجدّ لا اللعب

فَإِنَّهُ وَاللَّهِ الْجِدُّ لَا اللَّعِبُ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ، وَأَعْجَلَ حَادِيهِ، فَلا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ، وَحَذِرَ الإِقْلَالَ، وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ـ طُولَ أَمَلٍ وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ـ كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ، فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ، مَحْمُولاً عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ، حَمْلاً عَلَى الْمَنَاكِبِ، وَإِمْسَاكاً بِالأَنَامِلِ.

أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيداً، وَيَبْنُونَ مَشِيداً، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً، وَمَا جَمَعُوا بُوراً، وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ؟

فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ، وَفَازَ عَمَلُهُ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازاً، لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمَالَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ، فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ، وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ.

انقادت له الدنيا والآخرة[1]

ومن خطبة له عليه السلام:

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمَاوَاتُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٣).

وَالأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا، وَسَجَدَتْ لـه بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ الأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ، وَقَدَحَتْ لـه مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ.

الناطق الذي لا يعيا

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ.

ختم به الوحي

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَتَنَازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ.

بين الأعمى والبصير

وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الأَعْمَى، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ، وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا، فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ، وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَالأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ.

لقد تاه بكم الغرور

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ، فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً، وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ، وَبصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ، وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ، كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ،

وَتَسْمَعُونَ بِهِ، وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ.

قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الأَمْوَالِ، لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

مضت أصول ونحن فروعها[1]

ومن خطبة له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ، لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ، وَلَا تُجَدَّدُ له زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ، وَلَا يَحْيَا له أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ له أَثَرٌ، وَلَا يَتَجَدَّدُ له جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ له جَدِيدٌ، وَلَا تَقُومُ له نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ، وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ.

اتّقوا البدع

وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ، فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ، إِنَّ عَوَازِمَ الأُمُورِ أَفْضَلُهَا، وَإِنَّ مُحْدِثَاتِهَا شِرَارُهَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٥)، ووسائل الشيعة: ج١٦ ص١٧٥ ب١٦ ح٢١٢٨٠.

لا تضيّعوا سنّة نبيّكم[١]

ومن خطبة له عليه السلام قبل شهادته:

أَيُّهَا النَّاسُ، كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ، الأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ، وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ، كَم اَطَّرَدَتِ الأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ، فَأَبَى اللَّهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ؟ هَيْهَاتَ، عِلْمٌ مَخْزُونٌ.

أَمَّا وَصِيَّتِي: فَاللَّهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَمُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ، أَقِيمُوا هَذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ، وَأَوْقِدُوا هَذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ، وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا.

حُمِّلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ، وَخُفِّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ.

أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ، وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ، غَفَرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ.

بين الثبات والزلّة

إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هَذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ، وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَمَهَابِّ رِيَاحٍ، وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ، اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا، وَعَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا.

وَإِنَّمَا كُنْتُ جَاراً جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّاماً، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً، سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ، لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وَخُفُوتُ إِطْرَاقِي،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٩)، والكافي: ج١ ص٢٩٩ باب الإشارة والنص على الحسن ابن علي ح٦.

وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ، وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ.

وَدَاعِي لَكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي، غَداً تَرَوْنَ أَيَّامِي، وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي، وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي.

الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين[1]

ومن خطبة له عليه السلام قبل شهادته:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحاً لِذِكْرِهِ، وَسَبَباً لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ، وَدَلِيلاً عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ، لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَداً مَا فِيهِ، آخِرُ فَعَالِهِ كَأَوَّلِهِ، مُتَشَابِهَةٌ أُمُورُهُ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ.

فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ، فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي الظُّلُمَاتِ، وَارْتَبَكَ فِي الْهَلَكَاتِ، وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَه سَيِّئَ أَعْمَالِهِ، فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ، وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ.

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ، وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ، لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ، وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ، أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا، وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٧)، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٤٣٣ ب١٥ح٤٦.

تزوّدوا لأيام البقاء

عِبَادَ اللَّهِ، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَعَزِّ الأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ! وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَنَارَ طُرُقَهُ، فَشِقْوَةٌ لاَزِمَةٌ، أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ، فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ.

قَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ، وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ، وَحُثِثْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ، لا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالسَّيْرِ، أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلآخِرَةِ؟ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ؟

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ اللَّهُ مِنَ الْخَيْرِ مَتْرَكٌ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ الشَّرِّ مَرْغَبٌ.

عِبَادَ اللَّهِ، احْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ الأَعْمَالُ، وَيَكْثُرُ فِيهِ الزِّلْزَالُ، وَتَشِيبُ فِيهِ الأَطْفَالُ.

إنّ عليكم رصداً وعيوناً

اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَداً مِنْ أَنْفُسِكُمْ، وَعُيُوناً مِنْ جَوَارِحِكُمْ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ، لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ، وَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقاً بِهِ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ، فَيَا لَـهُ مِنْ بَيْت وَحْدَةٍ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ.

وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الأَبَاطِيلُ، وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ، وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ، وَصَدَرَتْ بِكُمُ الأُمُورُ مَصَادِرَهَا، فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ.

لا يشغله شأن عن شأن(١)

ومن خطبة له عليه السلام:

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ، وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ، وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الأَوْرَاقِ، وَخَفِيَّ طَرْفِ الأَحْدَاقِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ، وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ، شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ، وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ، وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ، وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ، وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى، وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى.

الدنيا تغرّ وتضرّ

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا، وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا، وَ تَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٨)، وبحار الأنوار: ج٢٩ ص٥٩٦ ـ ٥٩٧ ب١٥بيان.

وَايْمُ اللَّهِ، مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ، فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ، وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ، فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ، لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ.

وَإِنِّي لأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ، وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً، كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ، وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾[1].

خلق الخلائق بقدرته[2]

ومن خطبة له عليه السلام :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ، خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَاسْتَعْبَدَ الأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ.

وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ رُسُلَهُ، لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ، وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٣).

أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلاً، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً.

القرآن آمر وزاجر

فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ، حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ، أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُمْ، وَارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ، أَتَمَّ نُورَهُ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ ﷺ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ.

فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئاً مِنْ دِينِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لـه عَلَماً بَادِياً، وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ، فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ.

اتّقوا الله الذي أنتم بعينه

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ.

قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ، وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى، وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ، وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ، وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ، إِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ، قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَاماً، لَا يُسْقِطُونَ حَقّاً، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلاً.

وَاعْلَمُوا، أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لـه مَخْرَجاً مِنَ الْفِتَنِ، وَنُوراً مِنَ

الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ، فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ، ظِلُّهَا عَرْشُهُ، وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ، وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ، وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ.

بادروا المعاد

فَبَادِرُوا الْمَعَادَ، وَسَابِقُوا الآجَالَ، فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الأَجَلُ، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ، فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ، عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ.

وَاعْلَمُوا، أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ، فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا، أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ، وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ، وَقَرِينَ شَيْطَانٍ؟

أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكاً إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ، حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضاً لِغَضَبِهِ، وَإِذَا زَجَرَهَا، تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعاً مِنْ زَجْرَتِهِ؟

اسعوا في فكاك رقابكم

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ، الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الأَعْنَاقِ، وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ؟

فَاللَّهَ اللَّهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ! وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ، فَاسْعَوْا فِي فَكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُغْلَقَ رَهَائِنُهَا.

أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ، وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ فَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾[٢].

فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ، وَاسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً؟

فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ اللَّهِ فِي دَارِهِ، رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَداً، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوباً وَنَصَباً ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[٣]، أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبُنَا، وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

أوصيكم بذكر الموت[٤]

ومن خطبة له عليه السلام:

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ،

---

(١) سورة محمد، الآية: ٧.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١١.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٣٨، سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٨).

وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ، فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ، أَعْوَرْتُمْ لـه فَسَتَرَكُمْ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ.

وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ؟

فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ، حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ، فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً، وَكَأَنَّ الآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً.

أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ، وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا، لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالاً، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَاداً، أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ.

ما أسرع السنين في العمر!

فَسَابِقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا، وَالَّتِي رَغِبْتُمْ فِيهَا، وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا، وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ، فَإِنَّ غَداً مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ.

مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ! وَأَسْرَعَ الأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ! وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ! وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمُرِ!.

اعدّوا للموت قبل نزوله(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٠)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٥٠ ح٢٧٥٧ التأهب والاستعداد وص١٦٨ ح٣٢٩٨ القيامة.

أَحْمَدُهُ شُكْراً لإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ، عَزِيزَ الْجُنْدِ، عَظِيمَ الْمَجْدِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ، جِهَاداً عَنْ دِينِهِ، لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَلِكَ اجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَالْتِمَاسٌ لإِطْفَاءِ نُورِهِ.

فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ.

وَبَادِرُوا الْمَوْتَ وَغَمَرَاتِهِ، وَامْهَدُوا لـه قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لـه قَبْلَ نُزُولِهِ، فَإِنَّ الْغَايَةَ الْقِيَامَةُ، وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ.

وَقَبْلَ بُلُوغِ الْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ الأَرْمَاسِ، وَشِدَّةِ الإِبْلَاسِ، وَهَوْلِ الْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ الْفَزَعِ، وَاخْتِلَافِ الأَضْلاعِ، وَاسْتِكَاكِ الأَسْمَاعِ، وَظُلْمَةِ اللَّحْدِ، وَخِيفَةِ الْوَعْدِ، وَغَمِّ الضَّرِيحِ، وَرَدْمِ الصَّفِيحِ.

أنتم والساعة في قَرَن

فَاللَّهَ اللَّهَ، عِبَادَ اللَّهِ! فَإِنَّ الدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَالسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ، وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا.

وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا، وَانْصَرَمَتِ الدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى، أَوْ شَهْرٍ انْقَضَى، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثّاً، وَسَمِينُهَا غَثّاً، فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ الْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ

عِظَامٍ، وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا، عَالٍ لَجَبُهَا، سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ وُقُودُهَا، مَخُوفٍ وَعِيدُهَا، عَمٍ قَرَارُهَا، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا، حَامِيَةٍ قُدُورُهَا، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا.

مصير المتّقين

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[١]، قَدْ أُمِنَ الْعَذَابُ، وَانْقَطَعَ الْعِتَابُ، وَزُحْزِحُوا عَنِ النَّارِ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمُ الدَّارُ، وَرَضُوا الْمَثْوَى وَالْقَرَارَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا زَاكِيَةً، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً، تَخَشُّعاً وَاسْتِغْفَارًا، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً، تَوَحُّشاً وَانْقِطَاعاً، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْجَنَّةَ مَآباً، وَالْجَزَاءَ ثَوَاباً، ﴿وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾[٢]، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ.

فَارْعَوْا عِبَادَ اللَّهِ، مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ، وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ الْمَخُوفُ، فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ، اسْتَعْمَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ.

الموت على فراشه: شهادة

الْزَمُوا الأَرْضَ، وَاصْبِرُوا عَلَى الْبَلَاءِ، وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ، وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ، وَحَقِّ رَسُولِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ، فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً.

الدنيا دار شخوص(١)

ومن خطبة له عليه السلام:

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ، وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ، وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ.

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ، سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ، وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ، تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ، تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ، فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ، وَمِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الأَمْوَاجِ، تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا، فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ.

عِبَادَ اللَّهِ، الآنَ فَاعْلَمُوا وَالأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ، فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

تقوى الله دواء القلوب(٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٦)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٢٧ ق١ ب٦ ف١ حقيقة الدنيا ح٢١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩٨).

وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ اللَّهِ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ، وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ.

فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وَصَلاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وَجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ.

فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللَّهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ، وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ، وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ، وَنَفَساً لِكَرْبِ مَوَاطِنِكُمْ.

طاعة الله حرز وأمان

فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ، فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا، وَاحْلَوْلَتْ له الأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا، وَأَسْهَلَتْ له الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ، فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ.

الإسلام دين الله الذي اصطفاه

ثُمَّ إِنَّ هَذَا الإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ، وَأَصْفَاهُ خِيَرَةَ خَلْقِهِ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، أَذَلَّ الأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ الضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ، وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ، وَأَتْأَقَ الْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ.

ثُمَّ جَعَلَهُ لَا انْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ، وَلَا انْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ، وَلَا انْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ، وَلَا انْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ، وَلَا انْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ.

فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي الْحَقِّ أَسْنَاخَهَا، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا، وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا، وَمَنَارٌ اقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا.

جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ، فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَثِيقُ الأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ، مُعْوِذُ الْمَثَارِ، فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ.

بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الآخِرَةِ الِاطِّلَاعُ، وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ، وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ، فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا.

جَعَلَهُ اللَّهُ بَلَاغاً لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعاً لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفاً لِأَنْصَارِهِ.

أنزل الكتاب نوراً ومنهاجاً

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُوراً لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجاً لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ، وَبَحْراً لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعاً لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَفُرْقَاناً لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَاناً لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزّاً لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقّاً لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ.

فَهُوَ مَعْدِنُ الإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ، وَأَثَافِيُّ الإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ، وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدىً لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ، وَعُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَجُنَّةً لِمَنِ اسْتَلأَمَ، وَعِلْماً لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى، وَحُكْماً لِمَنْ قَضَى.

خذوا من ممرّكم لمقرّكم(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ، وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ، وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ، وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ، فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ.

إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ: مَا تَرَكَ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا قَدَّمَ؟

لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ، فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً، وَلَا تُخْلِفُوا كُلّاً فَيَكُونَ فَرْضاً عَلَيْكُمْ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٣)، والأمالي للصدوق: ص١١٠ المجلس٣٩ ح٨، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٢١٨.

تجهزوا! فقد نودي فيكم بالرحيل(١)

ومن كلام له عليه السلام كان كثيراً ينادي به أصحابه.

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ، فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا.

وَاعْلَمُوا، أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ، فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى.

للاعتبار لا للتفاخر(٢)

ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾(٣):

يَا لَه مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ؟ وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطَراً مَا أَفْظَعَهُ، لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكِرٍ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ.

أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ؟ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ؟! يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ، وَلأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٤)، والأمالي للمفيد: ص١٩٨ ـ ١٩٩ المجلس٢٣ ح٣٢، ومشكاة الأنوار: ص٣٠٤ ب٩ ف٩.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢١)، وبحار الأنوار: ج٧٤ ص٤٣٤ ـ ٤٣٩ ب١٥ ح٤٧، والبحار: ج٧٩ ص١٥٦ ـ ١٥٨ ب٢٠ ح١.

(٣) سورة التكاثر، الآيتان: ١ ـ ٢.

يَكُونُوا مُفْتَخراً، وَلأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ!

لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ، وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ، وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَقَالَتْ: ذَهَبُوا فِي الأَرْضِ ضُلَّالاً، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً، تَطَؤُونَ فِي هَامِهِمْ، وَتَسْتَنْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا، وَإِنَّمَا الأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ.

سُلّطت الأرض عليهم

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ، الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ، وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ، مُلُوكاً وَسُوَقاً، سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلاً، سُلِّطَتِ الأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ، وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ، فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَاداً لَا يَنْمُونَ، وَضِمَاراً لَا يُوجَدُونَ، لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الأَهْوَالِ، وَلا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الأَحْوَالِ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ، غُيَّباً لَا يُنْتَظَرُونَ، وَشُهُوداً لَا يَحْضُرُونَ، وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا، وَآلَافاً فَافْتَرَقُوا.

وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ، وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ، عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ، وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً، فَكَأَنَّهُمْ فِي ارْتِجَالِ الصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ، جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ، بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَا التَّعَارُفِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمْ

أَسْبَابُ الإِخَاءِ، فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ، وَبِجَانِبِ الْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ، لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً، وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً.

شاهدوا أعظم مما خافوا

أَيُّ الْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ، كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً، شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا، فَكِلْتَا الْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ، فَاتَتْ مَبَالِغَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا.

وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ، لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ الْعِبَرِ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ الْعُقُولِ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ النُّطْقِ، فَقَالُوا: كَلَحَتِ الْوُجُوه النَّوَاضِرُ، وَخَوَتِ الأَجْسَامُ النَّوَاعِمُ، وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى، وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ، وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ، وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ، فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا، وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً.

لقد اكتحلت أبصارهم بالتراب

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ، أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ، وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقْظَتِهَا، وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلىً سَمَّجَهَا،

وَسَهَّلَ طُرُقَ الآفَةِ إِلَيْهَا، مُسْتَسْلِمَاتٍ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ، لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ، لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي.

فَكَمْ أَكَلَتِ الأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ، وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ، وَرَبِيبَ شَرَفٍ، يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ، ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ، وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ؟!

إن للموت لغمرات

فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ، فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ، إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ، وَنَقَضَتِ الأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ، فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ، وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ، آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ.

فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ الطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ.

حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ عَنْهُ، وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ، فَقَائِلٌ يَقُولُ: هُوَ لِمَا بِهِ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى الْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ.

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا وَتَرْكِ الأَحِبَّةِ، إِذْ عَرَضَ لـه

عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ، فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ، فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ بِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ، مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ، أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ، وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ، أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى عُقُولِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

ما آنسك بهلكة نفسك؟[1]

ومن كلام له عليه السلام، قاله عند تلاوته: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦)﴾[2]:

أَدْحَضُ مَسْؤُولٍ حُجَّةً، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً، لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ.

يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ؟ وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ؟ وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ؟ أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ؟ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ، وَهِيَ أَعَزُّ الأَنْفُسِ عَلَيْكَ؟

وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ، وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ؟ فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ، وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً، وَبِذِكْرِهِ آنِساً، وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ، يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ، وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ، وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٣)، وبحار الأنوار: ج٦٨ ص١٩٢ ـ ١٩٣ ب١٤ ح٥٩.
(٢) سورة الانفطار، الآية: ٦.

ما أجرأك على معصيته؟

فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ، فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ، وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ، فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ.

وَايْمُ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ، لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الأَخْلَاقِ، وَمَسَاوِئِ الأَعْمَالِ، وَحَقّاً أَقُولُ: مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ، وَلَكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ، وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتِ، وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ، وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ، وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ، أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ.

وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ، وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ، وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ، لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ، وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ، بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ، وَالشَّحِيحِ بِكَ، وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلّاً، وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ.

إذا قامت القيامة

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ، وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ،

فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ، فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ، وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ، وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ، وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ، وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ.

دار بالغدر معروفة (١)

ومن خطبة له عليه السلام :

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ، لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا، وَلَا يَسْلَمُ نُزَّالُهَا، أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ، الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ، وَالأَمَانُ مِنْهَا مَعْدُومٌ، وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ، تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا، وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا.

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ، أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً، وَأَعْمَرَ دِيَاراً، وَأَبْعَدَ آثَاراً، أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً، وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً.

فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ الْمَشَيَّدَةِ، وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ، الصُّخُورَ وَالأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ عَلَى الْخَرَابِ فِنَاؤُهَا، وَشُيِّدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا، فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٦)، والمناقب للخوارزمي: ص٣٧٠ ـ ٣٧١ ف٢٤ ح٣٨٩، وكنز العمال: ج١٦ ص٢٠١ ـ ٢٠٢ ح٤٤٢٢٤ خطب الصحابة.

كيف بكم إذا بُعثرت القبور؟

بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ، وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ، لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ، عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ، وَدُنُوِّ الدَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى؟

وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ، فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الأُمُورُ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ، ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

خذ من حياتك لموتك[2]

ومن خطبة له عليه السلام:

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ، وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى، قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ، وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ.

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ، امْرُؤٌ خَافَ اللَّهَ وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا، وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ، وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٧)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ق١ ب٦ ف٤ أهمية العمل ح٢٧٨٥.

سيأتيك من يخرجك منها[1]

ومن كتاب لـه عليه السلام لشريح بن الحارث قاضيه:

رُوِيَ أَنَّ شُرَيْح بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَاراً بِثَمَانِينَ دِيناراً، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَاسْتَدْعَى شُرَيْحاً وَقَالَ لَهُ:

بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَاراً بِثَمَانِينَ دِيناراً، وَكَتَبْتَ لَهَا كِتَاباً، وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً؟.

فَقَالَ لـه شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ:

يَا شُرَيْحُ، أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً، فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هَذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الآخِرَةِ.

أَمَا إِنَّكَ لَوْ كُنْتَ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ، لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هَذِهِ النُّسْخَة، فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هَذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ، وَالنُّسْخَةُ هَذِهِ:

هَذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ، مِنْ مَيِّتٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ الْغُرُورِ، مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣)، والأمالي للصدوق: ص٣١١ ـ ٣١٢ المجلس ٥١ ح١٠، وروضة الواعظين: ج٢ ص٤٤٦ ـ ٤٤٧ مجلس في ذكر الدنيا.

حدود الدار الواقعية

وَتَجْمَعُ هَذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الأَوَّل يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هَذِهِ الدَّارِ.

اشْتَرَى هَذَا الْمُغْتَرُّ بِالأَمَلِ، مِنْ هَذَا الْمُزْعَجِ بِالأَجَلِ، هَذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ، وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هَذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ، فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَمَنْ بَنَى وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَادَّخَرَ وَاعْتَقَدَ، وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ.

إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، إِذَا وَقَعَ الأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(١).

شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى، وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا.

ليكن همّك فيما بعد الموت(٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس وكان ابن عباس يقول:

---

(١) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٢٢)، والكافي: ج٨ ص٢٤٠ حديث القباب ح٣٢٧، وأنساب الأشراف للبلاذري: ص١١٦ ـ ١١٧ حكم قصار له ٦٧، وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢٠٥ خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله كانتفاعي بهذا الكلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوؤُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ، وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا، وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحاً، وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ.

الموعظة للبر والفاجر[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

فَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَانْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَارْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً، وَسُبُلاً نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً، وَغَايَةً مُطَّلَبَةً، يَرِدُهَا الأَكْيَاسُ، وَيُخَالِفُهَا الأَنْكَاسُ، مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ الْحَقِّ، وَخَبَطَ فِي التِّيهِ، وَغَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ.

فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ! فَقَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلَكَ، وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ، فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ، وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ، فَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً، وَأَوْرَدَتْكَ الْمَهَالِكَ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ الْمَسَالِكَ.

النصيحة للصديق والعدو[2]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية أيضاً [3]:

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٠)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٨٣ ب١٦ ح٣٩٨.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٤٩)، وتنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ج٢ ص٣٦، والأخبار الطوال للدينوري: ص١٩١.

(٣) وفي الأخبار الطوال: أن هذا الكتاب موجه إلى عمرو بن العاص.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلَّا فَتَحَتْ لَه حِرْصاً عَلَيْهَا، وَلَهَجاً بِهَا، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا، وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ، وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ، وَلَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى، حَفِظْتَ مَا بَقِيَ، وَالسَّلَامُ.

لا تأمن الدنيا على حال(١)

ومن وصية لـه عليه السلام وصى بها شريح بن هانئ لما جعله على مقدمته إلى الشام:

اتَّقِ اللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا الْغَرُورَ، وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهٍ، سَمَتْ بِكَ الأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ الْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً.

ضع عنك هموم الدنيا(٢)

ومن وصية لـه عليه السلام إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيام خلافته:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ، لَيِّنٌ مَسُّهَا، قَاتِلٌ سَمُّهَا، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٥٦)، وتحف العقول: ص١٩١ ـ ١٩٢ وصيته لزياد بن النضر حين أنفذه على مقدمته إلى صفين، وكتاب وقعة صفين: ص١٢١ ـ ١٢٢ نصيحة علي لزياد بن النضر وشريح بن هانئ.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٨)، والكافي: ج٢ ص١٣٦ باب ذم الدنيا والزهد فيها ح٢٢، والإرشاد: ج١ ص٢٣٣ ومن كلامه في صفة الدنيا والتحذير منها.

أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا، وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا، وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا، أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا، فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ، أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ، أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ، وَالسَّلَامُ.

الدهر: يومان(١)

ومن وصية له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ، وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ.

وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

عظمت منّته، وسبغت نعمته(٢)

خطبة خالية من الألف

ومن خطبة له عليه السلام تعرف (بالمونقة) خالية من حرف الألف، وقد ارتجلها من غير سابق فكر ولا تقدم روية:

حَمِدتُ من عظُمت منّته، وسبغت نعمته، وسبقت غضبَه رحمتُه، وتمّت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيّته.

حَمِدته حَمد مُقرّ بربوبيّته، مُتخضّع لعبوديّته، مُتنصّل من خطيئته،

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٧٢)، والكافي: ج٨ ص٢١ خطبة لأمير المؤمنين وهي خطبة الوسيلة ح٤، وتحف العقول: ص٩٥ خطبته المعروفة بالوسيلة.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٨٢ ـ ٩٤ الخطبة رقم (١٨) عن شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٩ ص١٤٠، ومطالب السؤول: ص١٧٣، وكفاية الطالب: ص٣٩٣.

مُعترف بتوحيده، مستعيذ من وعيده، مؤمّل منه مغفرة تُنجيه، يوم يُشغَل عن فَصيلته وبنيه.

ونَستعينه ونَسترشده ونَستهديه، ونؤمن به ونتوكّل عليه، وشهِدتُ لـه شُهود مُخلص مُوقن، وفَرَّدته تفريد مؤمن متيقّن، ووحّدته توحيد عبد مذعن، ليس لـه شريك في مُلكه، ولم يكن لـه وليّ في صُنعه، جلَّ عن مشير ووزير، وعن عون معين ونصير ونظير.

علم فستر، وبطن فخبر

عَلِم فستر، وبطن فخبر، وملك فقهر، وعُصي فغفر، وعُبد فشكر، وحكم فعدل، لم يزل ولن يزول، (ليس كمثله شيء)، وهو قبل كل شيء، وبعد كل شيء.

رَبٌّ متعزّز بعزّته، متمكّن بقوّته، متقدّس بعلوّه، متكبّر بسموّه، ليس يُدركه بَصر، ولم يحط به نظر، قويّ منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم.

عَجَزَ عن وصفه من يصفه، وضلَّ عن نعته من يعرفه.

قرُب فبعُد، وبعُد فقرُب، يُجيب دعوة من يَدعوه، ويَرزقه ويَحبوه.

ذو لُطف خفي، وبطش قوي، ورحمة مُوسَعة، وعقوبة موجِعة، رحمته جَنَّة عريضة مونِقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبِقة.

شهِدتُ ببعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسوله

وشهِدتُ ببعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسوله، وعبده وصفيّه، ونبيّه ونجيه، وحبيبه وخليله، بعثه في خير عصر، وحين فَترة وكُفر، رحمة لعبيده، ومنَّة لمزيده، ختم به نبوّته، وشيّد به حجّته، فوعظ ونصح، وبلغ وكدح،

رؤوف بكل مؤمن، رحيم سخي، رضي ولي زكي، عليه رحمة وتسليم، وبركه وتكريم، من ربّ غفور رحيم، قريب مجيب.

ذكَّرتُكم بسنّة نبيّكم

وصَّيتكم معشر من حضرني بوصيّة ربّكم، وذكَّرتُكم بسنّة نبيّكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تُذري دُموعكم، وتقية تُنجيكم، قبل يوم يُبليكم ويُذهلكم، يوم يفوز فيه من ثقُل وزن حسنته، وخفَّ وزن سيئته.

ولتكن مَسألتكم وتَملّقكم مَسألة ذلّ وخضوع، وشكر وخشوع، بتوبة ونُزُوع، وندم ورُجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم: صحته قبل سَقَمه، وشبيبته قبل هَرمه، وسَعته قبل فقره، وفَرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبُّر وتهرُّم وتسقُّم، ويمُلُّه طبيبه، ويُعرض عنه حبيبه، ويَنقطع غِمده(١)، ويَتغيّر عقله.

نحو برزخ ونشور

ثمّ قيل: هو مَوعُوك، وجسمه منهوك، ثم جُدّ في نزع شديد، وحضره كلّ قريب وبعيد، فشخَص بصره، وطمَح نظره، ورشَح جبينه، وعَطف عرينه، وسكن حَنينُه، وحَزنته نفسه، وبَكته عِرسه، وحُفِر رمسه، ويَتَم منه ولده، وتفرَّق منه عدده، وقُسِم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ومُدّد وجُرّد، وعُرّي وغُسل، ونُشّف وسُجّي، وبُسط له وهُيّئ، ونُشر عليه كفنه، وشُدّ منه ذقنه، وقُمّص وعُمّم، ووُدّع وسُلّم، وحُمل فوق سرير، وصُلّي عليه بتكبير، بغير سجود وتعفير.

---

(١) عمره. خ ل.

ونُقل من دُور مزخرفة، وقصور مشيّدة، وحُجُر مُنجّدة، وجُعل في ضريح ملحود، وضيق مرصود، بلِبن منضود، مسقّف بجُلمود، وهيل عليه حَفَره، وحُثي عليه مدره، وتحقّق حذره، ونُسي خبره، ورجع عنه وليّه وصفيّه، ونديمه ونسيبه، وتبدّل به قرينه وحبيبه، فهو حَشوُ قبر، ورهين قفر، يسعى بجسمه دُودُ قبره، ويَسيل صَديده من مَنخره، يَسحق تُربُه لحمه، وينشف دمه، ويرمُ عظمه، حتى يوم حشره، فنُشر من قبره حين يُنفخ في صور، ويُدعى بحشر ونُشور.

ثم بُعثرتْ قبور

فَثَم بُعثرتْ قبور، وحُصَلت سريرة صدور، وجيء بكلّ نبيّ وصدّيق، وشهيد ونَطيق، وتوحّد للفصل رَبّ قدير، بعبده خبير بصير.

فكم من زفرة تُضنيه، وحسره تُنضيه، في موقف مهول، ومشهد جليل، بين يدي مَلك عظيم، وبكل صغير وكبير عليم.

فحينئذ يُلجمه عرقه، ويُحصره قلقه، عَثرته غير مرحومة، وصَرخته غير مسموعة، وحجته غير مقبولة، زالت جريدته، ونشرت صحيفته، حيث نظر في سوء عمله، وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخَطوِه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسّه، فسُلسل جِيده، وغُلّت يده، وسيق بسَحبٍ وحده.

فورد جهنم بكرب وشدّة، فظل يُعذّب في جحيم، ويُسقى شربة من حميم، تَشوي وجهه، وتَسلخ جلده، ويضربه ملك بمقمع من حديد، ويَعود جلده بعد نُضجه كجلد جديد، يستغيث فتُعرض عنه خزنة جهنم، ويَستصرخ فَيلبَث حَقَبَة يندم.

نعوذ بربّ قدير

نعوذ بربّ قدير، من شرّ كلّ مَصير، ونسأله عَفوَ مَن رضي عنه، ومغفرة من قَبِله، فهو وليّ مَسألتي، ومُنجح طلبتي، فمن زُحزح عن تعذيب ربّه، جُعل في جنّته بقربه، وخلّد في قصور مشيَّدة، ومُلِك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكؤوس، وسُكن في حظيرة قُدّوس، وتقلَّب في نعيم، وسْقي من تسنيم، وشرب من عَين سلسبيل، وقد مُزج له بزنجبيل، مُختم بمسك وعبير، مُستديم للمُلك، مُستشعر للسرور، يَشرب من خمور في رَوض مُغدق، ليس يُصَدَّع مَن شَرِبه، وليس ينزف عقله.

مصير مَن خشيَ ومَن جحد

هذه منزلة من خشيَ ربّه، وحذّر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مُنشِئَه، وسَوَّلت له نفسه معصيته.

فهو قَول فَصل، وحُكم عدل، وخير قَصَص قصّ، ووعْظ نصّ، تنزيل من حكيم حميد، نزل به رُوح قُدُس مُبين، على قلب نبي مُهتد رشيد، صلَّت عليه رُسُل سَفَرَة، مكرَمون بَرَرَة.

عُذت برب عليم، رحيم كريم، من شرّ كلّ عدوٍّ لعين رجيم، فليَتَضرّع متضرّعكم، وليبتهل مبتهلكم، وليستغفر كلّ مربوب منكم لي ولكم، وحسبي ربي وحده.

الإقبال على الدنيا يورث الندامة(١)

ومن خطبة له عليه السلام خطب بها في فلول جيش البصرة بعد انتهاء قصة الجمل:

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٣٤٩ ـ ٣٥١ الخطبة رقم (١١٦) عن روضة الكافي: ص٢٥٦ ح٣٦٨.

يا أيّها الناس، إنّ الدنيا حُلوَة خَضِرة، تُفتّن الناس بالشهوات، وتُزّين لهم بعاجلها، وايم الله إنها لتغُر من أمّلها، وتُخلِف من رجاها، وستُورِث أقواماً الندامة والحسرة بإقبالهم عليها، وتنافسهم فيها، وحسدهم وبغيهم على أهل الدين والفضل فيها ظُلماً، وعُدواناً وبغياً، وأشِراً وبَطراً، وبالله إنه ما عاش قوم قط في غضارة من كرامة نعم الله في معاش دنيا، ولا دائم تقوى في طاعة الله، والشكر لنعمه، فأزال ذلك عنهم، إلّا من بعد تغيير من أنفسهم، وتحويل عن طاعة الله، والحادث من ذنوبهم، وقلة محافظة، وترك مراقبة الله عزّ وجلّ، وتهاون بشكر نعمة الله، لأن الله عزّ وجلّ يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾(١).

استشعروا خوف الله

ولو أنّ أهل المعاصي وكسبة الذنوب، إذا هم حُذّروا زوال نعم الله، وحلول نقمته، وتحويل عافيته، أَيقنوا أن ذلك من الله جلّ ذكره، بما كسبت أيديهم، فأَقلعوا وتابوا، وفزعوا إلى الله بصدق من نيّاتهم، وإقرار منهم بذنوبهم وإساءتهم، لصفح لهم عن كل ذنب، وإذاً لأقالهم كل عثرة، ولردَّ عليهم كل كرامة نعمة، ثم أعاد لهم من صلاح أمرهم ـ ومما كان أنعم به عليهم ـ كل ما زال عنهم وأفسد عليهم.

فاتقوا اللهَ أيّها الناس حقّ تقاته، واستشعروا خوف الله جل ذكره، وأخلصوا اليقين [النفس (خ ل)]، وتوبوا إليه من قبيح ما استفزّكم الشيطان ـ من قتال وليّ الأمر وأهل العلم بعد رسول الله ﷺ ـ وما

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

تعاونتم عليه من تفريق الجماعة، وتشتُّت الأمر، وفساد صلاح ذات البين، إن الله عزّ وجلّ يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تفعلون.

الدنيا متجر أولياء الله[1]

ومن كلام له عليه السلام لمّا سمع جابر وقوم من أصحابه في حرب البصرة يذمّون الدنيا:

أمّا بعد، فما بال أقوام يذمّون الدنيا وقد انتحلوا الزهد فيها ؟!، الدنيا منزل صدق لمن صدّقها، ومسكن عافية لمن فهم عنها، ودار غنىً لمن تزوّد منها، مسجد أنبياء الله، ومهبِط وحيه، ومصلّى ملائكته، ومسكن أحبّائه، ومتجر أوليائه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا منها الجنّة.

فمن ذا يذم الدنيا ـ يا جابر ـ وقد آذنت ببيَنْها ؟! ونادت بانقطاعها، ونعت نفسها بالزوال، ومثَّلت ببلائها البلاء، وشوَّقت بسرورها إلى السرور، وراحت بفجيعة، وابتكرت بنعمة وعافية، ترهيباً وترغيباً، فذمَّها قوم غداة الندامة، وحمِدها آخرون، خدمتهم جميعاً فصدقتهم، وذكّرتهم فاذّكّروا، ووعظتهم فاتّعظوا، وخوّفتهم فخافوا، وشوقتهم فاشتاقوا.

أيّها الذامّ للدنيا!

فأيّها الذامّ للدنيا المغترّ بغرورها! متى استذمّت إليك؟ بل متى غرّتك بنفسها؟ أبمصارع آبائك من البِلى؟! أم بمضاجع أُمّهاتك من الثرى؟

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٣٥٢ ـ ٣٥٧ الخطبة رقم (١١٧) عن تحف العقول: ص١٨٦ طبعة طهران، وقريب منه في أمالي الطوسي: ص٢٦.

كم مرَّضت بيديك، وعلَّلت بكفَّيك؟ تَستَوصف لهم الدواء، وتطلب لهم الأطباء، لم تُدرك فيه طلبتك، ولم تُسعَف فيه بحاجتك.

بل مثَّلَتِ الدنيا به نفسك، وبحاله حالك، غداة لا يَنفعك أحباؤك، ولا يُغني عنك نداؤك، يشتد من الموت أعالين المرضى، وأليم لَوعات المَضَض، حين لا ينفع الأَلِيل، ولا يدفع العَويل، حين يُحفَز بها الحيزوم، ويُغَصّ بها الحلقوم، حين لا يُسمعه النداء، ولا يَروعه الدعاء، فيا طول الحَزَن عند انقطاع الأجل.

ثم يُراح به على شِرجَع تُقلّه أكُفّ أربع، فيُضجَع في قبره في لَبَث، وضيق جَدَث، فذهبت الجِدّة، وانقطعت المدة، ورفضته العَطَفة، وقطعته اللطَفَة، لا تُقاربه الإخلاء، ولا تَلُمُّ به الزوّار، ولا اتّسقت به الدار.

انقطع دونه الأثر، واستعجم دونه الخبر، وبكّرت ورثته، فأقسمت تركته، ولحِقه الحُوب، وأحاطت به الذنوب، فإن يكن قَدَّم خيراً طاب مكسبه، وإن يكن قَدَّم شرّاً تَبَّ منقلبه، وكيف ينفع نفساً قرارها، والموت قُصارها، والقبر مزارها؟ فكفى بهذا واعظاً كفى.

لو أُذن للقوم في الكلام

ثم قال عليه السلام: يا جابر، امض معي.

قال جابر: فمضيت معه حتى أتينا القبور.

فقال: يا أهل التُّربة، ويا أهل الغُربة، أما المنازل فقد سُكنت، وأما المواريث فقد قُسِمت، وأما الأزواج فقد نُكحت، هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم!

قال جابر: ثم أمسك عني ملياً، ثم رفع رأسه فقال: والذي أقل

السماء فَعَلَت، وسطح الأرض فَدَحَت، لو أُذن للقوم في الكلام، لقالوا: إنا وجدنا خير الزاد التقوى.

ثم قال عليه السلام: يا جابر، إذا شئت فارجع.

باشروا الآجال بمحاسن الأعمال[1]

ومن خطبة له عليه السلام في تزهيد الناس عن الدنيا:

تَرَصّدوا مواعيد الآجال، وباشروها بمحاسن الأعمال، ولا تركنوا إلى ذخائر الأموال، فتُحلّيكم خدائع الآمال.

إن الدنيا خدّاعة، صرَّاعة مكَّارة، غرَّارة سحَّارة، أنهارها لامعة، وثمراتها يانعة، ظاهرها سرور، وباطنها غرور، تأكلكم بأضراس المنايا، وتَبيركم بإتلاف الرزايا.

لَهَمَّ بها أولاد الموت، وآثروا زينتها، وطلَبوا رُتبتها. جهِل الرجل، ومَن ذلك الرجل؟ المولع بلذتها، والساكن إلى فرحتها، والآمن لغدرتها.

ألا وإن الدنيا دارت عليكم بصُرُوفها، ورمتكم بسهام حُتُوفها، فهي تَنزع أرواحكم نَزعاً، وأنتم تَجمعون لها جمعاً!

للموت تولَدون، وإلى القبور تُنقَلون، وعلى التراب تتوسَّدون، وإلى الدود تُسلَّمون، وإلى الحساب تُبعَثون.

اذكروا مصارع الآباء

يا ذَوي الحِيَل والآراء، والفقه والأنباء، اذكروا مصارع الآباء، فكأنكم بالنفوس قد سُلبت، وبالأبدان قد عُريت، وبالمواريث قد

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٣٧ ـ ٤٣ عن أمالي الشيخ الطوسي: ص٥٥ ح٣، ورواه عنه تفسير البرهان: ج٣ ص٧٧.

قُسِمت، فتصير يا ذا الدَلال، والهيئة والجمال، إلى منزلة شَعثاء، ومَحلّة غَبراء، فتنوَّم على خَدّك في لحدك، في منزل قلّ زوّاره، وملّ عمّاله، حتّى يُشقُّ عن القبور، وتُبعَث إلى النشور.

فإن خُتم لك بالسعادة، صرت إلى الحبور، وأنت مَلِك مطاع، وآمِن لا تُراع، يطوف عليكم ولدان، كأنهم الجُمان، بكأس من معين، بيضاء لذّة للشاربين.

أهل الجنّة فيها يتنعّمون، وأهل النار فيها يُعذَّبون، هؤلاء في السندس والحرير يَتبخترون، وهؤلاء في الجحيم والسعير يَتقلَّبون، هؤلاء تُحشى جماجمهم بمسك الجنان، وهؤلاء يُضربون بمقامع النيران، هؤلاء يعانقون الحور في الحجال، وهؤلاء يُطَوَّقون أطواقاً في النار بالأغلال، فله فزع قد أعيا الأطباء، وبه داء لا يقبل الدواء.

القبر: بيت الأهوال والبِلى

يا من يُسلَّم إلى الدود ويُهدى إليه، اعتبر بما تسمع وترى، وقل لعينك: تَجفو لذة الكرى، وتُفيض الدموع بعد الدموع تترى، بيتك القبر بيت الأهوال والبِلى، وغايتك الموت يا قليل الحياء.

اسمع يا ذا الغفلة والتصريف، من ذوي الوعظ والتعريف، جُعل يوم الحشر يوم العَرض والسؤال، والحِباء والنكال، ويوم تُقلب فيه أعمال الأنام، وتُحصى فيه جميع الآثام، يوم تذوب من النفوس أحداق عيونها، وتضع الحوامل ما في بطونها، ويُفرَّق بين كل نفس وحبيبها، وَيَحار في تلك الأهوال عقل لبيبها.

إذ تنكّرت الأرض بعد حُسن عمارتها، وتبدلت بالخَلَق بعد أنيق

زُهرتها، وأخرجت من معادن الغَيب أثقالها، ونفضت إلى الله أحمالها، يوم لا ينفع الجِدُّ، إذا عايَنوا الهَول الشديد فاستكانوا، وعُرف المجرمون بسيماهم فاستبانوا.

فانشقَّت القبور بعد طول انطباقها، واستسلمت النفوس إلى الله بأسبابها، وكُشف عن الآخرة غطاؤها، وظهر للخلق أنباؤها.

إذا دكت الأرض دكاً دكاً

فدُكّت الأرض(١) دكّاً دكّاً، ومُدَّت لأمر يراد بها مَدّاً مَدّاً، واشتد المُثارون إلى الله شدّاً شدّاً، وتزاحفت الخلائق إلى المحشر زحفاً زحفاً، ورُدّ المجرمون على الأعقاب ردّاً ردّاً، وجدّ الأمر ـ ويحك يا إنسان ـ جَدّاً جَدّاً، وقُرّبوا للحساب فرداً فرداً، وجاء ربك والملك صفاً صفاً، ويسألهم عما عملوا حرفاً حرفاً.

وجيء بهم عُراة الأبدان، خُشعاً أبصارهم، أمامهم الحساب، ومن ورائهم جهنم، يَسمعون زَفيرها، ويَرَون سعيرها(٢)، فلم يجدوا ناصراً ولا ولياً يُجيرهم من الذل، فهم يَغدون سراعاً إلى مواقف الحشر، يُساقون سَوقاً.

فالسماوات مطويّات بيمينه كطيّ السجلّ للكتب، والعباد على الصراط وجلت قلوبهم، يظنون أنهم لا يُسلَمون، ولا يؤذن لهم فيتكلّمون، ولا يُقبل منهم فيعتذرون، قد خُتم على أَفواههم، واستُنطقت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يا لها من ساعة! ما أشجا مواقعها من القلوب حين مُيّز

---

(١) الجبال، خ ل.
(٢) زئيرها، خ ل.

بين الفريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير، مِن مِثل هذا فليهرَب الهاربون، وإذا كانت الدار مثل الآخِرة، فلها يعمل العاملون.

أين التعِب بالليل والنهار للدنيا؟[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام في الردع عن التنافس في الدنيا:

أوصيكم عباد الله ـ ونفسي ـ بتقوى الله ولزوم طاعته، وتقديم العمل، وترك الأمل، فإنه من فرَّط في عمله، لم ينفع بشيء من أمله.

أين التعِب بالليل والنهار؟ المقتحِم للجج البحار، ومفاوِز القِفار، يسير من وراء الجبال، وعالج الرمال، يصل الغدوَّ بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب مُحقَّرات الأرباح!، هجمت عليه منيّته، فعظمت بنفسه رزيّته، فصار ما جمع بُوراً، وما اكتسب غُروراً، ووافى القيامة محسوراً!.

أيها اللاهي بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يَقرع لك باباً، ولا يَهاب بك حجاباً، ولا يَقبل منك بديلاً، ولا يَأخذ منك كفيلاً، ولا يَرحم لك صغيراً، ولا يُوقّر فيك كبيراً، حتى يُؤدّيك إلى قعر ملحودةٍ، مظلمة أرجاؤها، موحشة أطلالها، كفعله بالأمم الخالية، والقرون الماضية!.

أين من قاد الجنود والعساكر؟

أين من سعى واجتهد؟ وجمع وعدّد؟ وبنى وشيّد؟ وزخرف ونجّد؟ وأين من بالقليل لم يقنع؟ وبالكثير لم يَمتع؟

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص١٣٤ ـ ١٣٧ الخطبة رقم (٣٨) عن كتاب فرش الخطب من العقد الفريد: ج٤ ص١٣٤ ورواها أيضاً كتاب جواهر المطالب: ص٥٩ وص٧٠.

أين من قاد الجنود؟ ونشر البنود؟

أضحوا رُفاتاً، تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون!.

عباد الله فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال، وتشقّق السماء بالغمام، وتطاير الكتب عن الأيمان والشمائل، فأيّ رجل يومئذ تراك؟! أقائل: هاؤم اقرؤوا كتابيه؟ أم قائل: يا ليتني لم أوت كتابيه؟

نسأل من وعدنا ـ بإقامة الشرائع ـ جَنته، أن يقِيَنا سَخطه.

إنّ أحسن الحديث، وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[1].

هو الدائم بلا فناء[2]

ومن خطبة له عليه السلام في تحميد الله تعالى وتزهيد الناس عن التعلّق بالدنيا:

الحمد لله الخافض الرافع، الضارّ النافع، الجواد الواسع، الجليل ثناؤه، الصادقة أسماؤه، المحيط بالغيوب، وما يخطر على القلوب، الذي جعل الموت بين خلقه عدلاً، وأنعم بالحياة عليهم فضلاً، فأحيا وأمات، وقدّر الأقوات، أحكمها بعلمه تقديراً، وأتقنها بحكمته تدبيراً، إنه كان خبيراً بصيراً.

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص١٩٢ ـ ١٩٨ الخطبة رقم (٥١) عن روضة الكافي: ص١٧٠ ح١٩٣، وروى قريباً منه تنبيه الخواطر: ص٤٥٩، ورواه جواهر المطالب: ص٤٨.

هو الدائم بلا فناء، والباقي إلى غير منتهى، يعلم ما في الأرض وما في السماء، وما بينهما وما تحت الثرى.

أحمده بخالص حمده المخزون، بما حمده به الملائكة والنبيُّون، حمداً لا يُحصَى لـه عدد، ولا يتقدَّمه أمد، ولا يأتي بمثله أحد، أؤمن به وأتوكل عليه، وأستهديه وأستكفيه، وأستقصيه بخير وأسترضيه.

وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحقّ، ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (صلى الله عليه وآله).

الدنيا ليست لكم بدار

أيها الناس، إن الدنيا ليست لكم بدار، ولا محلُّ قرار، وإنما أنتم فيها كركْب عرّسوا فأناخوا، ثم استقلوا فغدَوا وراحوا.

دخلوا خِفافاً، وراحوا خِفافاً، لم يجدوا عن مضيٍّ نزوعاً، ولا إلى ما تركوا رجوعاً، جدّ بهم فجدّوا، وركنوا إلى الدنيا فما استعدُّوا.

حتى إذا أُخذوا بكظمهم، وخلصوا إلى دار قوم جَفَّت أقلامهم، ولم يَبق من أكثرهم خبر ولا أثر، قلّ في الدنيا لَبثهم، وعجّل إلى الآخرة بَعثهم.

فأصبحتم حُلُولاً في ديارهم، ظاعنين على آثارهم، والمطايا بكم تسير، سيراً ما فيه أين ولا تفتير، نهاركم بأنفسكم دَؤوب، ولَيلكم بأرواحكم ذَهوب، فأصبحتم تَحكون من حالهم حالاً، وتَحتذون من مسلكهم مثالاً!، فلا تَغرنّكم الحياة الدنيا، فإنما أنتم فيها سَفْر حُلُول،

والموت بكم نُزُول، تنتضِل فيكم مناياه، وتمضي بأخباركم مطاياه، إلى دار الثواب والعقاب، والجزاء والحساب.

رحم الله امرأً راقب ربّه

فرحم الله امرأً راقب ربّه، وتنكّب ذنبه، وكابر هواه، وكذّب مناه، ورحم الله امرأً زمّ نفسه من التقوى بزمام، وألجمها من خشية ربها بلجام، فقادها إلى الطاعة بزِمامها، وقدعها[١] عن المعصية بلِجامها، رافعاً إلى المعاد طَرفه، متوقعاً في كل أَوان حَتفه، دائم الفكر، طويل السهر، عَزُوفاً عن الدنيا سأماً، كدوحاً لآخرته متحافظاً.

العاقبة للتقوى

ورحم الله امرأً جعل الصبر مطيّة نجاته، والتقوى عُدّة وفاته، ودواء أجوائه، فاعتبر وقاس، وترك الدنيا والناس.

وهو يتعلّم للتفقّه والسداد، وقد وقَّر قلبه ذكر المعاد، وطوى مِهاده، وهجر وِساده، منتصباً على أطرافه، داخلاً في أعطافه، خاشعاً لله عزّ وجلّ، يُراوح بين الوجه والكفين، خشوع في السر لربه.

لدمعه صَبيب، ولقلبه وَجيب، شديدة أسباله، ترتعد من خوف الله عزّ وجلّ أوصاله، قد عظمت فيما عند الله رغبته، واشتدَّت منه رهبته، راضياً بالكفاف من أمره، وان أحسن طول عمره، يُظهر دون ما يَكتم، ويَكتفي بأقل مما يَعلم.

أولئك ودائع الله في بلاده، المدفوع بهم عن عباده، لو أقسم

---

(١) وقرعها، خ ل.

أحدهم على الله جل ذكره لأبرَّه، أو دعا على أحد نصره الله، يسمع الله مناجاته إذا ناجاه، ويستجيب لـه إذا دعاه

جعل الله العاقبة للتقوى، والجنة لأهلها مأوى، دعاؤهم فيها أحسن الدعاء: ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾(١) دعاؤهم المولى على ما آتاهم: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

الدهر ثلاثة أيّام(٣)

ومن كلام لـه عليه السلام في الحث على اغتنام الفرصة، وترك التسويف:

إنما الدهر ثلاثة أيام ــ أنت فيما بينهن ــ:

مضى أمس بما فيه فلا يرجع أبداً، فإن كنت عملت فيه خيراً لم تحزن لذهابه، وفرحت بما أسلفته فيه، وإن كنت قد فرّطت فيه، فحسرتك شديدة لذهابه وتفريطك فيه.

وأنت في يومك الذي أصبحت فيه من غد في غِرّة! ولا تدري ولعلّك لا تبلغه؟ وإن بلغته لعلّ حظَّك فيه في التفريط مثل حظِّك في الأمس الماضي عنك!

فيوم من الثلاثة قد مضى وأنت فيه مفرّط، ويوم تنتظره ولست أنت منه على يقين من ترك التفريط، وإنما لك من الثلاثة هو يومك الذي أصبحت فيه.

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٢٥٥ ـ ٢٥٦ الخطبة رقم (٦٦) عن أصول الكافي: ج٢ ص٤٥٣، ورواه عنه في بحار الأنوار: ج٣ ص١٥٨.

ما ينبغي للعاقل!

وقد كان ينبغي لك ـ إن عَقِلت وفَكَّرت ـ فيما فَرَّطت في الأمس الماضي، مما فاتك فيه من حسنات، أن لا تكون اكتسبتها، ومن سيِّئات لا تكون أقصرت عنها، وأنت مع هذا من استقبال غد على غير ثقة من أن تبلغه، وعلى غير يقين من اكتساب حسنة، أو ارتِداع عن سيِّئة مُحبِطة.

فأنت من يومك الذي تَستقبل، على مثل يومك الذي استدبرت! فاعمل عمل رجل ليس يأمُل من الأيام إلا يومه الذي أصبح فيه وليلته.

طريق الجنّة وطريق النار[1]

ومن كلام لـه عليه السلام في الحث على اتّباع الحقّ واجتناب الباطل:

الحق طريق الجنّة، والباطل طريق النار، وعلى كل طريق داع يدعو إلى طريقه، فمن أجاب داعي الحق أدّاه إلى الجنة، ومن أجاب داعي الباطل ساقه إلى النار.

ألا وإن داعيَ الحق كتاب الله عزّ وجلّ، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، من عمل به آجر، ومن خالفه دحر.

ألا وإن الداعي إلى الباطل عدوكم الذي ﴿أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[2].

ألا فاعصوا عدوَّكم، وأطيعوا ربّكم، ومن أحق بكم من الله؟ خلقكم ثم رزقكم ثم يُميتكم ثم يُحييكم؟

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص٢٩١ ـ ٢٩٢ الخطبة رقم (٧٧) عن تيسير المطالب: ص١٨٤ ح٧ من الباب ١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

ألا وإنه عزّ وجلّ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[(١)].

عباد الله فـ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[(٢)].

ألا فإن لم تفعلوا فقد سلكتم سبيل من قد هلك.

من اتّقى الله عزّ وقوي[(٣)]

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى بعض أصحابه يعظه به:

أُوصيك ونفسي بتقوى من لا تَحِلُّ معصيته، ولا يُرجى غيره، ولا الغنى إلّا به، فإنّ من اتّقى الله عزّ وجلّ عزَّ وقَوي، وشَبع ورَوي، ورُفع عقله عن أهل الدنيا، فبدنه مع أهل الدنيا، وقلبه وعقله مُعاين الآخرة.

فأطفأ بضَوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبّ الدنيا، فَقَذَّر حرامها، وجانَب شُبُهاتها، وأضرَّ والله بالحلال الصافي إلّا ما لا بُدّ له، من كَسرة يَشدّ بها صُلبه، وثَوب يواري به عَورته، من أغلظ ما يجد وأخشنه.

ولم يكن لـه فيما لا بُدَّ لـه منه ثقة ورجاء، فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء، فجدَّ واجتهد، وأتعب بدنه، حتى بدت الأضلاع، وغارت العينان، فأبدل الله لـه من ذلك قوّة في بدنه، وشدة في عقله، وما ذَخر لـه في الآخرة أكثر.

حب الدنيا يعمي ويصم

فارفَض الدنيا، فإن حبَّ الدنيا يُعمي ويُصم ويُبكم، ويُذلُّ الرقاب،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص١٣١ ـ ١٣٤ الخطبة رقم (٥٥) عن أصول الكافي: ج٢ ص١٣٦، ورواه أيضاً تنبيه الخواطر: ج٢ ص٥٠٥.

فتداركْ ما بقي من عمرك، ولا تَقل: غداً أو بعد غد، فإنما هلك من كان قبلك بإقامتهم على الأماني والتسويف، حتّى أتاهم أمر الله بَغتة وهم غافلون، فنُقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيّقة، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون.

فانقطع إلى الله بقلب منيب مِن رَفض الدنيا، وعَزم ليس فيه انكسار ولا انخِزال، أعاننا الله وإياك على طاعته، ووفقنا الله وإياك لمرضاته.

الدنيا ظلّ آفل(١)

الدنيا دار غُرور حائل، وزُخرف نائل، وظلٌ آفل، وسَنَد مائل، تُردي مستزيدها، وتَضرُّ مستفيدها.

فكم من واثق بها راكن إليها قد أرهقته إيثاقها، وأعلقته أرباقها، وأشربته خِناقها، وألزمته وَثاقها.

احذروا هذه الدنيا(٢)

وقال عليه السلام في ذمّ الدنيا:

احذروا هذه الدنيا الخَدّاعة الغَرّارة، التي قد تَزيّنت بحُليّها، وفَتنت بغُرورها، وغرّت بآمالها، وتشوَّقت لخطّابها، فأصبحت كالعروس المجلُوَّة، العيون إليها ناظرة، والنفوس بها مشغوفة، والقلوب إليها تائقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة.

فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بسوء أثرها على الأوَّل

---

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي: ص٣٤ ب٢.

(٢) دستور معالم الحكم: ص٣٨ ـ ٤٧ ب٢.

مزدجر، ولا اللبيب فيها بالتجارب منتفع، أَبَت القلوب لها إلّا حبّاً، والنفوس بها إلّا ضِنّاً.

فالناس لها طالبان: طالب ظفر بها، فاغترّ فيها، ونسي التزوُّد منها للظعن عنها، فقَلّ فيها لُبثه حتى خلت منها يده، وزلّت عنها قدمه، وجاءته أسرّ ما كان بها منيّته، فعظُمت ندامته، وكثُرت حسرته، وجلَّت مصيبته، فاجتمعت عليه سكرات الموت، فغير مَوصوف ما نزل به.

وآخَر اختُلج عنها قبل أن يظفر بحاجته، ففارقها بغِرّته وأَسَفه، ولم يُدرك ما طلب منها، ولم يَظفر بما رجا فيها.

فارتحلا جميعاً من الدنيا بغير زاد، وقدما على غير مِهاد.

مثَل الدنيا مثَل الحيَّة

فاحذروا الدنيا الحذر كلّه، فإنما مثلها مثل الحيَّة، ليّن مسّها، قاتل سمها.

فأعرض عما يُعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها، وضع عنك ثِقَل همومها، لما تيقّنت من وشك زوالها، وكن أسرَّ ما تكون فيها أحذر ما تكون لها.

فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصه عنها مكروه، وكلما اغتَبَط منها بإقبال نَغَّصه عنها إدبار، وكلما ثَنّى عليه منها رِجلاً طَوَت عنه كَشحاً، فالسارُّ فيها غارٌّ، والنافع فيها ضارٌّ.

وُصِل رخاؤها بالبلاء، وجُعل بقاؤها إلى الفناء، فَرَحها مشوب بالحزن، وآخِر غمومها إلى الوَهَن، فانظر إليها بعين الزاهد المفارِق، ولا تنظر إليها بعين الصاحب الوامِق.

ابن آدم في الدنيا على خطر

اعلم يا هذا، أنها تُشخِص الوادع الساكن، وتَفجع المغتبط الآمن، لا يَرجع منها ما تولّى فأدبر، ولا يُدرى ما هو آت فيُحذر، أمانيُّها كاذبة، وآمالها باطلة، صَفوُها كدر، وابن آدم فيها على خطر، إما نعمة زائلة، وإما بليَّة نازلة، وإما مُعظَمة جائحة، وإما منيَّة قاضية.

فلقد كدّرت عليه المعيشة إن عَقَل، وأخبرته عن نفسها إن وَعى.

ولو كان خالقها جل وعز لم يُخبر عنها خبراً، ولم يضرب لها مثلاً، ولم يأمر بالزهد فيها، والرغبة عنها، لكانت وقائعها وفجائعها قد أنبهت النائم، ووعظت الظالم، وبصرّت العالم، وكيف وقد جاءَ عنها من الله عزّ وجلّ زاجر، وأتت منه فيها البيّنات والبصائر؟

فما لها عند الله عزّ وجلّ قدر ولا وزن، ولا خَلَق فيما بلغنا خَلقاً أبغض إليه منها، وما نظر إليها مذ خلقها.

ولقد عُرضت على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بمفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه ذلك من حظّه من الآخرة، فأبى أن يَقبلها، لعلمه أن الله جل ثناؤه أبغض شيئاً فأبغضه، وصغّر شيئاً فصغّره، وأن لا يَرفع ما وضع الله جلّ ثناؤه، وأن لا يُكثّر ما أقلّ الله جلّ وعز.

ولو لم يُخبرك عن صِغَرها عند الله، إلّا أن الله جل وعز أصغرها عن أن يجعل خيرها ثواباً للمطيعين، وأن يجعل عقوبتها عقاباً للعاصين.

من أدلة دناءة الدنيا

ومما يدلك على دَناءة الدنيا: أن الله جل ثناؤه زواها عن أوليائه وأحبائه نظراً واختياراً، وبسطها لأعدائه فتنة واختباراً، فأكرم عنها محمّداً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم حين عَصَب على بطنه من الجوع.

وحماها موسى عليه السلام نَجيَّه المكلَّم، وكانت تُرى خُضرة البقل من صِفاق بطنه من الهُزال، وما سأل الله جل ثناؤه يوم أوى إلى الظل إلّا طعاماً يأكله لما جَهَده من الجوع، ولقد جاءت الرواية عنه: أنّه كان أوحي إليه إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل: ذنب عُجّلت عقوبته، وإذا رأيت الفقر مقبلاً فقل: مرحباً بشعار الصالحين.

وصاحب الرُّوح والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام إذ قال: أُدمي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، ودابّتي رجلاي، وسراجي بالليل القمر، وصِلائي في الشتاء مشارق الشمس، وفاكهتي ما أنبتت الأرض للأنعام، أبيت وليس لي شيء، وليس أحد أغنى منّي.

أو سليمان بن داود عليه السلام وما أوتي من الملك، إذ كان يأكل خبز الشعير، ويُطعم أهله الحنطة، وإذا جنَّه الليل لبس المُسُوح، وغَلَّ يده إلى عنقه، وبات باكياً حتى يُصبح، ويُكثر أن يقول: رب إني ظلمت نفسي كثيراً ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾(١) ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٢).

الدنيا وأولياء الله

فهؤلاء أنبياء الله، وأصفياؤه وأولياؤه، تنزَّهوا عن الدنيا، وزهِدوا فيما زهّدهم الله جل ثناؤه فيه منها، وأبغضوا ما أبغض، وصغّروا ما صغّر.

ثم اقتصّ الصالحون آثارهم، وسلكوا مناهجهم، وألْطفوا الفِكَر، وانتفعوا بالعِبر، وصبروا في هذا العمر القصير، عن متاع الغرور، الذي يعود إلى الفناء، ويصير إلى الحساب.

---

(١) سورة هود، الآية: ٤٧.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

نظروا بعقولهم إلى آخر الدنيا، ولم ينظروا إلى أوَّلها، وإلى باطن الدنيا، ولم ينظروا إلى ظاهرها، وفكّروا في مرارة عاقبتها، فلم تَستَهِزّهم حلاوة عاجلها.

ثم ألزموا أنفسهم الصبر، وأنزلوا الدنيا من أنفسهم كالميتة، التي لا يَحِل لأحد أن يَشبع منها، إلّا في حال الضرورة إليها، وأكلوا منها بقدر ما أبقى لهم النَّفَس، وأمسك الروح، وجعلوها بمنزلة الجيفة التي اشتد نَتنها، فكل من مرّ بها أمسك على أنفه منها، فهم يَتبلَّغون منها بأدنى البلاغ، ولا ينتهون إلى الشِّبع من النتْن، ويتعجَّبون من الممتلئ منها شِبعاً، والراضي بها نصيباً.

مثل الدنيا عند العاقل

إخواني، والله لهي في العاقبة والآجلة[١] لمن ناصح نفسه في النظر، وأخلص له الفِكَر، أنتن من الجيفة، وأكره من الميتة، غير أن الذي نشأ في دِباغ الإهاب لا يجد نتنه، ولا يؤذيه من رائحته ما يؤذي المارَّ به، والجالس عنده.

وقد يكفي العاقل من معرفتها علمه: فإن من مات وخلّف سلطاناً عظيماً سره أنه عاش فيها سُوقة خاملاً، أو كان فيها معافىً سليماً سرّه أنّه كان فيها مبتلىً ضَريراً، فكفى بهذا على عَوراتها والرغبة عنها دليلاً.

والله لو أن الدنيا كانت من أراد منها شيئاً وجده حيث تنال يده، من غير طلب ولا تعب، ولا مؤونة ولا نصب، ولا ظَعن ولا دَأَب، غير أن ما أخذ منها من شيء لزمه حق الله فيه، والشكر عليه، وكان مسؤولاً عنه،

---

(١) والعاجلة، خ ل.

محاسَباً عليه، لكان يَحقُّ على العاقل أن لا يتناول منها إلّا قوته، وبُلغة يومه، حذر السؤال، وخوفاً من الحساب، وإشفاقاً من العجز عن الشكر.

فكيف بمن تَجَشَّم في طلبها؟ من خضوع رقبته، وَوَضع خَدّه، وفَرط عَنائه، والاغتراب عن أحبَّائه، وعظيم خطاره، ثم لا يدري ما آخر ذلك، الظفر أم الخيبة؟

الدنيا ثلاثة أيّام

وإنّما الدنيا ثلاثة أيّام: يوم مضى بما فيه فليس بعائد، ويوم أنت فيه فحق عليك اغتنامه، ويوم لا تدري أمن أهله ولعلّك راحل فيه.

فأمّا أمس فحكيم مؤدّب، وأمّا اليوم فصديق مودِّع، فأمّا غد فإنّما في يديك منه الأمل، فإن يكن أمس سبقك بنفسه فقد أبقى في يديك حكمته، وإن يكن يومك هذا آنسك بمقدمه عليك فقد كان طويل الغَيبة عنك، وهو سريع الرِّحلة فتزوَّد منه وأحسن وَداعه.

جِدَّ بالثقة في العمل، وإياك والاغترار بالأمل، ولا تدخل عليك اليوم همَّ غد، يكفي اليوم همُّه، وغد داخل عليك بشغله، إنك إن حملت على اليوم همَّ غد زدت في حزنك وتعبك، وتكفلّت أن تجمع ما يكفيك أياماً، فعظُم الحُزن، وزاد الشغل، واشتد التعب، وضعُف العمل للأمل، ولو أخلَيت قلبك من الأمل لجدَّد لك العمل، والأمل منك في اليوم قد ضرَّك في وجهين: سوَّفت به العمل، وزدت به في الهمِّ والحَزَن.

ساعة بين ساعتين

أوَلا ترى أن الدنيا ساعة بين ساعتين: ساعة مضت، وساعة بقيت، وساعة أنت فيها، فأما الماضية والباقية: فلست تجد لرخائهما لذَّة، ولا

لشدَّتهما ألماً، فأنزل الساعة الماضية والساعة التي أنت فيها منزلة الضيفين نزلا بك، فظعن الراحل عنك بذمّه إياك، وحل النازل بك بالتجربة لك، فإحسانك إلى الثاوي يمحو إساءتك إلى الماضي، فأدرك ما أَضعت بإعتابك فيما استقبلت، واحذر أن تجمع عليك شهادتهما فيوبقاك.

لو خيرّ المقبور بين أمرين

ولو أنّ مقبوراً من الأموات قيل له: هذه الدنيا أوَّلها إلى آخرها تُخلّفها لولدك الذي لم يكن لك همٌّ غيرُهُم، أو يومٌ نردّه إليك فتعمل فيه لنفسك؟ لاختار يوماً يَستَعتب فيه من سيِّءِ ما أسلف، على جميع الدنيا يورّثها ولده خلفه.

فما يَمنعك أيها المغترُّ، المضطرُّ المؤتنف، أن تعمل على مَهَل، قبل حلول الأجل، وما يجعل المقبور أشدَّ تعظيماً لما في يديك منك؟ ألا تسعى في تحرير رَقبتك، وفَكاك رِقّك، ووِقاء نفسك من النار، التي عليها ملائكة غلاظ شداد؟

مثَلكم ومثَل الدنيا[1]

أوصيكم عباد الله، بتقوى الله جل وعز، واغتنام ما استطعتم عملاً به من طاعة الله جل وعز، في هذه الأيام الخالية، لجليل ما يُشفي عليكم به الفَوت بعد الموت. وبالرفض لهذه الدنيا، التاركة لكم وإن لم تكونوا تحبّون تركها، والمبلِيَة لكم وإن كنتم تحبون تجديدها.

فإنما مثَلكم ومثَلها: كركب سلكوا سبيلاً فكأنهم قد قطعوه، وأمّوا

---

(١) دستور معالم الحكم: ص٤٩ ـ ٥١ ب٢.

عَلَماً فكأن قد بلغوه، وكم عسى الجاري إلى الغاية أن يجري حتى يبلغها؟ وكم عسى أن يكون بقاء من له يوم لا يَعدوه ومن ورائه طالب حثيث يَحدوه في الدنيا حتى يفارقها؟

فلا تَتنافَسوا في الدنيا وفخرِها، ولا تُعجَبوا بزينتها، ولا تَجزعوا من ضَرّائها وبؤسها، فإن عز الدنيا وفخرها إلى انقطاع، وإن زينتها ونعيمها إلى زوال، وإن ضرّائها وبؤسها إلى نفاد، وكل مدَّة فيها إلى منتهى، وكل حي فيها إلى فَناء.

آثار الأولين عبرة وتبصرة

أو ليس لكم في آثار الأولين، وفي آبائكم الماضين، معتَبَر وتبصِرة، إن كنتم تعقلون؟

ألم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون، وإلى الخَلَف الباقي منكم لا يَبقون؟

قال الله جل وعز: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[١] الآية والتي بعدها[٢].

وقال جل وعز: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[٣].

ألستم ترون أهل الدنيا يُمسون ويُصبحون على أحوال شتى: ميِّت

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٥.

(٢) قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

يُبكى، وآخر يُعزّى، وصَريع مبتلى، وعائد يَعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب والموت يطلبه، وغافل وليس بمغفول عنه؟

وعلى أثر الماضي منا يمضي الباقي، فللّه الحمد ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبِّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(١)، الذي يَبقى ويَفنى ما سواه. وإليه مَوئل الحق ومَرجع الأمور.

طوبى للزاهدين في الدنيا(٢)

ومن كلام له عليه السلام لنوف البكالي في ليلة النصف من شعبان:

يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، والراغبين في الآخرة، فإن أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن شِعاراً، والدعاء دِثاراً، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح ابن مريم عليه السلام.

فإن الله عز وجل أوحى إلى عبده المسيح ابن مريم عليه السلام: أن مُر بني إسرائيل أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي إلّا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقيّة، فإني لا استجيب لأحد منهم دعوة لأحد من خلقي قِبَلَه مظلمة.

لا تكن أحد هؤلاء

يا نَوف، لا تكونَنّ شاعراً، ولا عشّاراً، ولا شرطيّاً، ولا عريفاً، ولا صاحب كوبَة، ولا صاحب عَرطَبَة، فإن نبي الله داود عليه السلام خرج في مثل هذه الليلة فقال: ما من عبد يدعو الله عزّ وجلّ إلّا استجاب دعوته

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٨٦.

(٢) دستور معالم الحكم: ص٩٠ ـ ٩٦ ب٤.

في هذه الساعة، إلا أن يكون شاعراً، أو عشّاراً، أو شرطيّاً، أو عريفاً، أو صاحب كوبة، أو صاحب عَرطَبَة.

اليوم العبوس

أوصيكم عباد الله، بتقوى الله، والتنافس في الحظ النفيس، والإشفاق من اليوم العَبوس، والجدَّ في خلاص النفوس، والسعي في فكاكها قبل هلاكها، والأخذ لها قبل الأخذ منها.

اغتنموا أيام الصحة قبل السَّقم، والشبيبة قبل الهَرَم، وبادروا بالتوبة قبل الندم، ولا تحملنكم المهلة على طول الغفلة، فإنّ الأجل يهدم الأمل، والأيام مُوكَّلة بتنقيص المدَّة، وتفريق الأحبَّة، فبادروا رحمكم الله بالتوبة قبل حضور النوبة، وبَرّزوا للغَيبة التي لا تنتظر معها الأوبة، واستعينوا على بُعد المسافة بطول المخافة.

فكم من غافل وَثِق بغفلته، وتَعَلَّل بمُهلته، فأمّل بعيداً، وبَنى مَشيداً؟ فنُغِص بقُرب أجله بُعد أمله، وفاجأه منيّته بانقطاع أُمنيّته، فصار بعد العزّ والمَنَعَة، والشرف والرفعة، مُرتَهَناً بموبقات عمله، قد غاب فما رجع، وندم فما انتفع، وشَقيَ بما جمع في يومه، وسعد به غيره في غده، وبقي مُرتَهَناً بكسب يده، ذاهلاً عن أهله وولده، لا يُغني عنه ما ترك فتيلاً، ولا يجد إلى مناص سبيلاً.

الموت في الطلب

فعلام عباد الله، المنعرج والدَّلَج؟ وإلى أين المفرُّ والمهرَب؟ وهذا الموت في الطلب، يخترِم الأول فالأول، لا يتحنَّن على ضعيف، ولا يُعرّج على شريف، والجديدان يَحُثّان الأجل تحثيثاً، ويسوقانه سَوقاً

حَثيثاً، وكل ما هو آت فقريب، ومن وراء ذلك العجب العجيب، فأَعدُّوا الجواب ليوم الحساب، وأكثروا الزاد ليوم المعاد.

عصمنا الله وإياكم بطاعته، وأعاننا وإياكم على ما يُقرِّب إليه، ويُزلِف لديه، فإنما نحن به وله.

بتقوى الله فاز الفائزون

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإن تقوى الله منجاة من كل هلكة، وعصمة من كل ضلالة، وبتقوى الله فاز الفائزون، وظفر الراغبون، ونجا الهاربون، وأدرك الطالبون، وبتركها خسر المبطلون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾[١].

الله الله، عباد الله، قبل جُفُوف الأقلام، وتصرّم الأيام، ولزوم الآثام، وقبل الدعوة بالحسرة، والويل والشقوة، ونزول عذاب الله بغتة أو جهرة.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، الذي ضرب لكم الأمثال، ووقّت لكم الآجال، وفتق لكم أسماعاً لتَعيَ ما عناها، وأبصاراً لتجلُوَ عن عَشاها، وأفئدة لتفهم ما دَهاها لم يخلقكم عبثاً، ولم يُمهلكم سُدىً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعم السوابغ، وقطع عذركم بالحجج البوالغ، ورفدكم بأحسن الروافد، وأعم الزوائد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السرّاء والضرّاء.

احذروا هادم اللذّات

فاتّقوا الله عباد الله، وجِدّوا في الطلب، وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل، اقطعوا التُّهمات، واحذروا هادم اللذّات.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.

تجهّزوا رحمكم الله، فقد نودي فيكم بالرّحيل، واقلُّوا العُرجة على الدنيا، وانقلِبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد، فإن أمامكم عقبة كؤوداً، ومنازل مخوفة مجهولة لا بُدَّ من الممرِّ عليها، والوقوف عندها، فإما رحمة من الله جلّ وعز فَنَجَوتم من فظاعتها، وشدَّة مختَبَرها، وكَراهة منظرها، وإما بهلكة ليس بَعدها انجبار.

اجتماعيات

إذا رأى أحدكم لأخيه نعمة[1]

ومن خطبة له عليه السلام :

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ كَقَطَرَاتِ الْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ، بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ، فَلَا تَكُونَنَّ لـه فِتْنَةً، فَإِنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ ـ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ، وَيُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ ـ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ، الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لـه الْمَغْنَمَ، وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ الْبَرِيءُ مِنَ الْخِيَانَةِ، يَنْتَظِرُ مِنَ اللَّهِ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ: إِمَّا دَاعِيَ اللَّهِ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ، وَإِمَّا رِزْقَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ، وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ.

حرث الدنيا وحرث الآخرة

وَإِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ حَرْثُ الآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣)، والكافي: ج٥ ص٥٧ ـ ٥٨ باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ح٦، وتفسير القمي: ج٢ ص٣٦ قصة أصحاب الكهف.

وَاخشَوْهُ خَشْيَةً لَيسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَاعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ اللَّهِ يَكِلْهُ اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ، نَسْأَلُ اللَّهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ، وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ.

لا استغناء لأحد عن عشيرته

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عِتْرَتِهِ، وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِهِ، وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ، وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ.

وَلِسَانُ الصِّدْقِ يَجْعَلُهُ اللَّهُ لِلْمَرْءِ فِي النَّاسِ خَيْرٌ لـه مِنَ الْمَالِ يَرِثُهُ غَيْرُهُ.

لا تقبض يدك عن عشيرتك

أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ الْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا الْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ، فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ، وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ[1].

---

(١) قال الشريف الرضي: أقول: الغفيرة ها هنا: الزيادة والكثرة، من قولهم للجمع الكثير: الجمّ الغفير، والجمّاء الغفير.

ويُروى: عَفوَة من أهل أو مالٍ، والعفوة: الخيار من الشيء، يقال: أكلت عفوة الطّعام، أي: خياره.

وما أحسن المعنى الذي أراده بقوله: وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ... إلى تمام الكلام، فإن الممسك خيره عن عشيرته إنّما يمسك نفع يدٍ واحدةٍ، فإذا احتاج إلى نصرتهم، واضطرّ إلى مرافدتهم، قعدوا عن نصره، وتثاقلوا عن صوته، فمنع ترافد الأيدي الكثيرة، وتناهض الأقدام الجمّة.

المجتمع المتفكّك[١]

ومن خطبة له عليه السلام في ذكر المكاييل:

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا - أَثْوِيَاءُ مُؤَجَّلُونَ، وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ، فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيَّعٌ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَاراً، وَلَا الشَّرُّ فِيهِ إِلَّا إِقْبَالاً، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً، فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ.

اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ: فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيراً يُكَابِدُ فَقْراً، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْراً، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْراً، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْراً؟

أين المتورّعون في مكاسبهم؟

أَيْنَ أَخْيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ؟

وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ؟

وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ؟ وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ؟

أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعاً عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ، وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ؟ وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ لَا تَلْتَقِي إِلَّا بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ اسْتِصْغَاراً لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ.

فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٢٩)، وبحار الأنوار: ج١٠٠ ص١٠٨ ب٢ ح٨.

مُزْدَجِرٌ، أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ؟ وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟! هَيْهَاتَ! لَا يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ.

لَعَنَ اللَّهُ الآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ.

سفارة ووساطة[1]

ومن كلام له عليه السلام لما اجتمع الناس إليه وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه وقال لـه ما يلي:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي، وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، وَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ، إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ، مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كَمَا صَحِبْنَا، وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا.

الله، الله في نفسك!

فَاللَّهَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ! فَإِنَّكَ ـ وَاللَّهِ ـ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمىً، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٤)، والجمل للشيخ المفيد: ص١٨٧ ـ ١٨٨ نصيحة أمير المؤمنين لعثمان، وتاريخ الطبري: ج٣ ص٢٧٦ حوادث سنة ٣٤ هـ.

عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ، هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً، وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ، وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ، ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، فَيُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا».

لا تكوننّ لمروان منقاداً

وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللَّهَ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الأُمَّةِ الْمَقْتُولَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ فِيهَا، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ، يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجاً، فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً، يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ، بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ، وَتَقَضِّي الْعُمُرِ!!

فَقَالَ لـه عُثْمَانُ: كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فَقَالَ عليه السلام: مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

يجمع الناس ويشرّكهم: الرضا والسخط(١)

ومن كلام لـه عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠١)، والغيبة للنعماني: ص٢٧ ـ ٢٨ المقدمة، والغارات: ج٢ ص٣٩٨ ـ ٣٩٩ ومنهم مكحول.

اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ!.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾(١)، فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ، خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ.

أكره لكم أن تكونوا سبّابين(٢)

ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفّين:

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ، كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ، وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ: اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ، حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ.

ما تصنع بسعة هذه الدار؟(٣)

ومن كلام له عليه السلام بالبصرة، وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي ـ

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٦)، ومستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ ب٣٤ ح١٤١٥٩، وكتاب وقعة صفين: ص١٠٣ نصيحة علي لحجر بن عدي وعمرو بن الحمق.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٩)، والكافي: ج١ ص٤١٠ ـ ٤١١ باب سيرة الإمام في نفسه والمطعم ح٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج١١ ص٣٢ الخطبة رقم (٢٠٢).

وهو من أصحابه ـ يعوده، فلما رأى سعة داره قال:

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي الآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ؟ وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ: تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الآخِرَةَ.

فَقَالَ له الْعَلَاءُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ.

قَالَ: وَمَا لَهُ؟

قَالَ: لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا.

قَالَ: عَلَيَّ بِهِ.

أما رحمت أهلك وولدك؟

فَلَمَّا جَاءَ قَالَ: يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ، لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ؟ أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ، وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ؟

الواجب على أئمّة العدل

قَالَ: وَيْحَكَ، إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ: أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ.

اختلاف الأخبار لماذا؟[(١)]

ومن كلام لـه عليه السلام قاله لمن سأله عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر:

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلاً، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهْماً، وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى عَهْدِهِ، حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

نقلة الأخبار أربعة أصناف

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

الصنف الأوّل:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ: مُظْهِرٌ لِلإِيمَانِ، مُتَصَنِّعٌ بِالإِسْلَامِ، لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مُتَعَمِّداً، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ، وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا: صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم رَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ، وَلَقِفَ عَنْهُ، فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ (عليه وآله السلام)، فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمَالَ، وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ النَّاسِ، فَأَكَلُوا بِهِمُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٠)، وكتاب سليم بن قيس: ص٦٢٠ ـ ٦٢١ ح١٠، والخصال: ج١ ص٢٥٥ أتى الناس الحديث ح١٣١.

الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

الصنف الثاني:

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ: فَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً، فَهُوَ فِي يَدَيْهِ، وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ، وَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ.

الصنف الثالث:

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ: سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

الصنف الرابع:

وَآخَرُ رَابِعٌ: لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ، وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَلَمْ يَهِمْ بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ، لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ، فَهُوَ حَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ، وَالْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ.

قد يكون للكلام وجهان

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْكَلَامُ لـه وجْهَانِ: فَكَلَامٌ

خَاصٌّ، وَكَلَامٌ عَامٌّ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهِ، وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ، وَمَا قُصِدَ بِهِ، وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ، حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عليه السلام حَتَّى يَسْمَعُوا، وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ، فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ، وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ.

الحقّ: أوسع الأشياء وأضيقها(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام خطبها بصفين:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ الَّذِي لِي عَلَيْكُمْ، فَالْحَقُّ أَوْسَعُ الأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ، وَأَضْيَقُهَا فِي التَّنَاصُفِ، لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لـه وَلَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ، لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ؛ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ، وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ.

الحقوق في الإسلام متقابلة

ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٦)، والكافي: ج٨ ص٣٥٢ ـ ٣٦٠ خطبة لأمير المؤمنين ح٥٥٠.

فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ.

وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ: حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوُلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ.

إذا عملت الرعية والولاة بحقوقها

فَإِذَا أَدَّتْ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

عندما تنقض الرعية أو الولاة حقوقها

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ؛ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ، فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ.

عليكم بالتناصح وأداء الحقوق

فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ، وَحُسْنِ التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ ـ وَإِنِ

اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حِرْصُهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ ـ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ.

وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ: النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ امْرُؤٌ ـ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ ـ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ، وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ، وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ، أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ.

فَأَجَابَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلامٍ طَوِيلٍ، يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ.

كلّما عظمت النعمة عظم حقّ الله

فَقَالَ عليه السلام: إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ ـ لِعِظَمِ ذَلِكَ ـ كُلُّ مَا سِوَاهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَماً.

من أسخف حالات الولاة

وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ: أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ، وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الإِطْرَاءَ، وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ، وَلَسْتُ ـ بِحَمْدِ اللَّهِ ـ كَذَلِكَ، وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ يُقَالَ ذَلِكَ، لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ.

وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلاءِ، فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ، لإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَإِلَيْكُمْ، مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا، وَفَرَائِضَ لا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا.

إنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون

فَلا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ، وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي، وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ، أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِي، إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى.

مع عباد الله المكرمين(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته: ﴿...يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(٢):

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَعَلَ الذِّكْرَ جِلاءً لِلْقُلُوبِ، تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٢)، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٨٩ ق٢ ب٢ ف٢ الذكر نور وهداية ح٣٦٣٦.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.

الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ، وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ عَزَّتْ آلَاؤُهُ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ، وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الأَبْصَارِ وَالأَسْمَاعِ وَالأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ، بِمَنْزِلَةِ الأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ، مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ، حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ، وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ، وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً، ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ، وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

أهل الذكر: قلب المجتمع النابض

وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لأَهْلاً، أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلاً، فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ، وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فِي أَسْمَاعِ الْغَافِلِينَ، وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ، فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا، فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الإِقَامَةِ فِيهِ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لا يَسْمَعُونَ.

من مواصفات أهل الذكر

فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فيهَا، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ

أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الِاسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجاً، وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَامِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ، لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ، فِي مَقْعَدٍ اطَّلَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ، فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ، وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ، يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ، رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ، جَرَحَ طُولُ الأَسَى قُلُوبَهُمْ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ، لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ، يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ، وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ، فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ، فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

وقد خلقكم أطواراً(١)

ومن كلام لـه عليه السلام قاله عندما ذَكَرُوا عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ، وَذَلِكَ عَلَى مَا رَوَاهُ ذِعْلَبٌ الْيَمَانِيُّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا، فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ، فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ، وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٤)، وبحار الأنوار: ج٦٤ ص٩٤ ب٣.

المحاجّة بما هو أقطع للعذر(١)

ومن وصية لـه عليه السلام لعبد الله بن العباس، لما بعثه للاحتجاج على الخوارج:

لا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ ذُو وُجُوهٍ، تَقُولُ وَيَقُولُونَ، وَلَكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً.

في خطبة زواج(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام خطبها بمحضر النبي صلى الله عليه وآله والمهاجرين والأنصار، لما خطب من النبي صلى الله عليه وآله ابنته سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وذلك بعد أن جمع النبي صلى الله عليه وآله المسلمين وخطب فيهم، ثم قال لعلي عليه السلام: قم واخطب لنفسك:

الحمد لله الذي ألَهم بفَواتح علمه الناطقين، وأنار بثَواقب عظمته قلوب المتّقين، وأَوضح بدلائل أحكامه طرق السالكين، وأبهج بابن عمّي المصطفى العالَمين، حتى عَلت دَعوَته دَواعي الملحدين، واستظهرت كلمته على بواطن المبطلين، وجعله خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، فبلّغ رسالة ربّه، وصَدَع بأمره، وأنار من الله آياته.

فالحمد لله الذي خلق العباد بقدرته، وأعزّهم بدينه، وأكرمهم بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله ورحّم وكرّم وشرّف وعظّم.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٧٧)، والنهاية لابن الأثير: ج١ ص٤٢٧ باب الحاء مع اللام.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٧ ـ ٢٢ الخطبة رقم (١)، عن كتاب دلائل الإمامة: ص١٥ ح٢٥.

والحمد لله على نعمائه وأياديه، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة إخلاص تُرضيه، وأُصلّي على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله صلاةً تُزلفه وتُحظيه.

زوّجني النبي صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام

وبعد، فإنّ النّكاح ممّا أمر الله تعالى به، وأَذِن فيه، ومجلسنا هذا ممّا قضاه الله تعالى ورَضيَه، وهذا محمّد بن عبد الله رسول الله زَوَّجني ابنته فاطمة، على صِداق أربعمائة دِرهم، وقد رضيت بذلك، فاسألوه واشهَدوا.

فقال المسلمون: زوّجته يا رسول الله؟

قال: نعم.

قال المسلمون: بارك الله لهما وعليهما، وجمع شملهما.

لا عَدِمتُ إشفاقك وتحنُّنك[1]

ومن كلام له عليه السلام أجاب به عمه العباس بن عبد المطلب، وقد أراد عيادة فاطمة الزهراء عليها السلام فقيل له: إنّها ثقيلة، فانصرف وأرسل إلى علي عليه السلام من يبلغه سلامه، ويظهر له أسفه على شكاة فاطمة عليها السلام، ويستأذنه في أن يجمع المهاجرين والأنصار لحضورها والصلاة عليها إذا توفيت:

أبلغ عمّي السلام وقل له: لا عَدِمت إشفاقك وتحنُّنك، وقد عَرفت مَشُورتك، ولرأيك فضله.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٦٧ ـ ٦٩ الخطبة رقم (١٥)، عن أمالي الشيخ الطوسي: ج٦ ص٩٦ ح١٠.

إنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ لم تزل مظلومةً، ومن حقّها محرومة، وعن ميراثها مدفوعة، لم تُحفظ فيها وصيّة رسول الله، ولا رُوعي فيها حقّه ولا حقّ الله عزّ وجل، وكفى بالله حاكماً، ومن الظالمين منتقماً.

اسمح لي يا عمّ بترك ما أشرت به

وإنّي أسالك يا عمّ أن تَسمح لي بترك ما أشرتَ به، فإنّها وصّتني بسَتر أمرها.

فلما أتى العبّاسَ رسولُه بما قال علي عليه السلام، قال: إنّ رأي ابن أخي لا يُطعن فيه، إنّه لم يولد لعبد المطّلب مولود أعظم بركة من علي عليه السلام إلّا النبي ﷺ. إن علياً عليه السلام لم يزل أسبقهم إلى كلّ مكرمة، وأعلمهم بكل قضية، وأشجعهم في الكريهة، وأشدّهم جهاداً للأعداء في نصرة الحنيفية، وأول من آمن بالله ورسوله ﷺ.

ما أراده الله لخلقه(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله في حكمة تشريع القوانين الإلهيّة، وضمان تطبيقها بعد أن خاض قوم من أصحابه في ذلك:

إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خَلق خَلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة.

فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلّا بأن يعرّفهم ما لهم، وما عليهم.

والتعريف لا يكون إلّا بالأمر والنهي.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٣ ص١١٣ ـ ١١٤ الخطبة رقم (٢٨)، عن الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص٣٠٩.

والأمر والنّهي لا يجتمعان إلّا بالوعد والوعيد.

والوعد لا يكون إلّا بالترغيب .

والوعيد لا يكون إلّا بالترهيب.

والترغيب لا يكون إلّا بما تشتهيه أنفسهم وتلذّ به أعينهم، والترهيب لا يكون إلّا بضدّ ذلك!

ثمّ خلقهم في دار وأراهم طَرَفاً من اللذات، ليستدلّوا به على ما وراءهم من اللّذات الخالصة التي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنّة.

وأراهم طَرَفاً من الآلام ليستدلّوا به على ما وراءهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذّة، ألا وهي النار.

فمن أجل ذلك تَرَون نعيم الدنيا مخلوطاً بمحَنها، وسرورها ممزوجاً بكدَرها وهمومها.

تعزية مصاب(١)

ومن كتاب له عليه السلام يعزّي به سلمان على موت زوجته:

بسم الله الرحمن الرحيم

قد بلغني يا أبا عبد الله سلمان، مصيبتك بأهلك، وأَوجَعني بعض ما أَوجَعك، ولَعَمري لمصيبة تَقدّم أجرها، خير من نعمةٍ يُسأل عن شكرها، ولعلّك لا تقوم بها، والسلام عليك.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص١٠ الكتاب رقم (٣)، عن كتاب تاريخ دمشق: ج٢١ ص١٩٢ ترجمة سلمان.

إلى أهل المدينة[(١)]

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى أهل المدينة بعدما افتتحت البصرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى أهل المدينة.

سلام عليكم، فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلّا هو، فإنّ الله بمنّه وفضله وحسن بلائه عندي وعندكم، حَكَم عَدل، وقد قال سبحانه في كتابه ـ وقوله الحق ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[(٢)].

وإنّي مخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه

وإنّي مخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليهم من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير، ونكثهما علي ما قد علمتم من بيعتي وهما طائعان غير مكرَهَين، فخرجت من عندكم بمن خرجت ممّن سارع إلى بَيعَتي وإلى الحقّ، حتّى نزلت ذا قارٍ، فَنَفَر معي مَن نفر من أهل الكوفة، وقَدِم طلحة والزبير البصرة، وصنعا بعاملي عثمان بن حُنَيف ما صنعا، فقدّمت إليهم الرسل، وأعذرت كلّ الإعذار.

أعذرت بالدعاء فأبوا إلّا قتالي

ثمّ نزلت ظهر البصرة فأعذرت بالدّعاء، وقدّمت الحجّة، وأقلت العَثرة والزلّة، واستَعتَبتهما ومن معهما ممّن نكث بيعتي ونقض عهدي،

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٦٩ ـ ٧٠ الكتاب رقم (٣١)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢١١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١١.

فأبوا إلّا قتالي وقتال من معي، والتمادي في الغيّ، فلم أجد بدّاً في مناصفتهم بالجهاد، فَقَتَل الله من قَتَل منهم ناكثاً، وَوَلّى مَن وَلّى منهم، فأغمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنّة في حكمهم، واخترت لهم عاملاً، واستعملته عليهم، وهو عبد الله بن عبّاس، وإنّي سائر إلى الكوفة إن شاء الله تَعالى.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة.

رسالة وبشارة(١)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أخته أم هاني:

سلام عليكِ، أحمد إليكِ الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد، فإنّا التقينا مع البُغاة والظلمة في البصرة، فأعطانا الله تعالى النّصر عليهم بحَوله وقوّته، وأعطاهم سنّة الظالمين، فقُتل كلّ من: طلحة، والزبير، وعبد الرحمٰن بن عُتاب، وجمعٌ لا يُحصى، وقُتل منّا: بنو مخدوع، وابنا صُوحان، وعلباء، وهند، فيمن يُعدّ من المسلمين رحمهم الله، والسلام.

إلى أهل الكوفة(٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة يخبرهم عن الفتح ويشكرهم على مؤازرتهم له:

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٧١ الكتاب رقم (٣٢)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢١٢.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٧٣ ـ ٧٥ الكتاب رقم (٣٤)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢١٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

من علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة.

سلام عليكم، فإنّي أحمد الله إليكم الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد، فإنّ الله حكم عدل ﴿لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[1].

وإنّي أخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه من جموع أهل البصرة، ومن سار إليه من قريش وغيرهم مع طلحة والزبير، بعد نكثهما صفقة أيمانهما.

نهضت من المدينة

فنهضت من المدينة حين انتهى إليّ خبرهم وما صنعوه بعاملي عثمان بن حُنيف، حتّى قدمت ذا قارٍ، فبعثت إليكم ابني الحسن، وعمّاراً، وقيساً، فاستَنفَروكم لحقّ الله وحقّ رسوله وحقّنا، فأجابني إخوانكم سِراعاً، حتى قدموا عليّ بهم، وبالمسارعة إلى طاعة الله.

نزلت ظهر البصرة

حتى نزلتُ ظهر البصرة، فأعذرت بالدعاء، وأقمت الحجّة، وأقلت العثرة والزلّة من أهل الرِّدة من قريش وغيرهم، واستَعتَبتهم عن نَكثهم بَيعتي وعهد الله لي عليهم، فأبوَا إلّا قتالي وقتال من معي، والتمادي في البغي. فناهضتهم بالجهاد، وقُتل من قُتل منهم، وولّى إلى مصرهم من ولّى، فَسَأَلوني ما دَعَوتهم إليه من كفّ القتال، فقبلت منهم وغَمدت السيوف عنهم، وأخذت بالعفو فيهم، وأجريت الحقّ والسنّة بينهم، واستعملت عبد الله بن عبّاس على البصرة، وأنا سائر إلى الكوفة إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

بعثت إليكم ابن قيس

وقد بعثت إليكم زَجر بن قيس الجُعفي لتسألونه، يخبركم عنّا وعنهم، وردّهِم الحقّ علينا، وردّهِم الله وهم كارهون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب عبيد الله بن أبي رافع في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين.

بشارة إلى العمّال والولاة[١]

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى عماله في الآفاق يخبرهم فيه بفتح البصرة:

وكتب عليه السلام بالفتح إلى عمّاله في الآفاق في كلام طويل وكان فيه:

إنّ الله تعالى قتل طلحة والزبير على بغيهما، وشقاقهما، ونكثهما، وهزم جمعها، وردّ عائشة خاسرةً.

إلى ابن كعب ومن قِبله من المسلمين[٢]

ومن كتاب له عليه السلام كتبه بعد فتح البصرة إلى أهل الكوفة وأرسله مع عمر بن سلمة الأرحبي:

من عبد الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، إلى قرظة بن كعب، ومن قِبله من المسلمين.

سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلّا هو.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٧٥ الكتاب رقم (٣٥)، عن كتاب الفصول المختارة: ج١ ص٩٤ ف٥٨.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٧٦ ـ ٧٧ الكتاب رقم (٣٦)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٢١٥.

أمّا بعد، فإنّا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أمّتنا، فحاججناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم، وقُتل طلحة والزبير، وقد تقدّمتُ إليهما بالنُّذر، وأشهدت عليهما صلحاء الأمّة، ومكّنتهما في البيعة، فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين.

عندما استعرت نار الحرب

ولاذ أهل البغي بعائشة، فقُتل حولها جمع لا يُحصي عددهم إلّا الله، ثمّ ضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا، فما كانت ناقة الحَجَر بأَشأَم منها على ذلك المصر، مع ما جاءت به من الحُوب الكبير في معصيتها لربّها ونبيّها من الحرب، واغترار من اغترّ بها، وما صنعتْه من التفرقة بين المؤمنين، وسفك دماء المسلمين، ولا بيّنة ولا معذرة ولا حجّة لها.

لمّا هزمهم الله

فلمّا هزمهم الله أمرتُ أن لا يُقتل مُدبر، ولا يُجَهز على جريح، ولا يُهتَك سِتر، ولا يُدخل دار إلّا بإذن أهلها، وقد آمنتُ الناس، واستشهد منّا رجال صالحون، ضاعف الله لهم الحسنات، ورفع درجاتهم، وأثابهم ثواب الصابرين، وجزاهم من أهل مصر عن أهل بيت نبيّهم أحسن ما يَجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم وأطعتم، ودُعيتم فَأَجبتم، فنعم الإخوان والأعوان على الحقّ أنتم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين.

طبقات الناس وأصنافهم(١)

ومن كلام لـه عليه السلام في بيان طبقات الناس:

ألا وإنّ الناس سبع طبقات:

فالطبقة الأولى: الفراعنة يَدعون الناس إلى عبادتهم، أما إنّهم لا يَأمرونهم أن يُصلُّوا لهم، ولا يصوموا، ولكنما يأمرونهم بطاعتهم فيُطيعونهم، فبطاعتهم لهم في معصية الله جل ثناؤه، قد اتخذوهم أرباباً من دون الله جلّ ثناؤه.

والطبقة الثانية: جبابرة أكلهم الرّبا، وبيعهم السُّحت.

والطبقة الثالثة: فسّاق قد تَشرَّدوا من الدّين، كما يَتشرَّد الشّارد من الإبل.

والطبقة الرابعة: أصحاب الرّياء ليس يعبدون إلّا الدينار والدرهم.

والطبقة الخامسة: قُرّاء مخادعون يَطلبون الدنيا بزيّ الصالحين.

والطبقة السادسة: فُقراء إنّما همُّ أحدهم أن يَشبَع شَبعةً من الطعام، لا يُبالي أحَلالاً أخذها أم حراماً.

والطبقة السابعة: الذين أثنى الله جلّ وعزّ عليهم فقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾(٢).

الطبقة السابعة: ورثة الفردوس

---

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص١٤٦ ـ ١٤٨ ب٧ تقسيمه الخلق إلى سبع طبقات.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦٣.

ثمّ قال: والذي فَلَق الحَبَّة، وبرأ النسَمَة، إنّهم لَلذين ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

ثم التفت إلى كميل بن زياد، فقال: يا كميل بن زياد، اطلبهم.

قال كميل: وأين اطلبهم يا أمير المؤمنين؟.

قال: في أطراف الأرض، تَجدهم قد اتخذوا الأرض فراشاً، والماء طيباً، والقرآن شعاراً، والدعاء دثاراً، باكين العيون، دَنسين الثياب، يَقرِضون العيش قرضاً، إن غابوا لم يُفتقدوا، وإن شهدوا لم يُعرفوا، وإن خطبوا لم يُزوّجوا، وإن قالوا لم يُنصت لقولهم، يدفع الله عزّ وجل بهم العاهات والآفات والبلايا عن الناس، وبهم يَسقي الله عزّ وجل العباد الغَيث من السماء، ويُنزِل القطر من السحاب، أولئك عباد الله حقّاً حقّاً.

حقّ المسلم على المسلم[2]

حقّ المسلم على المسلم سبع خصال:

يُسلّم عليه إذا لَقيَه.

ويُجيبه إذا دعاه.

ويَعوده إذا مرض.

ويَتبَع جِنازته إذا مات.

ويُحبّ لـه ما يُحبّ لنفسه.

ويَكره لـه ما يَكره لها.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١.

(٢) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص١٥١ ب٧ قوله في حق المسلم على المسلم.

والمواساة في ماله.

أصناف المجتمع[(١)]

الناس ثلاثة أصناف: زاهد معتزم، وصابر على مجاهدة هواه، وراغب منقاد لشهواته.

فالزاهد: لا يعظّم ما آتاه الله فرحاً به، ولا يُكثر على ما فاته أسفاً.

والصابر: نازعته إلى الدنيا نفسه فَقَدَعَها، وتَطلَّعت إلى لذّاتها فمنعها.

والراغب: دعته إلى الدنيا نفسه فأجابها، وأمرته بإيثارها فأطاعها، فدنّس بها عِرضه، ووضع لها شرفه، وضيّع لها آخرته.

المكاره الدنيوية وما ينبغي للعاقل فيها[(٢)]

إنّ للمكروه غاياتٍ لا بدّ أن يَنتهي إليها، فينبغي للعاقل أن ينام لها، إلى حين انقضائها، فإنّ إعمال الحيلة فيها قبل تَصرّمها زيادة في مكروهها.

من حقوق المؤمن[(٣)]

دارئْ عن المؤمن ما استطعت، فإن ظهره حِمى الله عزّ وجل، ونفسه كريمة على الله تعالى، وله يكون ثواب الله سبحانه.

فظالمه خصم الله فلا يكن خصمك.

---

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص١٥١ ـ ١٥٢ ب٧ تقسيمه الناس إلى ثلاثة أصناف.

(٢) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص١٥٥ ب٧.

(٣) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم: ص١٥٥ ـ ١٥٦ ب٧.

هو المصوّر لكل مولود[(١)]

الخطبة الخالية من النقط

ومن خطبة لـه عليه السلام خالية من النقط، خطب بها في خطبة نكاح له:

الحمد لله الملك المحمود، المالك الوَدود، مصوّر كلّ مَولود، ومآل كل مطرود، ساطح المهاد، ومُوَطّد الأطواد، ومرسل الأمطار، ومسهّل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمّر الأملاك ومهلكها، ومكّور الدهور ومكرّرها، ومُوَرّد الأمور ومُصَدّرها.

عمّ سماحه، وكمُل ركامه وهمل، وطاوَع السؤال والأمل، وأَوسع الرمل وأرمل.

أحمده حمداً ممدوداً، وأُوحّده كما وحّد الأوّاه، وهو الله لا إله سواه، ولا صادع لما عَدَّلَه وسَوّاه.

رحم الله محمّداً وآله الكرام

أرسل محمّداً عَلَماً للإسلام، وإماماً للحكّام، مُسدِّداً للرُّعاع، ومعطّل أحكام وُدّ وسُواع.

أَعلَم وعَلَّم، وحَكَم وأَحكَم، وأَصَّل الأصول ومَهَّد، وأَكَّد الموعود وأَوعد.

أَوصَل الله لـه الإكرام، وأَودَع رُوحه السلام، ورحِم آله وأهله الكرام، ما لمع رائل، وملع دالّ، وطلع هلال، وسُمع إهلال.

---

(١) القطرة من بحار مناقب النبي والعترة: ج٢ ص١٧٩، وفضائل آل الرسول: ص٦.

اعملوا أصلح الأعمال

اعملوا رعاكم الله أصلح الأعمال، واسلُكُوا مسالك الحلال، واطرَحوا الحرام ودعوه، واسمعوا أمر الله وعوه، وصِلوا الأرحام وراعوها، وعاصوا الأهواء واردَعوها، وصاهِروا أهل الصلاح والورع، وصارِموا رهط اللّهو والطمع.

مُصاهِركُم أطهر الأحرار

ومصاهركم أطهر الأحرار مَولداً، وأَسراهم سؤدداً، وأحلاهم مَورِداً، وها هو أَمَّكم، وحَلَّ حَرَمكم، مملّكاً عَروسكم المكرّمة، وماهراً لها كما مهر رسول الله أُمّ سلمه، وهو أكرم صهرٍ أَودَع الأولاد، ومَلَك ما أراد، وماسها مملكه ولا وَهِم، ولا وَكِس ملاحِمه ولا وَصَم.

أسأل الله لكم أَحماد وِصاله، ودوام إِسعاده، وأَلهَم كلاً إصلاح حاله، والإعداد لمآله ومعاده، وله الحمد السَرمَد، والمدح لرسوله أحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

أدعية

هو أهل الوصف الجميل[١]

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، والتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مَأْمُولٍ، وإِنْ تُرْجَ فَخَيْرُ مَرْجُوٍّ، اللَّهُمَّ وقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، ولَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، ولَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ، ومَوَاضِعِ الرِّيبَةِ، وعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الآدَمِيِّينَ، وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ.

اللَّهُمَّ ولِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ منْ جَزَاءٍ، أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلاً عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ، وكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ.

اللَّهُمَّ وهَذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ، الَّذِي هُوَ لَكَ، ولَمْ يَرَ مُسْتَحِقّاً لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ والْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ، لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ، ولَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) نهج البلاغة: نهاية الخطبة رقم ٩١.

سبحانك ما أعظم شأنك(١)

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ، ومَا أَصْغَرَ كُلَّ عَظِيمَةٍ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، ومَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، ومَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، ومَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا، ومَا أَصغَرَهَا فِي نِعَمِ الآخِرَةِ؟.

دعاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم(٢)

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لـه صلى الله عليه وآله وسلم مَقْسَماً مِنْ عَدْلِكَ، وَاجْزِهِ مُضَعَّفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.

اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ، وَشَرِّفْ عِنْدَكَ مَنْزِلَهُ، وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ، وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا نَادِمِينَ، وَلَا نَاكِبِينَ وَلَا نَاكِثِينَ، وَلَا ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، وَلَا مَفْتُونِينَ.

أنت الصاحب في السفر(٣)

ومن دعاء لـه عليه السلام عند عزمه على المسير إلى الشام:

اللّهمّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ.

---

(١) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة: ضمن الخطبة رقم ١٠٦.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٦)، ورياض الصالحين للنوري: ص٤٣٨ ب٥ ح٩٧٢، ومستدرك الوسائل: ج٨ ص١٣٥ ـ ١٣٦ ب١٧ ح٩٢٣٨، وكتاب وقعة صفين: ص١٣٢ دعاء علي.

اللّهمّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ، لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً، وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً.

اجمع بيننا وبين رسولك[1]

ومن خطبة له عليه السلام علّم فيها الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

اللّهمّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ، وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا، شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا.

اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ، عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ، قَائِماً بِأَمْرِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ، وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الأَعْلَامِ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ.

فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللّهمّ افْسَحْ لَه مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٢)، وبحار الأنوار: ج٩١ ص٨٣ ـ ٨٤ ب٣٠ ح٣، والغارات: ج١ ص٩٤ ـ ٩٦ خطبة لأمير المؤمنين علي.

اللّهمّ وَأَعْلِ عَلى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لـه نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لـه مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ.

اللّهمّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ، وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ، وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ، وَمُنْتَهى الطُّمَأْنِينَةِ، وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ.

فان عدتُ فعد عليَّ(١)

ومن كلمات كان يدعو بها :

اللّهمّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ.

اللّهمّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي، وَلَمْ تَجِدْ لـه وَفَاءً عِنْدِي.

اللّهمّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي.

اللّهمّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الأَلْحَاظِ، وَسَقَطَاتِ الأَلْفَاظِ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ، وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ.

ارحم أنين الآنّة(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام في الاستسقاء:

اللّهمّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٨)، والمناقب للخوارزمي: ص٣٧٦ ف٢٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٥)، ومستدرك الوسائل: ج٦ ص١٩٩ ـ ٢٠١ ب١١ ح٦٧٥١، وبحار الأنوار: ج٨٨ ص٣١٨ ـ ٣١٩ ب١ ح٧.

وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا.

اللّهمّ فَارْحَمْ أَنِينَ الآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ.

اللّهمّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا.

اللّهمّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَايِلُ الْجُودِ، فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ، وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ.

نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَن لا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحّاً وَابِلاً تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ.

اللّهمّ سُقيَا منك مُحيِية

اللّهمّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً، زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلَادِكَ.

اللّهمّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا، وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ، عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ.

وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً، مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ،

وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ، وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ(١).

سدّدنا للحق(٢)

ومن خطبة له عليه السلام لما عزم على لقاء القوم بصفين:

اللّهمّ رَبَّ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ، وَالْجَوِّ الْمَكْفُوفِ، الَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضاً لِلَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَجْرىً لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفاً لِلنُّجُومِ السَّيَّارَةِ، وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطاً مِنْ مَلَائِكَتِكَ، لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ.

وَرَبَّ هَذِهِ الأَرْضِ الَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَاراً لِلأَنَامِ، وَمَدْرَجاً لِلْهَوَامِّ وَالأَنْعَامِ، وَمَا لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمَا لا يُرَى.

وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلأَرْضِ أَوْتَاداً، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَاداً.

---

(١) قال السيد الشريف: قوله: انْصَاحَتْ جِبَالُنَا، أي: تشقّقت من المحول، يقال: انصاح الثّوب، إذا انشقّ، ويقال أيضاً: انصاح النبت وصاح وصوّح، إذا جفّ ويبس.
وقوله: وَهَامَتْ دَوَابُّنَا، أي: عطشت، والهُيام: العطش.
وقوله: حَدَابِيرُ السِّنِينَ جمع حِدْبار، وهي: الناقة التي أنضاها السير، فشبّه بها السنة الّتي فشا فيها الجدب، قال ذو الرّمّة:
حَدابيـر ما تنفـك إلّا مُناخـة ... على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا
وقوله: وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا، القزع: القطع الصغار المتفرّقة من السحاب.
وقوله: وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا، فإن تقديره: ولا ذات شَفَّان ذهابها، والشَّفَّان: الريح الباردة، والذهاب: الأمطار الليّنة، فحذف ذات لعلم السامع به.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧١)، وكتاب وقعة صفين: ص٢٣٢ من دعاء علي، وتاريخ الطبري: ج٤ ص١٠ حوادث سنة ٣٧ هـ.

إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ، وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ، وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ.

الحثّ على النِّزال

أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ، وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ؟ الْعَارُ وَرَاءَكُمْ، وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ.

اللّهمّ يا أكبر الشاهدين(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

اللّهمّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ، وَالْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا، فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ، وَالإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ يَا أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً، وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَا أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسمَاوَاتِكَ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ، وَالآخِذُ له بِذَنْبِهِ.

أعوذ بك أن أضلّ في هُداك(٢)

ومن دعاء لـه عليه السلام كان يدعو به كثيراً :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَأِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلَا مُرْتَدّاً

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٢).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٥)، وبحار الأنوار: ج٩١ ص٢٢٦ ب٣٩ ضمن ح١، والبحار: ج٩١ ص٢٣٠ ب٤٠ ح٤.

عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ الأُمَمِ مِنْ قَبْلِي.

أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي.

اللّهمّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالأَمْرُ لَكَ.

اللّهمّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي.

اللّهمّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ أَنْ نُفْتَتَنَ عَنْ دِينِكَ، أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ.

اللّهمّ صن وجهي باليسار(١)

ومن دعاء له عليه السلام :

اللّهمّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِيَ بِالإِقْتَارِ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ كلّهِ وَلِيُّ الإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(٢).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٥)، والدعوات: ص١٣٢ فصل في فنون شتى من حالات العافية والشكر عليها ح٣٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٦، سورة التحريم، الآية: ٨.

احملني على عفوك[١]

ومن دعائه عليه السلام :

اللّهمّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ.

فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَؤُوا إِلَى الِاسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ.

اللّهمّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ.

اللّهمّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ.

نشكو إليك كثرة عدوّنا[٢]

وكان عليه السلام يقول إذا لقي العدو محارباً :

اللّهمّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ الْقُلُوبُ، وَمُدَّتِ الأَعْنَاقُ، وَشَخَصَتِ الأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ الأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ الأَبْدَانُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢٧)، ومصباح المتهجد: ص٣٥٥ ـ ٣٥٦ صلاة أخرى للحاجة يوم الجمعة، والمصباح: ص٣٧٨ ـ ٣٧٩ صلاة في طلب الولد.

(٢) نهج البلاغة، قسم الرسائل: رقم (٢٢٧)، ومستدرك الوسائل: ج١١ ص١٠٨ ب٤٦ ح١٢٥٥١، وبحار الأنوار: ج٩٧ ص٤١ ب٣ ح٤٩.

اللّهمّ قَدْ صَرَّحَ مَكْنُونُ الشَّنَآنِ، وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ الأَضْغَانِ.

اللّهمّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا، وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾(١).

يا واحد يا أحد(٢)

ومن كلام لـه عليه السلام في يوم الهرير، وهو يدعو الله تعالى ويتضرّع إليه:

يا الله يا رحمن يا رحيم، يا واحد يا أحد يا صمد، يا الله، يا إله محمّد.

اللّهمّ إليك نُقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورُفعت الأيدي، وامتدّت الأعناق، وشَخَصَت الأبصار، وطُلبت الحوائج.

اللّهمّ إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا صلى الله عليه وآله، وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾(٣).

يا ولي المؤمنين(٤)

ومن دعاء لـه عليه السلام حين توجّه إلى اليمن:

اللّهمّ إني أتوجّه إليك بلا ثقة منّي بغيرك، ولا رجاء يأوي بي إلّا إليك، ولا قوّة أتّكل عليها، ولا حيلة ألجأ إليها، إلّا طلب فضلك،

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢٤٢ ـ ٢٤٣، عن كتاب صفين: ص٤٧٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.
(٤) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص١٩ ـ ٢٠ الدعاء رقم (٢)، عن الصحيفة العلوية الأولى: ص١٨٤.

والتعرُّض لرحمتك، والسكون إلى أحسن عادتك، وأنت أعلم بما سبق لي في وجهي هذا مما أُحبّ وأكره، فإنما أُوقعت عليَّ فيه قدرتك، فمحمود فيه بلاؤك، منتصح فيه قضاؤك، فأنت تمحو ما تشاء وتُثبت، وعندك أُمّ الكتاب.

اللّهمّ فاصرف عني مقادير كلّ بلاء، ومقاصد كلّ لأواء، وابسط عليَّ كَنَفاً من رحمتك، وسَعَة من فضلك، ولطفاً من عفوك، حتى لا أحبّ تعجيل ما أخّرت، ولا تأخير ما عجّلت.

وذلك مع ما أسألك أن تحفظني في أهلي ووُلدي، وصُرُوف حُزانتي، بأفضل ما خلَّفت به غائباً من المؤمنين، في تحصين كلّ غَورة، وسَتر كلّ سيئة، وحَطّ كلّ معصية، وكفاية كلّ مكروه، وارزقني شكرك وذكرك على ذلك، وحُسن عبادتك، والرضا بقضائك يا وليّ المؤمنين.

اجعلنا في حماك

واجعلني ووُلدي وما خوّلتني ورزقتني من المؤمنين والمؤمنات في حماك الذي لا يستباح، وذمّتك الّتي لا تُخفر، وجِوارك الذي لا يُرام، وأمانك الذي لا يُنقض، وسِترك الذي لا يُهتَك، فإنه من كان في حماك وذمّتك وجوارك وأمانك وسِترك كان آمناً محفوظاً، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

اللّهمّ آت محمّداً ﷺ الوسيلة(١)

ومن دعاء له عليه السلام في الصلاة على النبي ﷺ :

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢١ ـ ٢٤ الدعاء رقم (٣)، عن كتاب تهذيب الأحكام: ج٣ ص٨٢ طبع النجف الأشرف.

الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على أطيب المرسلين، محمّد بن عبد الله المنتجب، الفاتق الراتق.

اللّهمّ فخُصّ محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم بالذكر المحمود، والحوض المورود.

اللّهمّ آت محمّداً صلواتك عليه وآله الوسيلة، والرِّفعة والفضيلة، واجعل في المصطَفَين محبته، وفي العلّيّين درجته، وفي المقرَّبين كرامته.

اللّهمّ أعط محمّداً صلواتك عليه وآله من كلّ كرامة أفضل تلك الكرامة، ومن كلّ نعيم أوسع ذلك النعيم، ومن كلّ عطاء أجزل ذلك العطاء، ومن كلّ يُسر أنضر ذلك اليُسر، ومن كلّ قِسم أوفر ذلك القسم، حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منه مجلساً، ولا أرفع منه عندك ذكراً ومنزلة، ولا أعظم عليك حقاً، ولا أقرب وسيلة من محمّد صلواتك عليه وآله، إمام الخير وقائده، والداعي إليه، والبركة على جميع العباد والبلاد، ورحمة للعالمين.

اجمع بيننا وبين محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

اللّهمّ اجمع بيننا وبين محمّد صلواتك عليه وآله في بَرد العَيش، وتَرَوّح الرَّوح، وقرار النعمة، وشَهوَة الأنفس، ومُنى الشهوات، ونِعَم اللذات، ورجاء الفضيلة، وشُهود الطمأنينة، وسُؤدد الكرامة، وقُرّة العين، ونَضرَة النعيم، وبَهجَة لا تُشبه بَهجات الدنيا.

نشهد أنه قد بلّغ الرسالة، وأدى النصيحة، واجتهد للأمة، وأُوذي في جنبك، وجاهد في سبيلك، وعبدك حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وآله الطيّبين.

اللّهمّ ربّ البلد الحرام، والركن والمقام، وربّ المشعر الحرام، وربّ الحِلّ والحرام، بلّغ روح محمّد ﷺ عنّا السلام.

اللّهمّ صلّ على ملائكتك المقرّبين، وعلى أنبيائك ورسلك أجمعين، وصلّ اللّهمّ على الحفظة الكرام الكاتبين، وعلى أهل طاعتك من أهل السماوات السبع، وأهل الأرضين السبع، من المؤمنين أجمعين.

اجعله هلال بركة(١)

ومن دعاء لـه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال:

أيّها الخلق المطيع لله، الدائر(٢) السريع، المتردِّد في منازل التقدير، المتصرِّف في فلك التدبير.

آمنت بمن نَوَّر بك الظُّلَم، وأوضح بك البُهَم، وجعلك آية من آيات ملكه، وعلامة من علامات سلطانه.

فامتهنك بالزيادة والنقصان، والطلوع والأفول، والإنارة والكسوف، في كلّ ذلك أنت لـه مطيع، وإلى إرادته سريع.

سبحانه فما أعجب ما دبّر في أمرك، وألطف ما صنع في شأنك، جعلك مفتاح شهر لأمر حادث.

جعلك الله هلال بركة لا تَمحَقه الأيام، وطهارة لا تُدنِّسه الأعوام.

هلال أمنة من الآفات، وسلامة من السيئات.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٥ ـ ٢٧ الدعاء رقم (٤)، عن كتاب دستور معالم الحكم للقضاعي: ص١٣٠، ورواه معنعناً الشيخ الطوسي في الأمالي: ص٣١٦.

(٢) الدائب، خ ل.

هلال سَعد لا نَحس فيه، ويُمن لا نكد فيه، ويُسر لا يُمازجه عُسر، وخير لا يَشوبه شرّ.

هلال أمن وإيمان، ونعمة وإحسان، وسلامة وإسلام.

أوزعنا شكر النعمة

اللّهمّ اجعلنا من أرضى مَن طَلع عليه، وأزكى مَن نظر إليه، وأسعد مَن تَعبّد لك فيه.

اللّهمّ وفقنا للتوبة، واعصمنا من الحَوبة، وأوزعنا شكر النعمة، وألبسنا خير العافية، وأتمم علينا باستكمال طاعتك فيه المنّة لك، إنك المنّان الحميد.

سبحان من لا تدرك العقول وصفه(١)

ومن دعاء له عليه السلام في تسبيح الله وتمجيده:

سبحان من إذا تناهت العقول في وصفه كانت حائرة عن درك السبيل إليه، وتبارك من إذا غَرَقت الفِطَن في تكييفه لم يكن لها طريق إليه غير الدلالة عليه.

أنت خير الفاتحين(٢)

ومن دعاء له عليه السلام كان يقرؤه في القنوت:

اللّهمّ إليك شُخصت الأبصار، ونُقلت الأقدام، ورُفعت الأيدي، ومُدَّت الأعناق، وأنت دُعيت بالألسن، وإليك سرّهم ونجواهم في

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٨ الدعاء رقم (٦)، عن كنز الفوائد: ص٢٣٩.
(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٤٠ الدعاء رقم (٨).

الأعمال، ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾[١].

اللّهمّ إنا نشكو إليك غَيبة نبيّنا، وقلّة عددنا، وكثرة عدوّنا، وتظاهر الأعداء علينا، ووقوع الفتن بنا، ففرّج ذلك اللّهمّ بعدل تُظهره، وإمام حقّ تُعرّفه، آمين ربّ العالمين.

يا جزيل العطايا[٢]

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به بعد الركعة الثامنة من نافلة الليل:

اللّهمّ إني أسألك بحرمة من عاذ بك منك، ولجأ إلى عِزتك، واستَظل بفَيئك، واعتصم بحبلك، ولم يثق إلّا بك.

يا جزيل العطايا، يا مطلق الأسارى، يا من سمّى نفسه من جوده وهّاباً، أدعوك رهباً ورغباً، وخوفاً وطمعاً، وإلحاحاً وإلحافاً، وتضرّعاً وتملّقاً، وقائماً وقاعداً، وراكعاً وساجداً، وراكباً وماشياً، وذاهباً وجائياً، وفي كلّ حالاتي.

وأسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا.

مُنّ عليّ بالتوكلّ عليك[٣]

ومن دعاء له عليه السلام في التسليم لأمر الله تعالى:

اللّهمّ مُنَّ عليَّ بالتوكلّ عليك، والتفويض إليك، والرضا بقُدرتك، والتسليم لأمرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخّرت، ولا تأخير ما عجّلت، يا ربّ العالمين.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٩.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٤١ ـ ٤٢ الدعاء رقم (٩)، عن البلد الأمين.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٦٩ ـ ٧٠ الدعاء رقم (١٢)، عن الكافي: ج٦ ص٥٨٠ ح١٤.

أتوجّه إليك بمحمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام[١]

ومن دعاء لـه عليه السلام مقدّمة لطلب الحوائج:

اللّهمّ إنّي أسألك باسمك العظيم الأعظم، الأجل الأكرم، المخزون المكنون، النور الحق، البرهان المبين، الذي هو نور مع نور، ونور من نور، ونور في نور، ونور على نور، ونور فوق كلّ نور، ونور يُضيء به كلّ ظُلمة، ويُكسَر به كلّ شدَّة، وكلّ شيطان مريد، وكلّ جبّار عنيد.

ولا تَقِرُّ به أرض، ولا تقوم به سماء.

ويأمن كلّ خائف، ويبطل به سحر كلّ ساحر، وبغي كلّ باغ، وحسد كلّ حاسد، ويَتصدَّع لعظمته البَر والفاجر، ويَستقل به الفَلَك حين يَتكلم به الملَك، فلا يكون للمَوج عليه سبيل.

وهو اسمك الأعظم الأعظم، الأجل الأجل، النور الأكبر، الذي سَمَّيت به نفسك، واستَوَيت به على عرشك.

وأتوجّه إليك بمحمّد وأهل بيته، وأسألك بك وبهم أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تفعل بي كذا وكذا.

أسألك سلواً عن الدنيا[٢]

ومن دعاء لـه عليه السلام :

اللّهمّ إني أسألك سَلواً عن الدنيا، ومَقتاً لها، فإن خيرها زهيد،

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٧٢ ـ ٧٣ الدعاء رقم (١٥)، عن كتاب الدعاء من الكافي: ج٢ ص٥٨٢.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٧٤ الدعاء رقم (١٦)، عن إرشاد القلوب: ص٣٦.

وشرَّها عتيد، وصَفوَها يَتكدَّر، وجديدها يخلُق، وما فات فيها لم يَرجع، وما نيل فيها فتنة، إلّا من أصابته منك عصمة، وشملته منك رحمة.

فلا تجعلني ممن رضي بها، واطمأن إليها، ووثق بها، فإن من اطمأن إليها خانته، ومن وثق بها غرّته.

من صلَّيت عليه فصلواتنا عليه(١)

ومن دعاء له عليه السلام يستعيذ به من معاداة أولياء الله:

اللّهمّ إني أعوذ بك أن أعادي لك ولياً، أو أُوالي لك عدواً، أو أرضى لك سخطاً أبداً.

اللّهمّ من صلَّيتَ عليه فصلواتنا عليه، ومن لعنته فلعنتُنا عليه.

اللّهمّ من كان في موته فرج لنا ولجميع المسلمين فأرحنا منه، وأبدِل لنا من هو خير لنا، حتى تُرِيَنا من عِلم الإجابة ما نتعرّفه في أديانا ومعايشنا، يا أرحم الراحمين.

يا ذا المنن السابغة(٢)

ومن دعاء له عليه السلام في أيام رجب:

اللّهمّ يا ذا المنن السابغة، والآلاء الوازعة، والرحمة الواسعة، والقدرة الجامعة، والنعم الجسيمة، والمواهب العظيمة، والأيادي الجميلة، والعطايا الجزيلة.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٧٥ ـ ٧٦ الدعاء رقم (١٨)، عن أمالي الشيخ المفيد في الحديث الأخير من المجلس٢٠، ورواه عنه كتاب (المجتنى): ص٩ مخطوط.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص١٠٣ ـ ١٠٥ الدعاء رقم (٢١)، عن الصحيفة العلوية الثانية: ص٢٢٨.

يا من لا يُنعت بتمثيل، ولا يُمثَّل بنظير، ولا يُغلب بظهير.

يا من خَلَق فرزق، وألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارتفع، وقدَّر فأحسن، وصوّر فأتقن، واحتجَّ فأبلغ، وأنعم فأَسبغ، وأعطى فأجزل، ومنح فأفضل.

يا من سما في العزِّ ففات خواطر الأبصار، ودَنا في اللطف فجاز هواجس الأفكار.

يا من تَوَحَّد بالمُلك فلا نِدَّ له في ملكوت سلطانه، وتَفرَّد بالكبرياء والآلاء فلا ضِدَّ له في جبروت شأنه.

يا من حارت في كبرياء هيبته دقائق لطائف الأوهام، وانحسرت دون إدراك عظمته خطائف أبصار الأنام.

يا من عَنَت الوجوه لهَيبته، وخضعت الرقاب لعظمته، ووجلت القلوب من خيفته.

أحيني ما أحييتني موفوراً

أسألك بهذه المِدحة التي لا تنبغي إلّا لك، وبما وَأيتَ به على نفسك لداعيك من المؤمنين، وبما ضمنتَ فيه على نفسك للداعين.

يا أسمع السامعين، ويا أبصر المبصرين، ويا أنظر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أحكم الحاكمين، ويا أرحم الراحمين.

صلّ على محمّد وآل محمّد خاتم النبيّين، وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار.

وأن تَقسِم لي في شهرنا هذا خير ما قسمتَ، وأن تَختم لي في قضائك خير ما خَتمت، وتَختم لي بالسعادة فيمن خَتمت، وأحْيني ما

أحْييتني مَوفوراً، وأمتني مسروراً ومغفوراً، وتَوَلّ أنت نجاتي من مسألة البرزخ، وادرأ عني مُنكراً ونكيراً، وأر عيني مبشّراً وبشيراً، واجعل لي إلى رضوانك وجنانك مصيراً، وعَيشاً قريراً، ومُلكاً كبيراً، وصلى الله على محمّد وآله بُكرة وأصيلاً، يا أرحم الراحمين.

أعطني جميع ما أحب

اللّهمّ إني أسألك بعَقد[1] عزّك على أركان عرشك، ومنتهى رحمتك من كتابك، واسمك الأعظم الأعظم، وذكرك الأعلى الأعلى، وكلماتك التامّات كلّها، أن تصلي على محمّد وآله.

وأسألك ما كان أَوفى بعهدك، وأقضى لحقَك، وأرضى لنفسك، وخيراً في المعاد عندك، والمعاد إليك، وأن تُعطيَني جميع ما أُحب، وتَصرف عني جميع ما أَكره، إنك على كلّ شي قدير، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أسألك من الدنيا ما يصلحني[2]

ومن دعاء لـه عليه السلام في التزوّد للآخرة:

اللّهمّ إني أسألك من الدنيا وما فيها:

ما أسدّد به لساني، وأُحصِّن به فرجي، وأُؤدّي به أمانتي، وأصل به رحِمي، وأتَّجِر به لآخرتي.

---

(١) بمعاقد، خ ل..

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص١٠٦ الدعاء رقم (٢٢)، عن درر السمطين: ص١٥١، ورواه أيضاً الطبرسي في كنوز النجاح كما في الدعاء (١٤) من الصحيفة العلوية الثانية.

اللّهمّ اشرح بالقرآن صدري(١)

ومن دعاء لـه عليه السلام عند ختم القرآن الكريم:

اللّهمّ اشرح بالقرآن صدري.

واستعمل بالقرآن بدني.

ونوِّر بالقرآن بصري.

وأطلِق بالقرآن لساني.

وأعِنّي عليه ما أبقيتني، فإنه لا حول ولا قوّة إلّا بك.

يا من دلّ بذاته على ذاته(٢)

ومن دعاء لـه عليه السلام معروف بدعاء الصباح:

اللّهمّ يا من دَلَعَ لسان الصباح بنُطق تَبلُّجه، وسَرَّح قِطَع الليل المظلم(٣) بغياهب تَلجلُجه، وأتقن صُنع الفَلَك الدوّار في مقادير تبرُّجه، وشَعشَع ضياء الشمس بنور تَأَجُّجه.

يا من دلّ على ذاته بذاته، وتنزّه عن مجانسة مخلوقاته، وجلّ عن ملائمة كيفيّاته.

يا من قرُب من خطرات الظنون، وبعُد عن لَحَظات العيون، وعِلم بما كان قبل أن يكون.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص١٠٦ ـ ١٠٧ الدعاء رقم (٢٣)، عن مصباح المتهجد، ورواه عنه بحار الأنوار: ج١٩ ص٥٣ من الطبعة القديمة.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص١٢٧ ـ ١٣٦ الدعاء رقم (٢٨)، عن بحار الأنوار: ج١٨ ص٦٥٦ من الطبعة القديمة.

(٣) المدلَهِمّ، خ ل.

يا من أرقدني في مهاد أمنه وأمانه، وأيقَظني إلى ما منحني به من مِنَنه وإحسانه، وكفّ أكُفّ السوء عنّي بيده وسلطانه.

صلّ اللّهمّ على محمّد وآله

صلّ اللّهمّ على الدليل إليك في الليل الألْيل، والماسك من أسبابك بحبل الشرف الأَطوَل، والناصع الحسب في ذِروَة الكاهِل الأعبل، والثابت القَدَم على زَحاليفها في الزمن الأوّل، وعلى آله الأخيار المصطفَين الأبرار.

وافتح اللّهمّ لنا مصاريع الصباح بمفاتيح الرحمة والفلاح.

وأَلبسني اللّهمّ من أَفضل خِلَع الهداية والصلاح.

واغْرِس[1] اللّهمّ بعظمتك في شِرب جَناني يَنابيع الخشوع.

وأَجر اللّهمّ لهيبتك من آماقي زَفَرات الدموع.

وأدِّب اللّهمّ نَزَقَ الخُرق منّي بأزمّة القنوع.

أسألك حسن التوفيق

إلهي، إن لم تَبتَدئني الرحمة منك بحُسن التوفيق، فمن السالك بي إليك في واضح الطريق؟

وإن أَسلَمَتني أَناتك لقائد الأَمل والمنى، فمن المقيل عثراتي من كَبَوات الهَوى؟

وإن خذلني نصرك عند محاربة النفس والشيطان، فقد وكلّني خِذلانك إلى حيث النصَب والحِرمان.

---

(١) واغزر، خ ل.

إلهي، أَتَراني ما أَتَيتك إلّا من حيث الآمال، أم عَلِقتُ بأطراف حبالك إلّا حين باعدَتْني ذنوبي عن دار الوصال، فبئس المطيَّة التي امتطت نفسي من هواها، فواهاً لها لما سَوَّلت لها ظنونها ومناها، وتبّاً لها لجرأتها على سيّدها ومولاها.

قَرَعتُ باب رحمتك

إلهي، قَرَعتُ باب رحمتك بيد رجائي، وهَرَبت إليك لاجئاً من فَرط أهوائي، وعَلَّقت بأطراف حِبالك أنامل وَلائي، فاصفح اللّهمّ عما كنت أجرمته من زَلَلي وخَطائي، وأقلني من صَرعة ردائي، فإنك سيدي ومولاي، ومعتمدي ورجائي، وأنت غاية مطلوبي ومُناي، في منقلبي ومثواي.

إلهي، كيف تُطرد مسكيناً التجأ إليك من الذنوب هارباً؟ أم كيف تُخيّب مسترشداً قَصد إلى جَنابك ساعياً؟ أم كيف تَردّ ظَمآن وَرَدَ إلى حياضك شارباً؟ كلّا وحياضك مُترَعَة في ضَنك المحُوُل، وبابك مفتوح للطلب والوُغوُل، وأنت غاية المسؤول، ونهاية المأمول.

إلهي، هذه أزِمَّةُ نفسي عَقَلتها بعِقال مَشيَّتك، وهذه أعباء ذنوبي دَرَأتها بعفوك ورحمتك، وهذه أهوائيَ المضلّة وكلتها إلى جناب لطفك ورأفتك.

ارزقني السلامة في الدين والدنيا

فاجعل اللّهمّ صباحي هذا نازلاً عليَّ بضياء الهدى، وبالسلامة في الدين والدنيا، ومسائي جُنَّة من كَيد العِدى، ووقاية من مرديات الهَوى، إنك قادر على ما تشاء، ﴿...تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ

وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾[1].

فَلَقت بلطفك الفَلَق

لا إله إلا أنت، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، مَن ذا يَعرف قَدرك فلا يَخافك؟ ومَن ذا يَعلم ما أنت فلا يَهابك؟

ألَّفت بقدرتك الفِرَق، وفَلَقت بلطفك الفَلَق، وأنَرت بكرمك دَياجيَ الغَسَق، وأنهرت المياه من الصُّم الصَّياخيد عذباً وأُجاجاً، وأنزلت من المعصِرات ماءً ثجّاجاً، وجعلت الشمس والقمر للبريَّة سراجاً وهّاجاً، من غير أن تُمارس فيما ابتدأت به لغوباً ولا علاجاً.

فيا من تَوحَّد بالعزّ والبقاء، وقهر عباده بالموت والفناء، صلِّ على محمّد وآله الأتقياء، واسمع ندائي، واستجب دعائي، وحَقِّق بفضلك أملي ورجائي، يا خير من دُعِي لكشف الضرّ، والمأمول لكلّ[2] عُسر ويُسر، بك أنزلت حاجتي، فلا تَردني من سَنيِّ[3] مَواهبك خائباً، يا كريم يا كريم يا كريم، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين.

يا كاشف الكروب

ثمّ يسجد ويقول:

إلهي قلبي محجوب، ونفسي معيوب، وعقلي مغلوب، وهوائي

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) في كل، خ ل.

(٣) باب، خ ل.

غالب، وطاعتي قليلة، ومعصيتي كثيرة، ولساني مقرّ ومعترف بالذنوب، فكيف حيلتي يا ستّار العيوب، ويا علّام الغيوب، ويا كاشف الكروب؟ اغفر ذنوبي كلّها بحرمة محمّد وآل محمّد، يا غفّار يا غفّار يا غفّار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أسألك برحمتك التّي وسعت كلّ شيء[١]

ومن دعاء له عليه السلام معروف بدعاء (كميل)، علّمه كميل بن زياد النخعي ليدعو به ليالي الجمعة، وكان عليه السلام يدعو به ـ أيضاً ـ ليلة النصف من شعبان، ويقول: ما من عبد يحييها ويدعو بهذا الدعاء فيها إلّا أجيب له.

اللّهمّ إنّي أسألك برحمتك التّي وسعتْ كلّ شيء، وبقوّتك الّتي قَهرتَ بها كلّ شيء، وخضع لها كلّ شيء، وذل لها كلّ شيء، وبجبروتك الّتي غَلبتَ بها كلّ شيء، وبعزتك الّتي لا يَقوم لها شيء، وبعظمتك التي ملأت كلّ شيء، وبسلطانك الّذي علا كلّ شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء، وبأسمائك التي ملأت[٢] أركان كلّ شيء، وبعلمك الذي أحاط بكلّ شيء، وبنور وجهك الذي أضاء له كلّ شيء.

يا نور يا قدوس، يا أوَّل الأولين، ويا آخِر الآخِرين.

اللّهمّ اغفر لي الذنوب التي تَهتِك العِصَم.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص١٤٨ ـ ١٦١ الدعاء رقم (٣٠)، عن الإقبال للسيد ابن طاوس.

(٢) غلبت، خ ل.

اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تُنزل النِّقَم.

اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تُغيّر النعم.

اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تَحبس الدعاء.

اللّهمّ اغفر لي الذنوب الّتي تُنزل البلاء.

اللّهمّ اغفر لي كلّ ذنب أذنبتُه، وكلّ خطيئة أخطأتُها.

ادنني من قربك

اللّهمّ إنّي أتقرَّب إليك بذكرك، وأستشفع بك إلى نفسك، وأسألك بجودك أن تُدنيَني من قُربك، وأن تُوزعني شكرك، وأن تُلهمني ذكرك.

اللّهمّ إنّي أسألك سؤال خاضع متذلِّل خاشع، أن تُسامحني وتَرحمني، وتجعلني بِقَسْمِك راضياً قانعاً، وفي جميع الأحوال متواضعاً.

اللّهمّ وأسألك سؤال من اشتدَّت فاقته، وأنزل بك عند الشدائد حاجته، وعَظُم فيما عندك رغبته.

اللّهمّ عظُم سلطانك، وعلا مكانك، وخفيَ مكرك، وظهر أمرك، وغلب قهرك، وجرت قدرتك، ولا يمكن الفرار من حكومتك.

اللّهمّ لا أجد لذنوبي غافراً، ولا لقبائحي ساتراً، ولا لشيء من عملي القبيح بالحسن مبدِّلاً غيرك، لا إله إلّا أنت، سبحانك وبحمدك، ظلمتُ نفسي، وتجرَّأتُ بجهلي، وسكنتُ إلى قديم ذكرك لي، ومنِّك عليّ.

اللّهمّ مولاي، كم من قبيح سترتَه، وكم من فادح من البلاء أقلتَه،

وكم من عثار وَقَيتَه، وكم من مكروه دفعتَه، وكم من ثناء جميل لستُ أهلاً لـه نشرتَه.

كن عليَّ عطوفاً

اللّهمّ عظُم بلائي، وأفرط بي سوء حالي، وقَصُرتْ بي أعمالي، وقعدتْ بي أغلالي، وحبسني عن نفعي بُعد أملي[١]، وخدعتني الدنيا بغُرورها، ونفسي بجنايتها[٢]، ومِطالي يا سيدي، فأسألك بعزتك ألّا يَحجب عنك دعائي سوءُ عملي وفعالي، ولا تفضحني بخفيٍّ ما اطّلعتَ عليه من سرِّي، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عملتُه في خلواتي، من سوء فعلي وإساءتي، ودَوام تَفريطي وجهالتي، وكثرة شهواتي وغفلتي، وكن اللّهمّ بعزتك لي في كلّ الأحوال رءوفاً، وعليّ في جميع الأمور عطوفاً.

مَن لي غيرك

إلهي وربّي، مَن لي غيرك أسأله كشف ضري، والنظر في أمري؟.

إلهي ومولاي، أجريتَ عليَّ حكماً اتَّبعتُ فيه هوى نفسي، ولم أحترس فيه من تَزيين عَدوِّي، فغرَّني بما أهوى، وأسعده على ذلك القضاء، فتجاوزتُ بما جَرى عليَّ من ذلك بعض حدودك، وخالفتُ بعض أوامرك، فلك الحمد[٣] عليَّ في جميع ذلك، ولا حجَّة لي فيما جرى عليَّ فيه قضاؤك، وألزمني حُكمك وبَلاؤك.

وقد أَتَيتُك يا إلهي، بعد تقصيري وإسرافي على نفسي، معتذراً،

---

(١) آمالي، خ ل.
(٢) بخيانتها، خ ل.
(٣) الحجة، خ ل.

نادماً، منكسراً، مستقيلاً، مستغفراً، منيباً، مقرّاً، مذعناً، معترفاً، لا أجد مفرّاً مما كان مني، ولا مفزعاً أَتَوَجَّه إليه في أمري، غير قبولك عذري، وإدخالك إيّاي في سَعة رحمتك.

اللّهمّ فاقبل عذري، وارحم شِدّة ضُرّي، وفُكّني من شَدّ وَثاقي.

يا ربّ ارحم ضَعف بدني، ورِقّة جلدي، ودِقّة عظمي، يا من بدأ خَلقي، وذِكري وتَربيتي، وبِرّي وتَغذيتي، هبني لابتداء كرمك وسالف بِرّك بي.

أتُراك معذّبي بنارك؟

يا إلهي وسيّدي وربّي، أتُراك معذّبي بنارك بعد توحيدك، وبعد ما انطوى عليه قلبي من معرفتك، ولَهج به لساني من ذكرك، واعتقده ضميري من حُبِّك، وبعد صدق اعترافي ودعائي خاضعاً لربوبيتك؟

هيهات، أنت أكرم من أن تُضيّع من ربّيته، أو تُبعِد من أَدنَيته، أو تُشرّد من آويته، أو تُسلّمَ إلى البلاء من كَفَيتَه ورحِمتَه.

وليتَ شعري يا سيدي وإلهي ومولاي، أتُسلِّط النار على وجوه خَرَّت لعظمتك ساجدة، وعلى أَلسُن نطقَت بتوحيدك صادقة، وبشكرك مادحة، وعلى قلوب اعترفَت بإلهيّتك محقِّقة، وعلى ضمائر حَوَت من العلم بك حتّى صارت خاشعة، وعلى جوارح سَعَتْ إلى أَوطان تَعبّدك طائعة، وأشارتْ باستغفارك مُذعِنة، ما هكذا الظنّ بك، ولا أخبرنا بفضلك عنك يا كريم.

يا ربّ، وأنت تعلم ضَعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها، على أن ذلك بلاءٌ ومكروهٌ قليل

مَكثه، يَسير بَقاؤه، قَصير مدّته، فكيف احتمالي لبلاء الآخرة، وجليل وُقُوع المكاره فيها؟ وهو بلاء تطول مُدّتُه، ويدوم مقامه، ولا يُخفَّف عن أهله، لأنه لا يكون إلّا عن غضبك وانتقامك وسخطك، وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض، يا سيّدي، فكيف لي[١] وأنا عبدك الضعيف، الذليل الحقير، المسكين المستكين.

يا إلهي وربّي، وسيّدي ومولاي، لأيّ الأمور إليك أشكو، ولمَ منها أَضجّ وأبكي؟ لأليم العذاب وشِدّته، أم لطول البلاء ومدّته؟

فلئن صيَّرتَني للعقوبات مع أعدائك، وجَمعتَ بيني وبين أهل بلائك، وفَرَّقتَ بيني وبين أحبّائك وأوليائك، فهبني يا إلهي وسيّدي، ومولاي وربّي، صبرتُ على عذابك، فكيف أصبر على فراقك؟

وهبني يا إلهي صبرتُ على حرّ نارك، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك؟

أم كيف أسكُن في النار ورجائي عفُوك؟

فبعزتك يا سيدي ومولاي أقسم صادقاً، لئن تَركتَني ناطقاً، لأَضِجَّنَّ إليك بين أهلها ضَجيج الآمِلين، ولأصرُخنّ إليك صُراخ المستصرخين، ولأبكينّ إليك بكاء الفاقدين، ولأناديَنّك أين كُنتَ يا وليّ المؤمنين، يا غاية آمال العارفين، يا غياث المستغيثين، يا حبيب قلوب الصادقين، ويا إله العالمين؟

تقدّست أسماؤك

أفتراك سبحانك يا إلهي وبحمدك، تسمع فيها صَوت عبد مسلم

---

(١) بي، خ ل.

سُجن فيها بمخالفته، وذاق طعم عذابها بمعصيته، وحُبس بين أطباقها بجُرمه وجَريرته، وهو يَضجّ إليك ضَجيج مؤمّل لرحمتك، ويُناديك بلسان أهل توحيدك، ويَتوسّل إليك بربوبيّتك، يا مولاي، فكيف يبقى في العذاب وهو يَرجو ما سلف من حلمك؟

أم كيف تؤلمه النار وهو يأمل فضلك ورحمتك؟

أم كيف يُحرقه لهيبها وأنت تَسمع صَوته وتَرى مكانه؟

أم كيف يَشتمل عليه زفيرها وأنت تعلم ضعفه؟

أم كيف يَتَقَلقل بين أطباقها وأنت تعلم صدقه؟

أم كيف تَزجره زبانيَتها وهو يُناديك: يا ربه؟

أم كيف يرجو فضلك في عتقه منها فتتركه فيها؟

هيهات ما ذلك الظنّ بك، ولا المعروف من فضلك، ولا مُشبِه لما عاملتَ به الموحّدين من بِرّك وإحسانك.

فباليقين أقطع، لولا ما حكمتَ به من تعذيب جاحديك، وقَضيتَ به من إخلاد معانديك، لجعلتَ النار كلّها برداً وسلاماً، وما كان لأحد فيها مَقرّاً ولا مُقاماً.

لكنّك تَقَدّستْ أسماؤك، أَقسمتَ أن تملأها من الكافرين، من الجِنّة والناس أجمعين، وأن تُخلّدَ فيها المعاندين، وأنت جلّ ثناؤك قلتَ مبتدئاً وتَطوّلتَ بالإنعام متكرّماً: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ﴾(١).

وفِّر حظّي من كلّ خير

إلهي وسيّدي، فأسألك ـ بالقدرة التي قَدّرتها، وبالقضيّة التي حَتَمتَها

---

(١) سورة السجدة، الآية: ١٨.

وحَكَمتَها، وغَلبتَ من عليه أَجريتها ـ أن تَهَبَ لي في هذه الليلة، وفي هذه الساعة، كلّ جُرم أجرمتُه، وكلّ ذنب أذنبتُه، وكلّ قبيح أسررتُه، وكلّ جهل عملتُه، كتمتُه أو أعلنتُه، أخفيتُه أو أظهرتُه، وكلّ سيِّئة أمرتَ بإثباتها الكِرام الكاتبين، الذين وكَّلتَهم بحفظ ما يكون منِّي، وجَعلتَهم شهوداً عليّ مع جَوارحي، وكنتَ أنت الرقيب عليّ من ورائهم، والشاهد لما خَفيَ عنهم، وبرحمتك أخفيتَه، وبفضلك سَترتَه.

وأن تُوَفِّر حظّي من كلّ خير أنزلتَه، أو إحسان فضّلتَه، أو برّ نشرتَه، أو رزق بسطتَه، أو ذنب تغفره، أو خطأ تستره.

يا من بيده ناصيَتي

يا ربّ يا ربّ يا ربّ، يا إلهي وسيّدي ومولاي ومالك رِقّي، يا من بيده ناصيَتي، يا عليماً بضرّي ومسكنتي، يا خبيراً بفقري وفاقتي.

يا من عليه معوّلي

يا ربّ يا ربّ يا ربّ، أسألك ـ بحقّك وقُدسك، وأعظم صفاتك وأسمائك ـ أن تَجعل أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورة، وبخدمتك موصولة، وأعمالي عندك مقبولة، حتّى تكون أعمالي وأَورادي كلها وِرداً واحداً، وحالي في خدمتك سَرمَداً، يا سيدي، يا من عليه مُعوّلي، يا من إليه شكوتُ أحوالي.

قَوّ على خدمتك جوارحي

يا ربّ يا ربّ يا ربّ، قَوّ على خدمتك جوارحي، واشدُد على العزيمة جوانحي، وهب لي الجِدّ في خشيتك، والدوام في الاتّصال

بخدمتك، حتّى أَسرَح إليك في ميادين السابقين، وأُسرع إليك في البارزين، وأَشتاق إلى قربك في المشتاقين، وأَدنُوَ منك دُنُوَّ المخلصين، وأخافك مخافة الموقِنين، وأجتمع في جِوارك مع المؤمنين.

مُنَّ عليَّ بحُسن إجابتك

اللّهمّ ومن أرادني بسوء فأرده، ومن كادني فكده، واجعلني من أحسن عَبيدك نَصيباً عندك، وأَقربهم منزلة منك، وأَخصِّهم زُلفة لديك، فإنه لا يُنال ذلك إلّا بفضلك.

وجُد لي بجودك، واعطف عليَّ بمجدك، واحفظني برحمتك، واجعل لساني بذكرك لَهِجاً، وقلبي بحبك متيَّماً.

ومُنَّ عليَّ بحسن إجابتك، وأقلني عثرتي، واغفر زلّتي، فإنّك قضيتَ على عبادك بعبادتك، وأمرتَهم بدعائك، وضَمِنتَ لهم الإجابة.

فإليك يا ربّ نصبتُ وجهي، وإليك يا ربّ مددتُ يدي، فبعزّتك استجب لي دعائي، وبلّغني مُناي، ولا تقطع من فضلك رجائي، واكفني شرّ الجنّ والإنس من أعدائي.

يا سريع الرضا

يا سريع الرضا، اغفر لمن لا يملك إلّا الدعاء، فإنّك فعّال لما تشاء.

يا من اسمه دَواء، وذكره شِفاء، وطاعته غنى، ارحم من رأس ماله الرجاء، وسلاحُه البكاء.

يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا نور المستَوحِشين في الظلم، يا عالماً لا يُعلَّم، صلّ على محمّد وآل محمّد، وافعل بي ما أنت أهله، ولا

تفعل بي ما أنا أهله، وصلّى الله على رسوله والأئمّة الميامين من آله وسلّم تسليماً كثيراً.

كن أنيسي في وحدتي[(١)]

ومن دعاء له عليه السلام :

إلهي تَوَعَّرت الطرق، وقلّ السالكون، فكن أنيسي في وَحدتي، وجَليسي في خَلوَتي، فإليك أَشكو فقري وفاقتي، وبك أنزلت ضُرّي ومسكنتي، لأنّك غاية أُمنيّتي، ومنتهى بلوغ طِلِبتي.

فيا فَرحة لقلوب الواصلين، ويا حياة لنفوس العارفين، ويا نهاية شَوق المحبّين، أنت الذي بفنائك حطّت الرحال، وإليك قَصَدَت الآمال، وعليك كان صِدق الاتّكال.

فيا من تفرّد بالكمال، وتَسربل بالجمال، وتَعزّز بالجلال، وجاد بالأفضال، لا تَحرمنا منك النَّوال.

إلهي بك لاذت القلوب، لأنك غاية كلّ محبوب، وبك استجارت فَرَقاً من العيوب، وأنت الذي عَلِمتَ فحلُمتَ، ونظرت فرحِمتَ، وخَبَرتَ فسَتَرتَ، وغضِبتَ فغفرتَ.

يا سرور الأرواح

فهل مؤمَّل غيرك فيُرجى؟ أم هل ربٌّ سواك فيُخشى؟ أم هل معبود سواك فيُدعى؟ أم هل قَدَم عند الشدائد إلّا وهي إليك تسعى؟

فوعزتك يا سُرُور الأرواح، ويا منتهى غاية الأفراح، إني لا أملك غير ذُلّي ومسكنتي لديك، وفقري وصدق تَوكُّلي عليك.

فأنا الهارب منك إليك، وأنا الطالب منك ما لا يخفى عليك، فإن

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٠١ ـ ٢٠٣ الدعاء رقم (٣٤).

عَفَوتَ فبفضلك، وإن عاقبتَ فبعدلك، وإن مَنَنتَ فبجودك، وإن تَجاوَزت فبدوام خُلودك.

إلهي بجلال كبريائك أَقسمتُ، وبدوام خُلود بقائك آليتُ، أني لا برحتُ مقيماً ببابك، حتى تؤمنني من سطوات عذابك، ولا أَقنع بالصفح عن سطوات عذابك، حتى أَروح بجزيل ثوابك.

جد عليّ بما أنت أولى به

إلهي عجباً لقلوب سكنت إلى الدنيا، وتَروَّحت برَوح المنى، وقد علِمتْ أن ملكها زائل، ونعيمها راحل، وظلَّها آفل، وسندها مائل، وحسن نَضارة بَهجتها حائل، وحقيقتها باطل، كيف لا يشتاق إلى رَوح ملكوت السماء، وأنَّى لهم ذلك، وقد شَغَلَهم حبُّ المهالك، وأضلَّهم الهوى عن سبيل المسالك.

إلهي اجعلنا ممّن هام بذكرك لبّه، وطار من شَوقه إليك قلبه، فاحتَوَته عليه دَواعي محبتك، فحَصَل أسيراً في قبضتك.

إلهي كيف أثني ـ وبَدْء الثناء منك ـ عليك، وأنت الذي لا يعبِّر عن ذاته نُطق، ولا يَعِيه سَمع، ولا يَحويه قلب، ولا يُدركه وَهم، ولا يَصحبه عَزم، ولا يَخطر على بال، فأَوزعني شكرك، ولا تُؤمنّي مكرك، ولا تُنسني ذكرك، وجُد بما أنت أَولى أن تَجود به، يا أرحم الراحمين.

أتوجّه إليك بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم (١)

ومن دعاء له عليه السلام قبل استفتاح الصلاة وبعدها، من واظب عليه كان مع محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ الدعاء رقم (٣٧)، عن كتاب الدعاء من الكافي: ج٢ ص٥٤٤.

اللّهمّ إني أَتَوَجَه إليك بمحمّد وآل محمّد، وأُقَدّمهم بين يدي صَلواتي، وأتقرَّب بهم إليك، فاجعلني بهم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين.

اللّهمّ فكما مننتَ عليَّ بمعرفتهم، فاختم لي بطاعتهم ومعرفتهم وولايتهم، فإنها السعادة واختم لي بها، فإنك على كلّ شيء قدير.

اللّهمّ اجعل محياي محيا محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تصلي فإذا انصرفت قلت:

اللّهمّ اجعلني مع محمّد وآل محمّد في كلّ عافية وبلاء، واجعلني مع محمّد وآل محمّد في كلّ مَثْوىً ومنقلب.

اللّهمّ اجعل محياي محياهم، ومماتي مماتهم، واجعلني معهم في المواطن كلّها، ولا تُفرّق بيني وبينهم، إنّك على كلّ شيء قدير.

أنت الغنيّ وأنا الفقير(١)

ومن دعاء لـه عليه السلام إذا فرغ من صلاة الزوال:

اللّهمّ إنّي أتقرّب إليك بجودك وكرمك، وأتقرّب إليك بملائكتك المقرّبين، وأنبيائك المرسلين وبك.

اللّهمّ أنت الغنيّ عنّي وبي الفاقة إليك، أنت الغنيّ وأنا الفقير إليك، أَقَلتَني عثرتي، وسَتَرتَ عليّ ذنوبي، فاقض اليوم حاجتي، ولا تُعذّبني

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٣٠ ـ ٢٣١ الدعاء رقم (٣٨)، عن كتاب الدعاء من الكافي: ج٢ ص٥٤٥.

بقبيح ما تَعلم مني، بل عفوك[١] وجودك يسعُني.

يا برّ يا رحيم

ثم يخرّ ساجداً ويقول:

يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة، يا برّ، يا رحيم، أنت أبرّ بي من أبي وأُمّي، ومن جميع الخلائق، أقلِبني بقضاء حاجتي، مجاباً دعائي، مرحوماً صوتي، قد كَشفتَ أنواع البلاء عنّي.

أُناجيك يا سيّدي[٢]

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به في سجوده:

أُناجيك يا سيّدي كما يُناجي العبد الذليل مولاه.

وأطلب إليك طلب من يعلم أنك تُعطي ولا يَنقص مما عندك شيء.

وأستغفرك استغفار من يعلم أنه لا يَغفر الذنوب إلّا أنت.

وأتوكَّل عليك توكُّل من يعلم أنك على كلّ شيء قدير.

يا من أمر بالدعاء وتكفّل الإجابة[٣]

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به بعد كلّ صلاة فريضة:

إليك رُفعت الأصوات، ودُعيَت الدعوة، ولك عَنَت الوجوه، ولك

---

(١) فإن عفوك، خ ل.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٤٤ الدعاء رقم (٤٦)، عن أمالي الصدوق: المجلس ٤٤ ح٧.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨ الدعاء رقم (٤٨)، عن إكمال الدين، ومصباح الشيخ، والبلد الأمين، وجنة المأوى.

خضعت الرقاب، وإليك التحاكم في الأعمال.

يا خير من سُئل، ويا خير من أعطى، يا صادق يا بارئ، يا من لا يُخلِف الميعاد.

يا من أمر بالدعاء، وتكفَّل الإجابة.

يا من قال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾[١].

يا من قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ١٨٦﴾[٢].

ويا من قال: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[٣].

لبَّيك وسَعدَيك، ها أنا ذا بين يديك، المسرف على نفسي، وأنت القائل: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[٤].

هب لي ما سألتك[٥]

ومن دعاء له عليه السلام في التزويج، مَن دعا به بعد أن يصلّي ركعتين بالفاتحة وياسين أعطاه الله ما سأل:

اللّهمّ ارزقني زوجة صالحة، ودوداً، ولوداً، شكوراً، قنوعاً، غيوراً.

---

(١) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٥) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٤٩ ـ ٢٥٠ الدعاء رقم (٤٩)، عن نوادر السيد فضل الله الراوندي.

إن أحسنتُ شَكَرتْ، وإن أسأتُ غَفَرتْ، وإن ذكرتُ الله تعالى أعانتْ، وان نسِيتُ ذَكَّرتْ، وإن خرجتُ من عندها حفظتْ، وإن دخلتُ عليها سرّتْني، وإن أمرتُها أطاعتْني، وإن أقسمتُ عليها أَبرَّت قَسَمي، وإن غَضِبتُ عليها أرضتْني.

يا ذا الجلال والإكرام، هب لي ذلك، فإنّما أسألكه ولا أجد إلّا ما مَنَنتَ وأَعطَيتَ.

اللّهمّ إنّي عبدك ووليّك(١)

ومن دعاء له عليه السلام في الإقرار لله تعالى بالعبوديّة، والتحدّث بما أنعم الله عليه:

اللّهمّ إني عبدك ووليُّك، اخترتَني وارتَضَيتَني، ورَفعتَني وكرمتني، بما أَورثتَني من مقام أصفيائك، وخلافة أوليائك، وأَغنيتَني وأفقرتَ الناس في دينهم ودنياهم إليَّ، وأَعزتَني وأذللتَ العباد إليّ.

وأَسكنتَ قلبي نورك، ولم تُحوِجني إلى غيرك، وأَنعمتَ عليَّ وأَنعمتَ بي، ولم تجعل منّةً عليَّ لأحد سواك، وأَقمتَني لإحياء حَقك، والشهادة على خَلقك، ولا أَرضى ولا أَسخط إلّا لرضاك وسخطِك، ولا أقول إلّا حقاً، ولا أنطِق إلّا صدقاً.

يا خير الحاكمين(٢)

ومن دعاء له عليه السلام في يوم الجمل حين التقى الصفّان:

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٩٠ ـ ٢٩١ الدعاء رقم (٦٩)، عن مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: ج١ ص٣٢٠.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٩٤ الدعاء رقم (٧٣)، عن كتاب شرح الأخبار للقاضي نعمان، ورواه مستدرك الوسائل: ج٢ ص٢٦٤.

يا خير من أفضت إليه القلوب، ودُعيَ بالألسن.

يا حسن البلاء.

يا جزيل العطاء.

احكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

إنك أنت عصمتي(١)

ومن دعاء له عليه السلام إذا لقي العدو:

اللّهمّ إنك أنت عصمتي، وناصري، ومعيني، اللّهمّ بك أصول، وبك أقاتل.

اكفنا المهمّ(٢)

ومن دعاء له عليه السلام إذا خرج للسفر:

أشهد أن لا اله إلّا الله، وأشهد أن محمّداً رسول الله عبده ورسوله.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من خير أمّة أخرجت للناس. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾(٣).

اللّهمّ إني أعوذ بك من وَعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظَر في الأهل والمال والولد.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٢٩٥ الدعاء رقم (٧٤)، عن دعائم الإسلام: ج١ ص٣٧١ ح١٦.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٠١ الدعاء رقم (٨٠)، عن دعائم الإسلام: ج١ ص٣٤٧ ح٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ١٣.

اللّهمّ أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، والمستعان في الأمر، اطوِ لنا البُعد، وسَهّل لنا الحُزُونة، واكفنا المُهمّ، إنّك على كلّ شيء قدير.

سبحان الذي سخَّر لنا هذا[1]

ومن دعاء له عليه السلام إذا وضع رجله في الغرز واستوى على الدابّة، قال:

بسم الله، الحمد لله الذي أكرمنا، وحملنا في البرّ والبحر، ورزقنا من الطّيبات، وفَضَّلَنا على كثير ممّن خلق تفضيلاً.

﴿...سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[2].

رب اغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلّا أنت.

اكفنا مهمّات السفر[3]

ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به في السفر كلّ يوم:

اللّهمّ أسعِدنا بهذه الحركة، وامْدُدنا باليُمن والبركة، وقِنا سوء القَدَر، واكفنا مهمّات السفر، وقرّب لنا البُعد والنَّأي، وسهّل علينا السَّير

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٠٢ ـ ٣٠٣ الدعاء رقم (٨١)، عن (الشهيد الأول معنعناً)، وقريب منه ما رواه في دعائم الإسلام مرسلاً: ج١ ص٣٤٦.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٠٤ الدعاء رقم (٨٢)، عن حاشية جنة الأمان للكفعمي.

والسَّرى، ووفّقنا لطَيِّ المراحل، وأنزلنا خير المنازل، واحفظ مخلَّفينا، واجمع بيننا وبينهم بأحسن آمالنا وأمانيّنا، سالمين غانمين تائبين، برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على سيدنا محمّد وآله الطاهرين.

أعوذ بك من زوال نعمتك[١]

ومن دعاء له عليه السلام إذا عثرت دابته:

اللّهمّ إني أعوذ بك من زَوال نعمتك، ومن تَحويل عافيتك، ومن فُجأةِ نقمتك.

أصلح ذات بيننا وبينهم[٢]

ومن دعاء له عليه السلام علّمه أصحابه حين التقوا بأهل صفّين ليدعوا به لهم بدل إعلان بعضهم البراءة منهم:

اللّهمّ احقِن دماءَنا ودماءَهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضَلالتهم، حتّى يَعرِف الحقّ من جَهِله، ويَرعَوي عن الغيّ والعدوان من لَهج به.

أعوذ بك أن أُغلب[٣]

ومن دعاء له عليه السلام علّمه ابن عباس في ليلة الهرير لتسكن رَوعته:

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٠٥ الدعاء رقم (٨٣)، عن قرب الإسناد معنعناً.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣١٨ الدعاء رقم (٩٢)، عن كتاب صفين: ص١٠٢، ورواه في تذكرة الخواص: ص١٦٣.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٢٠ ـ ٣٢١ الدعاء رقم (٩٤)، ورواه في الصحيفة العلوية الأولى: ص١٥٤.

اللّهمّ إني أعوذ بك من أن أُضام في سلطانك.

اللّهمّ إني أعوذ بك أن أَضِلَّ في هُداك.

اللّهمّ إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك.

اللّهمّ إني أعوذ بك أن أُضَيَّع في سلامتك.

اللّهمّ إني أعوذ بك أن أُغلَب والأمر لك وإليك.

اللّهمّ ألحقني بنبيّك صلى الله عليه وآله وسلم[1]

ومن دعاء له عليه السلام كان يردّده حين حضرته الوفاة صلوات الله وسلامه عليه:

اللّهمّ اكفنا عدوّك الرجيم.

اللّهمّ إني أُشهدك: أنك لا إله إلّا أنت، وأنك الواحد الصمد، ولم تلد ولم تولد، ولم يكن لك كفواً أحد.

فلك الحمد عدد نَعمائك لديَّ، وإحسانك عندي، فاغفر لي وارحمني، وأنت خير الراحمين.

ولم يزل يقول:

لا إله إلّا الله وحدك لا شريك لك، وأن محمّداً عبدك ورسولك، عُدّة لهذا الموقف وما بعده من المواقف.

اللّهمّ اجْزِ محمّداً عنّا خيراً، واجْزِ محمّداً عنّا خير الجزاء، وبلّغه منّا أفضل السلام.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٦ ص٣٣٣ ـ ٣٣٤ الدعاء رقم (١٠٥)، عن دعائم الإسلام: ج٢ ص٣٥٤.

اللّهمّ أَلحِقني به، ولا تَحلُ بيني وبينه، إنّك سميع الدعاء، رؤوف غفور رحيم.

ثمّ نظر عليه السلام إلى أهل بيته فقال:

حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيّكم، وأَستَودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام.

ثمّ لم يزل يقول: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، حتّى قُبض صلوات الله وسلامه عليه شهيداً سعيداً.

إلى مَن يفزع المقصّرون؟[1]

ومن دعاء له عليه السلام كان يناجي به ربّه:

إلهي لولا ما جهِلتُ من أمري ما شكَوتُ عثراتي، ولولا ما ذكرتُ من الإفراط ما سفحتُ عبراتي.

إلهي فامح مُثبِتات العَثَرات بمرسَلات العَبَرات، وهَب كثير السيّئات لقليل الحسنات.

إلهي إن كنتَ لا ترحم إلّا المجدِّين في طاعتك، فإلى من يَفزع المقصِّرون؟

وإن كنتَ لا تقبل إلّا من المجتهدين، فإلى من يلتجئ المخطئون؟

وإن كنتَ لا تُكرم إلّا أهل الإحسان، فكيف يصنع المسيئون؟

---

(١) دستور معالم الحكم ومأثور مكارم الشيم، للقاضي القضاعي المتوفى سنة ٤٥٤ هجرية: ص١٥٨ ـ ١٧٩ ب٨.

وإن كان لا يفوز يوم الحشر إلّا المتَّقون، فبمن يستغيث المذنبون؟.

إلهي إن كان لا يجوز على الصراط إلّا من أجازته براءة عمله، فأنّى بالجواز لمن لم يَتُب قبل حُلول أجله؟.

إلهي إن حُجِب عن موحّديك نظر تعمُّد لجناياتهم، أَوقعهم غضبك بين المشركين في كُرُباتهم.

إلهي فأوجب لنا بالإسلام مذخور هِباتك، واستَصِف لنا ما كدّرته الجرائم بصفح صِلاتك.

ارحم غُربتنا

إلهي ارحم غُربتنا إذا تَضمّنتنا بطون لُحودنا، وعُمّيت علينا باللَّبِن سقوف بيوتنا، وأُضجِعنا على الأيمان في قبورنا، وخُلفنا فرادى في أضْيَق المضاجع، وصَرعتنا المنايا في أنكر المصارع، وصرنا في ديار قوم كأنّها مأهولة وهي منهم بَلاقع.

إلهي فإذا جئناك عُراة مُغبرَّة من ثَرى الأجداث رؤوسنا، وشاحبة من تراب الملاحِد وجوهنا، وخاشعة من أهوال القيامة أبصارنا، وجائعة من طول القيام بطوننا، وبادية هنالك للعيون سَوأتنا، ومُثقَلة من أَعباء الأوزار ظهورنا، ومشغولين بما قد دهانا عن أهلينا وأولادنا، فلا تضاعف علينا المصائب بإعراض وجهك الكريم عنّا، وسَلب عائدة ما مثّله الرجاء منّا.

إلهي ما حنّت هذه العيون إلى بُكائها، ولا جادت مُتسرِّبة بمائها، ولا شَهَرت بنحيب المثكِلات فقْد عزائها، إلّا لما سلف من نُفُورها وإبائها، وما دعاها إليه عواقب بلائها، وأنت القادر يا كريم على كشف غَمَّائها.

إلهي أَمرتَ بالمعروف وأنت أولى به

إلهي ثبّت حلاوة ما يَستعذبه لساني من النُّطق في بلاغته، بزهادة ما يرفعه قلبي من النصح في دَلالته.

إلهي أَمرتَ بالمعروف وأنت أولى به من المأمورين، وأَمرتَ بصلة السؤّال وأنت خير المسؤولين.

إلهي كيف يُقبل بنا اليأس عن الإمساك كما لهِجنا بطِلابه، وقد ادَّرَعنا من تَأميلنا إيّاك أسبغ أثوابه؟.

إلهي إذا تَلَونا من صفاتك شديد العقاب أشفقنا، وإذا تَلَونا منها الغفور الرحيم فرحنا، فنحن بين أمرين: لا يؤمنّا سَخَطك، ولا تؤيسنا رحمتك.

إلهي إن قصّرت بنا مساعينا عن استحقاق نظرك، فما قصّرت رحمتك بنا عن دفاعِ نقمتك.

إلهي كيف تفرح بصُحبة الدنيا صُدورنا؟ وكيف تلتئم في عُمرانها أمورنا؟ وكيف يَخلُص فيها سرورنا؟ وكيف يَملِكنا باللّهو واللعِب غرورنا، وقد دَعَتنا باقتراب آجالنا قبورنا؟.

إلهي كيف نبتهج بدار حفرتْ لنا فيها حفائر صَرعتها، وقَلّبتنا بأيدي المنايا حبائل غَدرَتها، وجَرّعتنا مكرَهين جُرَع مرارتها، ودَلّتنا العِبر على انقطاع عِيشَتها؟.

إليك نلتجئ من مكائد الدنيا

إلهي فإليك نلتجئ من مكايد خَدعَتها، وبك نستعين على عبور قَنطَرتها، وبك تَستَعصم الجوارح على خلاف شَهوَتها، وبك نستكشف جلابيب حَيرَتها، وبك يُقوَّم من القلوب استصعاب جهالتها.

الهي كيف للدُور أن تمنع مَن فيها من طَوارق الرزايا، وقد أُصيب في كلّ دار سَهم من أَسهُم المنايا؟.

إلهي ما نَفجَع بأنفسنا عن الديار، إن لم تُوحِشنا هناك من مرافقة الأبرار.

إلهي ما تَضرّنا فُرقة الإخوان والقرابات، إذا قَرَّبتَنا منك يا ذا العطيّات.

ارحمني إذا انقطع أثري

إلهي ارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري، وانمحى من المخلوقين ذكري، وصرتُ في المنسيّين كمن قد نُسي.

إلهي كبُرت سِنّي، ودقّ عظمي، ورقّ جلدي، ونال الدهر منِّي، واقترب أجلي، ونَفِدت أيامي، وذهبت شَهوَتي، وبقيَت تبعتي، وانمحت محاسني، وبَليَ جسمي، وتقطّعت أوصالي، وتفرّقت أعضائي، إلهي فارحمني.

إلهي أفحمتني ذنوبي، وانقطعت مقالتي، فلا حجّة لي ولا عذر، فأنا المقرّ بجُرمي، والمعترف بإساءتي، والأسير بذنبي، والمرتَهَن بعملي، المتهوّر في خطيئتي، المتحيّر عن قصدي، المنقطع بي.

إلهي فصلّ على محمّد وآل محمّد، وارحمني برحمتك، وتجاوز عنّي بمغفرتك.

إلهي إن كان صغُر في جنب طاعتك عملي، فقد كبُر في جنب رجائك أملي.

إلهي كيف أنقلب بالخَيبَة من عندك محروماً، وكان ظنّي بجودك أن تَقلبني بالنجاة مرحوماً؟ كلا إني لم أسلِّط على حسن ظنّي بك قُنُوط ظنِّ الآيسين، فلا تُبطِل صدق رجائي لك بين الآملين.

إلهي إن كنا مرحومين فإنّا نبكي على ما ضَيَّعناه في طاعتك ما تَستَوجبه، وإن كنا محرومين فإنا نبكي إذا فاتنا من جِوارك ما نطلبه.

إلهي عظُم جُرمي إذ كنت المبارَز به، وكبُر ذنبي إذ كنتَ المطالِبَ به، إلّا أني إذا ذكرتُ كَثرة ذنوبي وعظيم غفرانك، وجدت الحاصل لي بينهما عَفوَ رضوانك.

آنسَني اليقين بمكارم عطفك

إلهي إن أوحشتني الخطايا من محاسن لطفك، فقد آنسَني اليقين بمكارم عطفك.

إلهي إن أنامتْني الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد أنبهتْني المعرفة بكريم آلائك.

إلهي إن عَزَبَ لُبّي عن تقويم ما يُصلحني، فما عَزَبَ إيقاني بنظرك فيما يَنفعني.

إلهي جئتك ملهوفاً قد أُلبِستُ عُدمي وفاقتي، وأقامني مقام الأذلِّين بين يديك ذُلُّ حاجتي.

إلهي كرُمتَ فأكرمني إن كنتُ من سُؤّالك، وجُد بمعروفك فاْخلطني بأهل نَوالك.

إلهي أصبحتُ على باب من أبواب مِنَحِك سائلاً، وعن التعرُّض

لغيرك بالمسألة عادلاً، وليس من جميل امتنانك أن ترُدَّ سائلاً ملهوفاً، ومضطرّاً لانتظار أمرك مألوفاً.

إلهي أقمتُ على قَنطرة الأخطار، مبلُوّاً بالأعمال وبالاعتبار، فأنا الهالك إن لم تُعِن عليها بتخفيف الآصار.

إلهي أَمن أهل الشقاء خلقتني فأُطيل بكائي؟ أم من أهل السعادة فأُبشّر رجائي؟.

إلهي لو لم تَهدني إلى الإسلام ما اهتديتُ، ولو لم تُطلق لساني بدعائك ما دَعَوتُ، ولو لم تَرزقني الإيمان بك ما آمنتُ، ولو لم تُعرّفني حلاوة نعمتك ما عرفتُ، ولو لم تُبيّن شديد عقابك ما استجرتُ.

إلهي إن أَقعدَني التخلّف عن السبق مع الأبرار، فقد أقامتْني الثقة بك على مدارج الأخيار.

إلهي نفساً أَعززتَها بتأييد إيمانك، كيف تُذلها بين أطباق نيرانك؟.

إلهي لساناً كَسَوتَه من وحدانيّتك أَنقى أثوابها، كيف تَهوى إليه من النار شُعُلات التهابها؟.

إليك يَلتَجئ كل مكروب

إلهي كل مكروب فإليك يَلتَجئ، وكلّ محزون فإيّاك يَرتَجي.

إلهي سَمع العابدون بجزيل ثوابك فخشعوا، وسمع المذنبون بسعة رحمتك فقنعوا، وسمع المولّون عن القصد بجودك فرجعوا، وسمع المجرمون بسعة غفرانك فطمِعوا، حتّى ازدحمت عصائب العصاة من عبادك ببابك، وعجّ منهم إليك عجيجُ الضجيج بالدعاء في بلادك، ولكلٍّ

أمل ساق صاحبه إليك محتاجاً، ولكلِّ قلب تركه يا ربِّ وَجيف الخَوف منك مهتاجاً، فأنت المسؤول الذي لا تَسوَدُّ لديه وجوه المطالب، ولا يرُدُّ نائله قاطعات المعاطب.

إلهي إذا أخطأتُ طريق النظر لنفسي بما فيه كرامتُها، فقد أَصبتُ طريق الفَزَع إليك بما فيه سلامتها.

إلهي إن كانت نفسي استَسعَدَتني متمرِّدة على ما يُرديها، فقد استسعدتُها الآن بدعائك على ما يُنجيها.

إلهي إن قَسَطتُ في الحكم على نفسي بما فيه حسرتُها، فقد أقسطتُ في تعريفي إياها من رحمتك أسباب رأفتها.

إلهي إن قَطَعَني قلّة الزاد في المسير إليك، فقد وصلتُه بذخائر ما أعددتُه من فضل تَعويلي عليك.

إلهي إذا ذكرتُ رحمتك ضحِكتْ لها عيون وسائلي، وإذا ذكرتُ سَخطك بَكتْ له عيون مسائلي.

ادعوك دعاء من لم يَرج غيرك

إلهي ادعوك دعاء من لم يَرج غيرك في دعائه، وأرجوك رجاء من لم يَقصد غيرك في رجائه.

إلهي كيف أُسكِتُ بالإفحام لسان ضَراعَتي، وقد أقَلَقني ما أَبهم عليَّ من مصير عاقبتي؟.

إلهي قد علِمتَ حاجة جسمي إلى ما تَكفّلتَ له من الرزق في حياتي، وعَرفتَ قلّة استغنائي عنه في الجنَّة بعد وفاتي، فيا مَن سَمَح لي

به متفضِّلاً في العاجل، لا تمنعنيه يوم فاقتي إليه في الآجل.

إلهي إن عَذّبتَني فعبدٌ خَلقتَه لما أردتَ فعذّبتَه، وإن رحِمتَني فعبد ألفَيتَه مسيئاً فأنجيتَه.

إلهي لا احْتِراس من الذنب إلّا بعصمتك، ولا وُصُول إلى عمل الخيرات إلّا بمشيئتك، كيف لي بإفادة ما سَلبتَني فيه مشيئتك؟ وكيف لي باحتراس من الذنب ما لم تُدركني فيه عصمتُك؟.

إلهي أنت دَللتَني على سؤال الجنَّة قبل معرفتها، فأقبلتِ النفس بعد العِرفان على مسألتها، أفتدلُّ على خيرك السؤّال ثم تمنعه، وأنت الكريم المحمود في كلّ ما تصنعه، يا ذا الجلال والإكرام؟.

أنت أهل أن تجود عليَّ

إلهي إن كنتُ غير مستأهل لما أرجو من رحمتك، فأنت أهل أن تجود على المذنبين بفضل سَعَتك.

إلهي نفسي قائمة بين يديك، وقد أظلَّها حسن توكُّلها عليك، فاصنع بي ما أنت أهله، وتَغمّدني برحمتك.

إلهي إن كان دنا أجلي، ولم يُقرّبني منك عملي، فقد جعلت الاعتراف بالذنب وسائل عِلَلي، فإن عَفَوتَ فمن أَولى منك بذلك، وإن عذَّبتَ فمن أعدل منك في الحكم هنالك.

إلهي إنّك لم تَزَل بارّاً بي أيّام حياتي، فلا تَقطع بِرَّك بي بعد وفاتي.

إلهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد مماتي وأنت لم تولِّني إلّا الجميل في حياتي.

إلهي إن ذنوبي قد أخافتني، ومحبَّتي لك قد أجارتني، فتولَّ في أمري ما أنت أهله، وعُد بفضلك على من غَمره جهله، يا من لا تَخفى عليه خافية، صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، واغفر لي ما خَفيَ عن الناس من أمري.

إلهي ليس اعتذاري إليك اعتذار مَن يَستَغني عن قبول عذره، فاقبل عذري، يا خير من اعتذر إليه المسيئون.

لو أَردت إهانتي لم تَهدني

إلهي إنك لو أَردت إهانتي لم تَهدني، ولو أردتَ فضيحتي لم تُعافني، فمتّعني بما له هديتني، وأَدِم لي ما به سترتني.

إلهي لولا ما اقْترفتُ من الذنوب ما خفتُ عقابك، ولولا ما عرفتُ من كرمك ما رَجَوتُ ثوابك، وأنت أكرم الأكرمين بتحقيق آمال الآملين، وارحم من استُرحم في تجاوزه عن المذنبين.

إلهي نفسي تُمنّيني بأنّك تغفر لي، فأكرم بها أُمنيّتي، فقد بَشَّرتْ بعفوك وصدق كرمك مبشّراتُ تَمنّيها، وهب لي بجودك مقصّراتِ تَجنّيها.

إلهي أَلقَتني الحسنات بين جودك وكرمك، وأَلقَتني السيِّئات بين عفوك ومغفرتك، وقد رَجوت أن لا يَضيع بين ذَين وذَين مسيء ومحسن.

إلهي إذا شهد لي الإيمان بتوحيدك، وانطلق لساني بتمجيدك، ودلَّني القرآن على فضائل جودك، فكيف لا يبتهج رجائي بحسن مَوعدك؟.

إلهي تَتابُع إحسانك يُدلُّني على حسن نظرك، فكيف يشقى امرؤٌ أولَيته منك حسن النظر؟.

إلهي إن نظرتْ إليَّ بالهلكة عيون سخطك، فما نامتْ عن استنقاذي منه عيون رحمتك؟.

إلهي إن عَرَّضَني ذنبي لعقابك، فقد أدناني رجائي من ثوابك.

يا من لا يُخاف إلّا عدله

إلهي إن غفرتَ فبفضلك، وإن عذّبتَ فبعدلك، فيا من لا يُرجى إلّا فضله، ولا يُخاف إلّا عدله، صلّ على محمّد وآل محمّد، وامنُن عليَّ بفضلك، ولا تَستَقص عليّ عدلك.

إلهي خلقتَ لي جسماً، وجعلت لي فيه آلات، أُطيعك بها وأَعصيك، وأُغضبك بها وأُرضيك، وجعلتَ لي من نفسي داعياً إلى الشهوات، وأسكنتَني داراً مُلِئت من الآفات، وقلت لي: ازدَجر، فبك أَعتصم، وبك أَحترز، وأَستوفقك لما يُرضيك، وأسألك فإن سؤالي لا يُحفيك.

إلهي لو عرفتُ اعتذاراً وتنصُّلاً هو أبلغ من الاعتراف به لأَتَيته، فهب لي ذنبي بالاعتراف، ولا ترُدَّني في طلبي بالخيبة عند الانصراف.

الهي كأني بنفسي قد أُضجعت في حفرتها، وانصرف عنها المشيِّعون من عشيرتها، وناداها من شفير القبر ذوُو مَوَدَّتها ورحِمها، المعادي لها في الحياة عند صَرعَتها، ولم يَخفَ على الناظرين إليها ذُلُّ فاقتها، ولا على من قد رآها تَوَسّدت الثرى عَجز حِيلتها، فقلتَ: ملائكتي فريد نأى عنه الأقربون، ووحيد جفاه الأهلون، وخذله المؤمّلون، نزل بي قريباً، وأصبح في اللحْد غريباً، وقد كان لي في دار الدنيا راعياً، ولنظري إليه في هذا اليوم راجياً، فتُحسِن عند ذلك ضيافتي، وتكون أشفق عليَّ من أهلي وقرابتي.

لا تفضحني يوم ألقاك

إلهي سَترتَ عليّ في الدنيا ذنوباً ولم تظهرها، فلا تفضحني يوم ألقاك على رؤوس العالمين، واسترها عليَّ هناك يا أرحم الراحمين.

إلهي لو طبّقتْ ذنوبي بين السماء والأرض، وخَرقت النجوم، وبَلغتْ أسفل الثرى، ما ردّني اليأس عن توقّع غفرانك، ولا صرفني القنوط عن انتظار رضوانك.

إلهي سعتْ نفسي إليك لنفسي تَستَوهبها، وفتحتْ أفواه أملها تَستَوجبها، فهب لها ما سألتْ، وجد لها بما طلبتْ، فإنك أكرم الأكرمين، بتحقيق أمل الآملين.

إلهي قد أصبتُ من الذنوب ما عرفتَ، وأسرفتُ على نفسي بما قد علمتَ، فاجعلني عبداً لك إمّا طائعاً فأكرمته، وإمّا عاصياً فرحِمْته.

إلهي دَعَوتُك بالدعاء الذي علَّمتَني، فلا تَحرمني من حِبائك الذي عَرّفتني، فمن النعمة أن هديتني لحسن دعائك، ومن تمامها أن توجب لي محمود جزائك.

إلهي انتظرتُ عفوك كما يَنتظر المسيئون، ولستُ أيأسُ من رحمتك الّتي يتوقّعها المحسنون.

جودك بسط أملي

إلهي جودك بسط أملي، وشكرك قبل عملي، فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد وبشّرني بلقائك، وأعظم رجائي لجزائك.

إلهي أنت الكريم الذي لا يَخيب لديك أمل الآملين، ولا يَبطُل عندك سَبق السابقين.

إلهي إن كنتُ لم أستحقّ معروفك ولم أَستوجبه، فكن أنت أهل التفضّل به عليّ، فالكريم لم يَضع معروفه عند كلّ من يَستَوجبه.

إلهي مسكنتي لا يَجبُرُها إلّا عطاؤك، وأُمنيّتي لا يُغنيها إلّا نعماؤك.

إلهي استوفقك لما يُدنيني منك، وأعوذ بك مما يَصرفني عنك.

إلهي أَحبّ الأُمور إلى نفسي، وأَعوَدُها عليَّ منفعة، ما أرشَدتَها بهدايتك إليه، ودَللتَها برحمتك عليه، فاستعملها بذلك عنِّي، إذ أنت أرحم بها منّي.

إلهي أرجوك رجاء من يَخافك، وأخافك خَوف من يَرجو ثَوابك، فقِني بالخوف شرّ ما أحذر، واعْطني بالرجاء خير ما أُحاذِر.

إلهي انتظرتُ عفوك كما ينتظر المذنبون، ولستُ آيِساً من رحمتك الّتي يَتوقَّعها المحسنون.

حقيق لمن دعاك أن تُجيبه

إلهي مددتُ إليك يداً بالذنوب مأسورة، وعيناً بالرجاء مَذرورَة. وحقيق لمن دعاك بالندم تذلُّلاً، أن تُجيب له بالكرم تفضّلاً.

الهي إن عَرَّضَتني ذنوبي لعقابك، فقد أدناني رجائي من ثوابك.

إلهي لم أُسلِّط على حُسن ظنّي بك قنوط الآيسين، فلا تُبطِل صِدق رجائي بك بين الآملين.

إلهي إن انقرضتْ بغير ما أحببتُ من السعي أيّامي، فبالإيمان أمضتْها الماضياتُ من أعوامي.

إلهي إن أخطأتُ طريق النظر لنفسي بما فيه كرامتها، فقد أصبتُ طريق الفَزَع إليك بما فيه سلامتها.

إلهي ما أضْيق الطريق على من لم تكن أنت دليله، وما أوحش المسلك على من لم تكن أنت أنيسه.

إلهي انهملتْ عَبَراتي حين ذكرتُ خطيئاتي، وما لها لا تَنهمل ولا أدري ما يكون إليه مصيري؟ أو ماذا يَهجِم عليه عند البلاغ مَسيري؟ وأرى نفسي تُخاتلني، وأيامي تخادعني، وقد خَفَقَتْ فوق رأسي أجنحة الموت، ورمتني من قريب أعيُن الفوت، فما عُذري وقد أوجس في مسامعي رافع الصوت، لقد رجوتُ ممن ألبسني بين الأحياء ثوب عافيته، أن لا يُعرِيَني منه بين الأموات بجود رأفته، ولقد رجوتُ حين تَوَلّاني باقي حياتي بإحسانه، أن يُسعِفني عند وفاتي بغُفرانه.

يا أنيس كلّ غريب

يا أنيس كلّ غريب آنِس في القبر وحشتي، ويا ثاني كلّ وحيد ارحم في القبر وَحدَتي.

يا عالم السرّ وأخفى، ويا كاشف الضرّ والبَلوَى، كيف نظرك لي من بين ساكني الثرى؟ وكيف صنعك بي في دار الوحشة والبِلى؟ قد كنت بي لطيفاً أيام حياة الدنيا.

يا أفضل المنعمين في آلائه، وأنعم المفضلين في نعمائه، كثُرتْ عندي أياديك فعجزتُ عن إحصائها، وضِقتُ ذرعاً في شُكري لك بجزائها، فلك الحمد على ما أَولَيتَ، ولك الشكر على ما أَبلَيتَ.

يا أفضل من رجاه راج

يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، بذمّة الإسلام أقبلتُ إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبمحمّد ﷺ أتقرب إليك.

فصلّ على محمّد وعلى آل محمّد، واعْرف لي ذمّتي التي بها رجوتُ قضاء حاجتي، واستعملني بطاعتك، واختم لي بخير، وأَعتقني من النار، وأَسكِنّي الجنَّة، ولا تفضحني بسريرتي حيّاً ولا ميِّتاً، وهب لي الذنوب الّتي فيما بيني وبينك، وأَرضِ عبادك عني في مظالمهم قِبَلي، واجعلني ممن رضيتَ عنه فحرّمتَه على النار والعذاب، وأصلح لي كلّ أُموري، التي دعوتُك فيها في الآخرة والدنيا.

يا حنّان يا منّان، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيّ يا قيّوم، يا من له الخلق والأمر، تباركتَ يا أحسن الخالقين، يا رحيم، يا كريم، يا قدير، صلّ على محمّد وعلى آله الطيّبين، وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته، إنّه حميد مجيد.

مناقضات

ضعوا تيجان المفاخرة[١]

ومن خطبة لـه عليه السلام لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وخاطبه العبّاس وأبو سفيان بن حرب في أن يبايعا لـه بالخلافة.

أَيُّهَا النَّاسُ، شُقُّوا أَمْوَاجَ الْفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ.

الإنسان بين مناوئيه

فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا وَالَّتِي، وَاللَّهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥)، وبحار الأنوار: ج٢٨ ص٢٣٣ ـ ٢٣٤ ب٤ ح٢٠.

أضرب بالسامع المطيع، العاصي المريب(١)

ومن خطبة لـه عليه السلام لمّا أشير عليه بأن لا يتبع طلحة والزبير، ولا يرصد لهما القتال:

وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا، وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا، وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ، وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَداً، حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي. فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعاً عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَراً عَلَيَّ، مُنْذُ قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا.

باض الشيطان وفرّخ في صدورهم(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكاً، وَاتَّخَذَهُمْ لـه أَشْرَاكاً، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ، فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ، وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

لقد أقرّ بالبيعة(٣)

ومن كلام لـه عليه السلام يعني به الزبير في حالٍ اقتضت ذلك:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٦)، والأمالي للطوسي: ج١ ص٥٢ المجلس ٢ ح٦٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧)، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص٢١١ ب٣٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨)، والجمل للشيخ المفيد: ص٣٢٧ خطبة الحسن.

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ، فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ، فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ.

أصحاب الشعارات البرّاقة(١)

ومن كلام لـه عليه السلام :

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هَذَيْنِ الأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ، وَلَسْنَا نُرْعِدُ حَتَّى نُوقِعَ، وَلَا نُسِيلُ حَتَّى نُمْطِرَ.

الشيطان قد جمع حزبه(٢)

ومن خطبة لـه عليه السلام :

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ، وَايْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ، لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

كنتم جند المرأة(٣)

ومن كلام لـه عليه السلام في ذمّ أهل البصرة :

كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ، وَأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ، وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ، أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ، وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ، وَالْمُقِيمُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٩)، والجمل للشيخ المفيد: ص٣٣١ خطبة أمير المؤمنين.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠)، والإرشاد: ج١ ص٢٥١ ومن كلامه حين نهض متوجهاً من ذي قار إلى البصرة.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣)، والجمل للشيخ المفيد: ص٤٠٧ خطبة أمير المؤمنين في ذمّ أهل البصرة، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج١ ص٢٥١ الخطبة رقم (١٣).

بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، قَدْ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا، وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا.

وفي رواية: وَايْمُ اللَّهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ، أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ.

وفي رواية: كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

وفي رواية أخرى: بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللَّهِ تُرْبَةً، أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ، الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ، وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللَّهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هَذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ، حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ، كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ.

خفَّت عقولكم(١)

ومن كلام له عليه السلام في مثل ذلك:

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمَاءِ، بَعِيدَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، خَفَّتْ عُقُولُكُمْ، وَسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ، فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ.

ما يدريك يا عليَّ مما لي(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله للأشعث بن قيس وهو على منبر الكوفة

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤)، والجمل للشيخ المفيد: ص٤٠٧ خطبة أمير المؤمنين في ذمّ أهل البصرة، وغرر الحكم ودرر الكلم: ص١٢٣ ق١ ب٥ ف٢ ذم زمانه وأهل زمانه ح٢١٣٥.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٩)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٤٣١ ب٢٦ ح٦٤٠.

يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه، فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عليك لا لك. فخفض عليه السلام إليه بصره وقال ما يلي:

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي، عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ، حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ، مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالإِسْلَامُ أُخْرَى، فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ، وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ الأَقْرَبُ، وَلَا يَأْمَنَهُ الأَبْعَدُ.

مع أصحاب الجمل(١)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ، وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ، لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ، وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ.

وَاللَّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفاً، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ، فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ، يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فَطَمَتْ، وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ.

يا خيبة الداعي

يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا؟ وَإِلَامَ أُجِيبَ؟ وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٢)، والجمل للشيخ المفيد: ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ خطبة أخرى لأمير المؤمنين بذي قار.

الْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ، وَمِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ، هَبِلَتْهُمُ الْهَبُولُ، لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

العرب قبل البعثة(١)

ومن خطبة له عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ، وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ.

الناس بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ، وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ.

بين معاوية وعمرو بن العاص

وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً، فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ، وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٦)، وكشف المحجة للسيد ابن طاوس: ١٧٣ ـ ١٧٤ عندما سأله الناس عما لا يعنيهم بعد انصرافه من صفين، والغارات: ج١ ص١٩٩ ـ ٢٠٠ رسالة أمير المؤمنين إلى أصحابه.

فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا، وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا، فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا، وَعَلَا سَنَاهَا، وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

عندما أغار الضحاك على أطراف البلاد[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، الْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ، كَلَامُكُمْ يُوهِي الصُّمَّ الصِّلَابَ، وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ الأَعْدَاءَ، تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ: كَيْتَ وَكَيْتَ، فَإِذَا جَاءَ الْقِتَالُ قُلْتُمْ: حِيدِي حَيَادِ، مَا عَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ، وَلَا اسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ، أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ، وَسَأَلْتُمُونِي التَّطْوِيلَ، دِفَاعَ ذِي الدَّيْنِ الْمَطُولِ، لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الذَّلِيلُ، وَلَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ، أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ؟ وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ؟.

المغرور من غررتموه

الْمَغْرُورُ وَاللَّهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ بِالسَّهْمِ الأَخْيَبِ، وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ، أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ لَا أُصَدِّقُ قَوْلَكُمْ، وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ، وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ، مَا بَالُكُمْ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ؟ مَا طِبُّكُمْ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ! أَقَوْلاً بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ؟ وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ؟!

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٩)، والاختصاص: ص١٥٣ من كتاب ابن دأب في فضل أمير المؤمنين، وأنساب الأشراف: ص٣٨٠ ـ ٣٨١ خطبته في توبيخ أصحابه على تفرقهم عنه.

الحكّام إذا استأثروا[(١)]

ومن كلام لـه عليه السلام في معنى قَتل عثمان.

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي.

وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ: اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ الأَثَرَةَ، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ الْجَزَعَ، وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي الْمُسْتَأْثِرِ وَالْجَازِعِ.

لا تلقينّ طلحة[(٢)]

ومن كلام لـه عليه السلام لابن العباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل:

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصاً قَرْنَهُ، يَرْكَبُ الصَّعْبَ، وَيَقُولُ هُوَ الذَّلُولُ، وَلَكِنِ الْقَ الزُّبَيْرَ، فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً، فَقُلْ لَهُ: يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ: عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ؟ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا؟[(٣)]

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٠)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص٤١٨ ومن كتاب له إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين، وبحار الأنوار: ج٣١ ص٤٩٩ ب٣٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣١)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج٢ ص١٦٢ الخطبة رقم (٣١).

(٣) قال الشريف الرضي: وهو أوّل من سُمعت منه هذه الكلمة، أعني: «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا».

منيت بمن لا يطيع[١]

ومن خطبة له عليه السلام:

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ، وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ، لا أَبَا لَكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ؟ أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ، وَلَا حَمِيَّةَ تُحْمِشُكُمْ، أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخاً، وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثاً، فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلاً، وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْراً، حَتَّى تَكَشَّفَ الأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءَةِ، فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ، وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ، دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ الْجَمَلِ الأَسَرِّ، وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ النِّضْوِ الأَدْبَرِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ[٢] ضَعِيفٌ ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[٣].

المارقون وشعارهم[٤]

ومن خطبة له عليه السلام قالها في الخوارج لما سمع قولهم: (لا حكم إلا لله):

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ!

نَعَمْ، إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ، وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٣٩)، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص٣٢ ـ ٣٣ ب٣١.

(٢) قال الشريف الرضي: أقول: قوله: مُتَذَائِبٌ، أي: مضطرب من قولهم: تذاءبت الريح أي: اضطرب هبوبها، ومنه سمي الذئب ذئباً، لاضطراب مشيته.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٠)، وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم: ص٤٨٩ خطبة علي في التحكيم.

الْكَافِرُ، وَيُبَلِّغُ اللَّهُ فِيهَا الأَجَلَ، وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ، وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ، وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ، حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ.

وفي رواية أخرى أنه عليه السلام لما سمع تحكيمهم قال:

حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ.

وقال: أَمَّا الإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ، وَأَمَّا الإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ، إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ، وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ.

الغدر: سياسة الفجرة(١)

ومن خطبة له عليه السلام :

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ، وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ، وَمَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ، وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً، وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ، مَا لَهُمْ؟ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ! قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهَا مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَنَهْيِهِ، فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَه فِي الدِّينِ.

قبّح الله مَصقلة(٢)

ومن كلام له عليه السلام لما هرب مصقلة بن هبيرة الشيباني إلى معاوية،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤١) ومستدرك الوسائل: ج١١ص٤٧ ب١٩ ح١٢٣٩٧، وخصائص الأئمة: ص٩٧ ومن كلامه القصير في فنون البلاغة.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٤٤) والغارات: ج٢ ص٢٤٦ خبر بني ناجية.

وكان قد ابتاع سبي بني ناجية من عامل أمير المؤمنين عليه السلام وأعتقهم، فلما طالبه بالمال خاس به وهرب إلى الشام:

قَبَّحَ اللَّهُ مَصْقَلَةَ، فَعَلَ فِعْلَ السَّادَةِ، وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ، فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ، وَلَوْ أَقَامَ لأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ.

مع الخوارج المارقين[1]

ومن كلام له عليه السلام كلّم به الخوارج:

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آثِرٌ[2]، أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللَّهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ؟ لَـ ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3].

فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الأَعْقَابِ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً، وَسَيْفاً قَاطِعاً، وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً.

إنّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فأملصت[4]

ومن كلام له عليه السلام في ذمّ أهل العراق:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٥٨) والمسترشد للطبري الإمامي: ص٦٧٢ ح٣٤٢، وأنساب الأشراف: ص٣٨١ خطبته في توبيخ أصحابه على تفرقهم عنه.

(٢) قال الشريف الرضي: قوله: وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ، يروى على ثلاثة أوجه:
أحدها: أن يكون كما ذكرناه (آبر) بالراء، من قولهم للذي يأبر النخل أي يصلحه.
ويروى: آثر وهو الذي يأثر الحديث ويرويه أي: يحكيه، وهو أصح الوجوه عندي، كأنه قال: لا بقي منكم مخبر.
ويروى: آبز بالزاي المعجمة، وهو الواثب والهالك أيضاً يقال له: آبز.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٦.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧١)، وبحار الأنوار: ج٣٤ ص١٠٣ ـ ١٠٤ ب٣١.

أَمَّا بَعْدُ، يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ، فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ، حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ، وَمَاتَ قَيِّمُهَا، وَطَالَ تَأَيُّمُهَا، وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا.

أَمَا وَاللَّهِ مَا أَتَيْتُكُمُ اخْتِيَاراً، وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقاً، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ: عَلِيٌّ يَكْذِبُ!.

قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ؟

أَعَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ؟

أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ؟

كَلَّا وَاللَّهِ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا، وَيْلُ أُمِّهِ كَيْلاً بِغَيْرِ ثَمَنٍ، لَوْ كَانَ لَه وِعَاءٌ ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾(١).

مع أصحاب الشورى(٢)

ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان:

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي، وَوَاللَّهِ لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً، الْتِمَاساً لِأَجْرِ ذَلِكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهْداً فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ.

بنو أمية وتُهمة الأبرياء(٣)

ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتّهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان:

---

(١) سورة ص، الآية: ٨٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٤)، وبحار الأنوار: ج٢٩ ص٦١٢ ب١٥ بيان.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٥)، والنهاية لابن الأثير: ج٤ ص٤٦ حرف القاف باب القاف مع الراء.

أَوَ لَمْ يَنْهَ بَنِي أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي؟ أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي؟ وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي.

أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ، وَخَصِيمُ النَّاكِثِينَ الْمُرْتَابِينَ، وَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ، وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ.

مع بني أُميّة(١)

ومن كلام لـه عليه السلام :

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله تَفْوِيقاً، وَاللَّهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ(٢).

مطايا الخطيئات(٣)

فَعِنْدَ ذَلِكَ لا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً، فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَهُمْ فِي السَّمَاءِ عَاذِرٌ، وَلَا فِي الأَرْضِ نَاصِرٌ.

أَصْفَيْتُمْ بِالأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ، وَسَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَ، مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ، وَمَشْرَباً بِمَشْرَبٍ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ، وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ، وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ، وَدِثَارِ السَّيْفِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٧٧)، والنهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤٨٠ حرف الفاء باب الفاء مع الواو.

(٢) قال الشريف الرضي: ويروى: التراب الوذمة، وهو على القلب، وقوله: لَيُفَوِّقُونَنِي، أي: يعطونني من المال قليلاً كفواق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها. والوذام جمع وِذِمة، وهي: الحُزّة من الكَرِش أو الكَبِد تقع في التراب فتُنفض.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٥٨)، والكافي: ج٨ ص١٧٣ ـ ١٧٦ خطبة لأمير المؤمنين ح١٩٣.

وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ، وَزَوَامِلُ الآثَامِ، فَأُقْسِمُ، ثُمَّ أُقْسِمُ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ، ثُمَّ لا تَذُوقُهَا وَلَا تَطْعَمُ بِطَعْمِهَا، أَبَداً مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ.

عجباً لابن النابغة(١)

ومن كلام لـه عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص:

عَجَباً لِابْنِ النَّابِغَةِ! يَزْعُمُ لِأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً، وَأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ، أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ.

لَقَدْ قَالَ بَاطِلاً وَنَطَقَ آثِماً، أَمَا وَشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ، وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ، وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ، وَيَخُونُ الْعَهْدَ، وَيَقْطَعُ الإِلَّ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ؟! مَا لَمْ تَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَرْمَ سُبَّتَهُ.

أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعِبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً.

جبّارو الدهر وطغاته(٢)

ومن كلام لـه عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ، إِلَّا بَعْدَ تَمْهِيلٍ وَرَخَاءٍ،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٤)، والأمالي للطوسي: ص١٣١ ـ ١٣٢ المجلس ٥ ح٢٠٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٨)، والكافي: ج٨ ص٦٣ ـ ٦٤ خطبة لأمير المؤمنين ح٢٢، والنهاية لابن الأثير: ج١ ص٤٩ حرف الهمزة باب الهمزة مع السين.

وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ، إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ، وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ، وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ، وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ ذِي نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ.

العجب من الأحزاب والفرق المتناحرة

فَيَا عَجَباً! وَمَا لِيَ لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَإِ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا! لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ، الْمَعْرُوفُ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ فِي الْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهِمَّاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ، وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ.

عصر ما قبل البعثة(١)

ومن كلام له عليه السلام :

أَرْسَلَهُ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، وَاعْتِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ، وَانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وَتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ النُّورِ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا، وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا، وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٨٩)، والكافي: ج١ ص٦٠ ـ ٦١ باب الرد إلى الكتاب والسنة ح٧، وتفسير القمي: ج١ ص٢ ـ ٣ مقدمة المصنف.

الرَّدَى، فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا، عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ، وَطَعَامُهَا الْجِيفَةُ، وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ.

فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ، وَاذْكُرُوا تِيكَ الَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ، وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ، وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ الْعُهُودُ، وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الأَحْقَابُ وَالْقُرُونُ، وَمَا أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ.

لقد نزلت بكم البلية

وَاللَّهِ مَا أَسْمَعَكُمُ الرَّسُولُ ﷺ شَيْئاً إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا مُسْمِعُكُمُوهُ، وَمَا أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِكُمْ بِالأَمْسِ، وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ الأَبْصَارُ، وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هَذَا الزَّمَانِ، وَوَاللَّهِ مَا بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ، وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا، رِخْواً بِطَانُهَا، فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ، إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ.

البشير النذير(١)

ومن كلام له عليه السلام :

حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّداً ﷺ شَهِيداً وَبَشِيراً وَنَذِيراً، خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلاً، وَأَنْجَبَهَا كَهْلاً، وَأَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٠٥)، وتفسير القمي: ج١ ص٣٨٤ سورة النحل، والإرشاد: ج١ ص٢٧٦ ومن كلامه في مقام آخر.

بنو أمية ومصادرة أتعاب الرسول صلى الله عليه وآله

فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا فِي لَذَّتِهَا، وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلاً خِطَامُهَا، قَلِقاً وَضِينُهَا، قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ، وَحَلَالُهَا بَعِيداً غَيْرَ مَوْجُودٍ، وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللَّهِ ظِلّاً مَمْدُوداً إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، فَالأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ.

الدماء والحقوق التي أهدرها بنو أمية

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِراً، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِباً، وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ، وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ.

أبصر الأبصار

أَلَا إِنَّ أَبْصَرَ الأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ، أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ، اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ، وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ.

عِبَادَ اللَّهِ، لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهَذَا الْمَنْزِلِ نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى ظَهْرِهِ مِنْ

مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ، لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَا لَا يَلْتَصِقُ، وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ.

فَاللَّهَ اللَّهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لا يُشْكِي شَجْوَكُمْ، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أَبْرَمَ لَكُمْ.

من وظائف الإمام العادل

إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ: الإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالِاجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا، فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي.

البخلاء بالنفس والمال(١)

ومن كلام لـه عليه السلام :

فَلَا أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا، تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ، وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ، فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ.

مع المستهترين والمتكبّرين(٢)

ومن كلام لـه عليه السلام قاله للمغيرة بن الأخنس حين قال لعثمان ـ يتهدّد الإمام عليه السلام ـ: أنا أكفيكه :

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١١٧).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٣٥)، وبحار الأنوار: ج٣١ ص٤٧٢ ب٢٨.

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِينِي؟ فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ، اخْرُجْ عَنَّا، أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ، فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

الرقيبان المتنافسان على الدنيا[1]

ومن خطبة لـه عليه السلام يصف فيها الناكثين وعلى رأسهم طلحة والزبير:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الأَمْرَ لَهُ، وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ، لَا يَمُتَّانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلٍ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ لِصَاحِبِهِ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ.

وَاللَّهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا، وَلَيَأْتِيَنَّ هَذَا عَلَى هَذَا، قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ؟ فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ، وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ، وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ.

وَاللَّهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ، يَسْمَعُ النَّاعِيَ، وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ، ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ.

إنها كانت أَثَرَة[2]

ومن كلام لـه عليه السلام قاله لبعض أصحابه وقد سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟:

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٤٨)، والإرشاد: ج١ ص٢٤٦ ـ ٢٤٧.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٦٢)، وعلل الشرائع: ج١ ص١٤٥ ـ ١٤٦ ب١٢١ ح٢، والفصول المختارة: ص٧٧.

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ، إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ، تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ، وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ: أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهَذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الأَعْلَوْنَ نَسَباً، وَالأَشَدُّونَ بِالرَّسُولِ ﷺ نَوْطاً، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ، وَالْحَكَمُ اللَّهُ، وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ.

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ   وَلَكِنْ حَدِيثاً مَا حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ

حاول القوم إطفاء نور الله

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ، وَلَا غَرْوَ وَاللَّهِ، فَيَا لـه خَطْباً! يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الأَوَدَ، حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ مِنْ مِصبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً، فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1].

الحمد لله الذي لا يحجبه شيء[2]

ومن خطبة لـه عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً، وَلَا أَرْضٌ أَرْضاً.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٢)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص٤١٦ ومن كتاب له إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين، والإمامة والسياسة: ص ١٧٦ ما كتب علي لأهل العراق.

أنتم تحولون بيني وبين حقّي

وَقَدْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّكَ عَلَى هَذَا الأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ!

فَقُلْتُ: بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقّاً لِي، وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ، فَلَمَّا قَرَّعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلأِ الْحَاضِرِينَ، هَبَّ كَأَنَّهُ بُهِتَ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ!

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي، ثُمَّ قَالُوا: أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ.

خرجوا يَجرّون حُرمة الرسول صلى الله عليه وآله

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا، فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ، وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعاً غَيْرَ مُكْرَهٍ.

فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا، وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا، فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْراً، وَطَائِفَةً غَدْراً، فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلاً وَاحِداً مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ، إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا، وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا بِيَدٍ، دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ.

أراد أن يُغالط ليُلبس الأمر[١]

ومن كلام لـه عليه السلام في طلحة بن عبيد الله :

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ، وَاللَّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ، إِلَّا خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيَلْتَبِسَ الأَمْرُ، وَيَقَعَ الشَّكُّ.

لماذا لم يفعل إحدى ثلاث؟

وَوَاللَّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ :

لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً كَمَا كَانَ يَزْعُمُ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لـه أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ، وَأَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لـه أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لـه أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلَاثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٧٤)، والأمالي للطوسي: ص١٦٩ ـ ١٧٤ المجلس ٦ ح٢٨٤، والغدير: ج٩ ص٩١ حديث طلحة بن عبيد الله.

أيّتها الفرقة المتخاذلة[١]

ومن خطبة لـه عليه السلام في ذم المتثبّطين من أصحابه:

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ، وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ.

أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ، الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ، إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ، وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ، لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ! مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ، وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ؟.

الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ! فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَومِي - وَلَيَأْتِيَنِّي - لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنِكُمْ، وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ.

أما دين يجمعكم؟

لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ؟ وَلا حَمِيَّةٌ تَشْحَذُكُمْ، أَوَ لَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ، وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الإِسْلَامِ، وَبَقِيَّةُ النَّاسِ - إِلَى الْمَعُونَةِ، أَوْ طَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ، فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي، وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ؟!

إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضاً فَتَرْضَوْنَهُ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ، قَدْ دَارَسْتُكُمُ الْكِتَابَ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ، لَوْ كَانَ الأَعْمَى

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٠)، والنهاية لابن الأثير: ج١ ص١٨٤ حرف التاء باب التاء مع الراء.

يَلْحَظُ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ!! وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ.

مع الملتحقين بالخوارج(١)

ومن كلام له عليه السلام وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ له عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ، قَدْ هَمُّوا بِاللِّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ، وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عليه السلام، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا، أَمْ جَبَنُوا فَظَعَنُوا؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ مَا يَلِي:

بُعْداً لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ، أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ! لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ، إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ، وَهُوَ غَداً مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ، وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ، فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ.

قبّحك الله يا أثرم!(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي، وقد قال له بحيث يسمعه: «لا حكم إلّا للّه»، وكان من الخوارج:

اسْكُتْ، قَبَحَكَ اللَّهُ يَا أَثْرَمُ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلاً شَخْصُكَ، خَفِيّاً صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمْتَ نُجُومَ قَرْنِ الْمَاعِزِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨١)، والغارات: ج١ ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ خبر بني ناجية.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (١٨٤).

لكنّه يغدر ويفجر[1]

ومن كلام لـه عليه السلام :

وَاللَّهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ، وَلَوْلا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ، وَلَكِنْ كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وَكُلُّ فُجرَةٍ كُفَرَةٌ، وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ، وَلا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ.

لقد أظهرتما يسيراً وأخفيتما كثيراً[2]

ومن كلام لـه عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما، والاستعانة في الأمور بهما :

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً، أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ كَانَ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ؟ أَمْ أَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ؟ أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ؟.

وَاللَّهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ، وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا اسْتَنَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم فَاقْتَدَيْتُهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلا عَنْ غَيْرِكُمَا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٠)، والكافي: ج٢ ص٣٣٨ باب المكر والغدر والخديعة ح٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٠٥)، ونقض العثمانية للإسكافي على ما في شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١١ ص١٤ من أخبار طلحة والزبير.

التفضيل في العطاء: بدعة

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا ـ وَاللَّهِ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا ـ فِي هَذَا عُتْبَى، أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ.

ثم قال عليه السلام : رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً رَأَى حَقّاً فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

إن قريشاً قطعوا رحمي(١)

ومن كلام له عليه السلام :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَؤُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً.

فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ، وَلَا ذَابٌّ، وَلَا مُسَاعِدٌ، إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي، فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ، فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ وَخْزِ الشِّفَارِ.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٧)، والجمل للشيخ المفيد: ص١٢٣و١٧٠.

لقد عاثوا في الأرض الفساد[١]

ومن كلام لـه عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام :

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي، وَخُزَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدَيَّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ، وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ.

ليسوا من المهاجرين والأنصار[٢]

ومن كلام لـه عليه السلام في شأن الحكمين، وذم أهل الشام :

جُفَاةٌ طَغَامٌ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ، جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ، مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ، وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالإِيمانَ.

شتان ما بين الاختيارين

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تُحِبُّونَ، وَإِنَّكُمُ اخْتَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢١٨)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص٤٢٠ ومن كتاب له إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين، والإمامة والسياسة: ص ١٧٦ ما كتب علي لأهل العراق.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة رقم (٢٣٨)، والمسترشد للطبري الإمامي: ص٤٢٦ ومن كتاب له إلى من قرأ من المؤمنين والمسلمين.

قَيْسٍ بِالأَمْسِ يَقُولُ: «إِنَّهَا فِتْنَةٌ، فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ، وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ»، فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ، وَإِنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ، فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، وَخُذُوا مَهَلَ الأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الإِسْلَامِ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى.

كتاب امرئ ليس لـــه بصر(١)

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى معاوية أيضاً:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لـه بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ، وَقَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خَابِطاً.

الخارج من البيعة بعد تمامها

لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ، لا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

ليس المهاجر كالطليق(٢)

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه:

وَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ: فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٧)، وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم: ص٥٧ ـ ٥٨ كتاب علي إلى معاوية.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ، أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ.

وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ: فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُكَ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ، فَكَذَلِكَ نَحْنُ، وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ، وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ، وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ، وَلَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ.

لا تجعل للشيطان فيك نصيباً

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ، الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ، وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ، وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً، وَأَسْلَمَتْ لَه هَذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً، كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ: إِمَّا رَغْبَةً، وَإِمَّا رَهْبَةً، عَلَى حِينَ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ، فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً، وَالسَّلَامُ.

ما أنت والفاضل والمفضول؟[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللَّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله لِدِينِهِ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً، إِذْ

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٢٨)، وكتاب وقعة صفين لابن مزاحم: ص٨٨ ـ ٩١ كتاب علي إلى معاوية، وأنساب الأشراف: ص٢٧٩ ـ ٢٨٢ جواب أمير المؤمنين لكتاب معاوية.

طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاءِ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَنَا، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا، فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ، أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ.

وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ، وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ، وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ، وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ؟.

إنّك يا معاوية لذهّاب في التيه

هَيْهَاتَ، لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ لَهَا، أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ؟ وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ، وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ! فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ، وَلَا ظَفَرُ الظَّافِرِ، وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ، رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ.

بنعمة اللّه أحدّث

أَلَا تَرَى ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ، وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ! حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا قِيلَ: «سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ»، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاتِهِ عَلَيْهِ؟.

أَوَ لا تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِّعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ! حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ قِيلَ: «الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ، وَذُو الْجَنَاحَيْنِ»، وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً، تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ.

إنّا صنائع ربّنا

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا، لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمُ عِزِّنَا، وَلَا عَادِيُّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ، أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا، فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الأَكْفَاءِ، وَلَسْتُمْ هُنَاكَ وَأَنَّى يَكُونُ ذَلِكَ، وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الأَحْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ، فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ(١)، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾(٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٣)، فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ.

الحقّ لنا دونكم

وَلَمَّا احْتَجَّ الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الأَنْصَارِ يَوْمَ السَّقِيفَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَلَجُوا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ يَكُنِ الْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ!.

من مزاعم القاسطين

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ، فَإِنْ يَكُنْ

---

(١) أي: شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.

ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَلَيْسَتِ الْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ الْعُذْرُ إِلَيْكَ.

وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

أردتَ أن تَذُمَّ فمدحت

وَقُلْتَ: إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ الْجَمَلُ الْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ، وَلَعَمْرُ اللَّهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ! وَمَا عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ، وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ، وَهَذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا، وَلَكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا.

أيّنا كان أعدى؟

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ، فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ؟ أَمَنْ بَذَلَ لـه نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَمْ مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ، وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ؟! كَلَّا وَاللَّهِ لَـ ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾﴾[1].

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ، فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ.

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ

وَمَــــا أَرَدْتُ ﴿إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨.

لقد أضحكتَ بعد استعبار

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ! فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ؟

فَلَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ

فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ، فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ، أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، وَقَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ، وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ، ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(١).

أرديت يا معاوية جيلاً من الناس كثيراً(٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

وَأَرْدَيْتَ جِيلاً مِنَ النَّاسِ كَثِيراً، خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ، تَغْشَاهُمُ الظُّلُمَاتُ، وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ الشُّبُهَاتُ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ، وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ، إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَائِرِ؛ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ، وَهَرَبُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٣.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٢)، وشرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٦ ص١٣٢ الكتاب رقم (٣٢).

مُوَازَرَتِكَ، إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى الصَّعْبِ، وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ الْقَصْدِ.

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ، وَجَاذِبِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، فَإِنَّ الدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ، وَالآخِرَةَ قَرِيبَةٌ مِنْكَ، وَالسَّلَامُ.

دع عنك قريشاً[(١)]

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبي طالب، في ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل:

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِباً، وَنَكَصَ نَادِماً، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً، كَلَا وَلَا فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً، بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ، فَلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا.

فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي، كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم قَبْلِي، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي.

مع شاهري السلاح ومستحلّي القتال

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ رَأْيِي: قِتَالُ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ النَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً، وَلَا تَحْسَبَنَّ ابْنَ أَبِيكَ ـ وَلَوْ أَسْلَمَهُ النَّاسُ ـ مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً، وَلَا

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٦)، والإمامة والسياسة: ص٧٤ ـ ٧٦.

مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً، وَلَا سَلِسَ الزِّمَامِ لِلْقَائِدِ، وَلَا وَطِيءَ الظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ الْمُتَقَعِّدِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سَلِيمٍ:

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمَانِ صَلِيبُ
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

ما أشد لزومك للأهواء؟[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

فَسُبْحَانَ اللَّهِ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ، الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طِلْبَةٌ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ، فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ عَلَى عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ، وَالسَّلَامُ.

أذهبتَ دنياك وآخرتك[2]

ومن كتاب له عليه السلام إلى عمرو بن العاص:

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ، اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ، يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ،

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٧)، والاحتجاج: ج١ ص١٨٠ احتجاجه على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه.

(٢) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٣٩)، والاحتجاج: ج١ ص١٨٢ احتجاجه على معاوية في جواب كتاب كتبه إليه.

فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللَّهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا، وَالسَّلَامُ.

احذر معاوية فإنما هو شيطان(١)

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى زياد ابن أبيه وقد بلغه أنّ معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ، يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ، وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ، وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ، وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ، وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ.

فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ: شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ(٢).

مع القاسطين(٣)

ومن كتاب لـه عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقص فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين:

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٤٤)، وأسد الغابة: ج٢ ص٢١٥ ـ ٢١٦ ب ع س زياد.

(٢) قال الشريف الرضي: قوله: الْوَاغِلِ، هو الذي يهجم على الشُّرَّب ليشرب معهم وليس منهم، فلا يزال مدَّفعاً محاجَزاً.
وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ، هو ما يناط برجل الرّاكب من قُعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبداً يتقلقل إذا حثّ ظهره، واستعجل سيره.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٥٨)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص٣٠٦ ـ ٣٠٧ ب٢١ ح٥٥٧.

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، وَلَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا.

الأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ حَتَّى يَشْتَدَّ الأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ.

فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ، فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

فرّق بيننا وبينكم: كفركم وفتنتكم[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جواباً:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ، أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ، وَمَا

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٤)، والإمامة والسياسة: ج١ ص١٠٠ ـ ١٠١ رد الإمام علي على معاوية.

أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِزْباً.

من مزاعم معاوية

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ، وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، وَذَلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ، فَلَا عَلَيْكَ وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ.

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ، فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذَلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَ جُلْمُودِ

وَعِنْدِي السَّيْفُ الَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ.

إنّك يا معاوية الأغلف القلب

وَإِنَّكَ ـ وَاللَّهِ ـ مَا عَلِمْتُ الأَغْلَفُ الْقَلْبِ، الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ، وَالأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ: إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ، وَلَا فِي مَعْدِنِهِ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ!! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ، حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً، بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا الْوَغَى، وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَا.

لقد أكثرتَ في قتلة عثمان

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ، فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ، أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ.

سلكت يا معاوية مدارج أسلافك!(١)

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى معاوية أيضاً.

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الأُمُورِ، فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلافِكَ بِادِّعَائِكَ الأَبَاطِيلَ، وَاقْتِحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالأَكَاذِيبِ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا قَدِ اخْتُزِنَ دُونَكَ، فِرَاراً مِنَ الْحَقِّ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ، فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا، وَأَغْشَتِ الأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا.

أصبحتَ كالخابط في ظلام

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ، ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ، وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ، وَالْخَابِطِ فِي الدِّيمَاسِ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ الْمَرَامِ، نَازِحَةِ الأَعْلَامِ، تَقْصُرُ دُونَهَا الأَنُوقُ، وَيُحَاذَى بِهَا الْعَيُّوقُ.

---

(١) نهج البلاغة: الكتاب رقم (٦٥)، وبحار الأنوار: ج٣٣ ص١١٨ ـ ١١٩ ب١٦ ح٤١٠.

وَحَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدْراً أَوْ وِرْداً، أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً، فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَانْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ اللَّهِ، أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ الأُمُورُ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ الْيَوْمَ مَقْبُولٌ، وَالسَّلَامُ.

مصادرة الخلافة ومداولتها[1]

ومن كلام لـه عليه السلام في بث الشكوى والتظلم من قريش لما قيل لـه: لم لا تدعُ الناس إلى نفسك كي تستنقذ بهم ما غلبوك عليه من الخلافة:

إن الناس يَنظرون إلى قريش، وقريش تَنظر إلى بيتها فتقول: إن وَلِيَ عليكم بنو هاشم لم تَخرج منهم أبداً، وما كانت في غيرهم من قريش تداولتموها !.

عثمان ودم الهرمزان[2]

ومن كلام لـه عليه السلام قاله لعثمان لما تمحّل في درء الحدّ عن عبيد الله ابن عمر قاتل الهُرمزان:

أمّا أنت فمطالَب بدم الهرمزان، يوم يَعرِض الله الخلق للحساب، وأما أنا فأُقسم بالله لئن وقعتْ عيني على عبيد الله بن عمر لأخذتُ حقّ الله منه، وإن رَغِم أنف من رغم.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٤٥ الخطبة رقم (٣١)، عن تاريخ الطبري: ج٣ ص٢٩٨.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٤٦ الخطبة رقم (٣٢)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص٩٥.

تسفير الصلحاء من الصحابة(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعثمان لما أراد أن يسفّر عمار بن ياسر إلى الربذة بعد موت أبي ذر بها:

يا عثمان، اتّق الله فإنك صيّرت رجلاً صالحاً من المسلمين، فهلك في تسييرك، ثم أنت الآن تريد أن تنفي نظيره؟.

تولية السفهاء من بني أمية(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعثمان في حوار جرى بينهما:

فارجع إلى الله أبا عمرو، وانظر هل بقي من عمرك إلّا كظِمأ الحمار؟ فحتّى متى وإلى متى؟.

ألا تَنهى سفهاء بني أمية عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم؟.

والله لو ظَلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس، لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك.

من أسباب غضب الناس(٣)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعثمان حين اضطرب أمره:

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٦١ الخطبة رقم (٣٨)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج٥ ص٥٤.
(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٦٤ الخطبة رقم (٤٠)، عن شرح النهج لابن أبي الحديد: ج٩ ص١٥.
(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٦٥ الخطبة رقم (٤١)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج٥ ص٤٤.

يا عثمان، إن الحق ثقيل مريء، وإن الباطل خفيف وبيء، وإنك متى تُصدَق تَسخط، ومتى تُكذَب تَرض.

ما مروان بذي رأي في دينه(١)

ومن كلام له عليه السلام قاله لعثمان لما صرفه مروان عما قاله على المنبر، من التوبة وإحقاق الحقوق التي طالبه بها الثائرون:

يا عثمان، أما رضيت من مروان، ولا رضي منك، إلّا بتحرُّفك عن دينك، وبخَدعك عن عقلك، مثل جَمَل الظعينة، يقاد حيث يُسار به!

والله ما مروان بذي رأي في دينه، ولا في نفسه، وأّيم الله إني لأراه سيُوردك ثم لا يُصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أَذهبتَ والله شرفك، وغُلبتَ على أمرك!

السفهاء يرون المصلح مفسداً(٢)

ومن كلام له عليه السلام كلّم به بني أميّة لمّا صاحوا به وقالوا: يا علي، أفسدت علينا أمرنا:

يا سفهاء، إنّكم لتعلمون أنّه لا ناقة لي في هذا ولا جمل، وإني رددتُ أهل مصر عن عثمان، ثم أصلحتُ أمره مرّة بعد أُخرى، فما حيلتي؟!

فانصرف عليه السلام من دار عثمان، وهو يقول: اللّهمّ إني بريء مما يقولون، ومن دمه إن حَدَث به حدث.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٧٢ الخطبة رقم (٤٦)، عن كتاب الجمل للمفيد: ص١٠٣.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص١٧٤ الخطبة رقم (٤٨)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج٥ ص٦٦.

مع بني أمية وتذرّعهم بدم عثمان(١)

ومن كلام له عليه السلام في البراءة عن دم عثمان والممالاة عليه:

لو أعلم أن بني أُمية يَذهب ما في أنفسها أن أحلف لها، لحلفتُ خمسين يميناً مردّدة بين الركن والمقام: أني لم أقتل عثمان، ولم أمالئ على قتله.

تأليف القلوب: مهمة الأنبياء(٢)

ومن كلام له عليه السلام قاله عند نكث طلحة والزبير بيعته في مسيرهما إلى مكة للاجتماع مع عائشة في التأليب عليه:

أما بعد، فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم للناس كافّة، وجعله رحمة للعالمين، فصدع بأمره، وبلّغ رسالات ربّه، فلمّ به الصدع، ورتق به الفتق، وآمن به السبل، وحقن به الدماء، وألّف به بين ذوي الإحن والعداوة الواغرة في الصدور، والضغائن الراسخة في القلوب، ثم قبضه الله إليه حميداً، لم يقصِّر في الغاية التي إليها أدى الرسالة، ولا بلّغ شيئاً كان في التقصير عنه الفضل.

المتنازعون في الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وكان من بعده ما كان من التنازع في الأمر، فتولى أبو بكر وبعده عمر، ثم تولى عثمان، فلما كان من أمره ما عرفتموه أتيتموني فقلتم: بايِعنا.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٢١٥ الخطبة رقم (٦١)، عن كتاب أنساب الأشراف: ج٥ ص٨١.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٢٣٣ ـ ٢٣٥ الخطبة رقم (٦٩)، عن كتاب الإرشاد للشيخ المفيد: ص١٣٠.

فقلت: لا أفعل.

فقلتم: بلى.

فقلت: لا، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموها، وتَداككتم عليَّ تداكّ الإبل الهِيم على حِياضِها يوم وُرودها، حتّى ظننت أنكم قاتلي، وأنّ بعضكم قاتل بعضاً لديّ، فبسطتُ يدي فبايعتموني مختارين، وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرَهين.

طلحة والزبير ينكثان

ثم لم يَلبثا أن استأذناني في العُمرة، والله يعلم أنهما أرادا الغَدرة، فجدّدت عليهما العهد في الطاعة، وأن لا يبغيا الأُمة الغوائل، فعاهداني ثم لم يَفِيا لي، ونكثا بيعتي ونقضا عهدي، فعجباً لهما من انقيادهما لأبي بكر وعمر، وخلافهما لي ولست بدون أحد الرجلين!

ولو شئت أن أقول لقلت.

اللّهمّ احكم عليهما بما صنعا في حقّي، وصغّرا من أمري، وظفِّرني بهما.

ما أنصفكِ الذين أخرجوكِ[1]

ومن كلام لـه عليه السلام قاله لعائشة لما وقف عليها بعد سقوط جملها ووقوع هودجها على الأرض:

يا حميراء، أرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمركِ بهذا؟

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٣١٩ الخطبة رقم (١٠٤)، عن مروج الذهب: ج ٢ ص ٣٦٧.

ألم يأمركِ أن تقرّي في بيتكِ؟

والله ما أنصفكِ الذين أخرجوكِ، إذ صانوا عقائلهم وأبرزوكِ.

لماذا التظاهر على أمير المؤمنين عليه السلام؟[1]

ومن كلام له عليه السلام قاله بعد فتح البصرة لمن سأله عن سبب مظاهرة عائشة عليه وانحرافها عنه:

سأذكر أشياء حَقدتها عليَّ، وليس لي في واحد منها ذنب إليها، ولكنها تَجرّمت بها عليَّ.

الشيء الأول

أحدها: تفضيل رسول الله صلى الله عليه وآله لي على أبيها، وتقديمه إيّاي في مواطن الخير عليه، فكانت تَضطغن ذلك ويَصعب عليها، وتَعرفه منه وتَتَّبع رأيه فيه.

الشيء الثاني

وثانيها: لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه، آخى بين أبيها وعمر بن الخطاب، واختصّني بأُخوّته، غَلُظ ذلك عليها وحسدتني لسعدي منه.

الشيء الثالث

وثالثها: إنه أوصى (صلوات الله عليه) بسدِّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلّا بابي، فلما سدّ باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحاً

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٣٩٨ ـ ٤٠٤ الخطبة رقم (١٢١)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد.

في المسجد تكلم في ذلك بعض أهله، فقال (صلوات الله عليه): ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب عليّ، بل الله عزّ وجل سدّ أبوابكم وفتح بابه، فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه، وتكلم في أهله بشيء سمعتْه منه ابنته فاضطغنتْه عليَّ!.

الشيء الرابع

وكان رسول الله ﷺ أعطى أباها الراية يوم خيبر، وأمره أن لا يرجع حتّى يَفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم، فأعطاها في الغد عمر بن الخطّاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم ولم يلبث، فساء رسول الله ﷺ ذلك، وقال لهم ظاهراً معلناً: لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّاراً غير فرّار، لا يرجع حتّى يفتح الله على يده، فأعطاني الراية فصبرت حتّى فتح الله على يدي، فغمَّ ذلك أباها وأحزنه، فاضطغنه عليَّ، وما لي إليه ذنب في ذلك، فحقدتْ لحقد أبيها.

الشيء الخامس

وبعث رسول الله ﷺ أباها ليؤدّي سورة براءة، وأمره أن يُنبِذ العهد للمشركين، فمضى حتّى الجرف، فأوحى الله إلى نبيّه أن يرُدَّه ويأخذ منه الآيات فيسلِّمها إليَّ، فعرف أباها بإذن الله عزّ وجلّ، وكان فيما أوحى الله عزّ وجلّ إليه: أنّه لا يؤدي عنك إلّا رجل منك ـ وكنتُ من رسول الله ﷺ وكان مني ـ فاضطغن لذلك عليَّ أيضاً واتَّبعتْه عائشة في رأيه.

الشيء السادس

وكانت عائشة تمقُت خديجة بنت خُويَلد وتَشنؤها شَنآن الضرائر،

وكانت تعرف مكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فيثقُل ذلك عليها، وتعدّى مقتها إلى ابنتها فاطمة، فتمقُتني وتمقُت فاطمة وخديجة!! وهذا معروف في الضرائر.

الشيء السابع

ولقد دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم قبل أن يَضرب الحجاب على أزواجه، وكانت عائشة بقُرب من رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما رآني رحّب بي، وقال: اُدن منّي يا عليّ، ولم يزل يُدنيني حتّى أجلسني بينه وبينها، فغلظ ذلك عليها، فأقبلت إليّ وقالت ـ بسوء رأي النساء وتسرعهن إلى الخطاب ـ: ما وجدتَ لإستك يا علي موضعاً غير موضعي هذا؟!

فَزَبَرها النبي صلى الله عليه وآله وقال لها: أَلِعَلِيٍّ تقولين هذا؟

إنه والله أوّل من آمن بي وصدّقني، وأوّل الخلق وُرُوداً عليَّ الحوض، وهو آخر الناس بي عهداً، لا يبغضه أحد إلّا أكبّه الله على مَنخَره في النار، فازدادت غيظاً عليَّ!.

الشيء الثامن

ولما رُمِيَتْ بما رُمِيَتْ اشتدّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله، فاستشارني في أمرها، فقلت: يا رسول الله سل جاريتها بُريرة واستبرئ الحال منها، فإن وجدت عليها شيئاً فخلِّ سبيلها فالنساء كثيرة، فأمرني أن أتولى مسألة بُريرة، وأن أستبرئ الحال منها، ففعلت ذلكُ، فحقدتْ عليَّ، والله ما أردت بها سوءاً، لكني نصحتُ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله.

وإن شئتم فاسألوها

وأمثال ما ذكرت كثيرة، فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقمت عليَّ حتّى

خرجت مع الناكثين لبيعتي؟! وسفكتْ دماء شيعتي، وتظاهرتْ بين المسلمين بعداوتي، هل حملها على ذلك شيء إلا البغي والشقاق، والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين؟!، والله المستعان.

أوّل من أبطل حقّ ذي القربى في الخمس(١)

ومن كلام لـه عليه السلام أجاب به عبد الرحمٰن بن أبي ليلى الفقيه عندما قال له: إنّا كنّا نقول: لو رجعتْ إليكم الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينازعكم فيها أحد، وما أدري إذا سئلتُ ماذا أقول؟ أأزعم أن القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك؟ فإن قلتُ ذلك فعلامَ نصبك رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حجّة الوداع، فقال: أيها الناس، من كنت مولاه فعلي مولاه؟ وإن كنت أولى منهم بما كانوا فيه فعلامَ نتولّاهم؟! فقال أمير المؤمنين عليه السلام ما يلي:

إن الله تعالى قَبض نبيَّه صلى الله عليه وآله وأنا يوم قبضه كنت أولى الناس به منّي بقميصي هذا! وقد كان من نبي الله صلى الله عليه وآله إليَّ عهداً لو خَزَمتموني بأنفي لأقررتُ سمعاً لله وطاعة، وإن أوّل ما انتقضاه: إبطال حقّنا في الخمس، فلما رَقَّ أمرنا طَمِعت رُعيان البُهَم من قريش فينا.

لي على الناس حقّ

وقد كان لي على الناس حقّ لو رَدّوه إليَّ عفواً قبلته وقمت به، وكنت كرجل لـه على الناس حَق إلى أَجَل، فإن عجّلوا لـه ماله أخذه وحمدهم عليه، وإن أخّروه أخذه غير محمودين، وكنت كرجل يأخذ السهولة وهو عند الناس محزون.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج١ ص٤٨٥ ـ ٤٨٧ الخطبة رقم (١٤٦)، عن أمالي الشيخ المفيد: ص١٣٩.

وإنما يُعرف الهدى بقلة من يأخذه من الناس، فإذا سكتُّ فأعفوني، فإنّه لو جاء أمر تحتاجون فيه إلى الجواب أجبتكم، فكُفُّوا عني ما كففت عنكم.

فقال عبد الرحمٰن: يا أمير المؤمنين، فأنت لعمرك كما قال الأول:

لعمري لقد أيقظتَ من كان نائماً   وأسمعت من كانت له أذنان

قديماً عاداني الفاسقون[1]

ومن كلام له عليه السلام لما مرَّ على الوليد بن عقبة وجماعة من أهل الشام وهم يشتمونه:

انهَدوا إليهم وعليكم السكينة، وسيما الصالحين، ووقار الإسلام، والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجل، قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية، وابن النابغة، وأبو الأعور السُّلَميّ، وابن أبي معيط شارب الحرام، والمجلود حدّاً في الإسلام، وهم أولاء يَقومون فيَقصِبونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشَتَموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام؟ فالحمد لله ولا إله إلّا الله، وقديماً ما عاداني الفاسقون.

خدعوا شطر هذه الأمّة

إنّ هذا هو الخَطب الجليل، إن فُسّاقاً كانوا عندنا غير مرضيّين، وعلى الإسلام وأهله مُتخَوّفين، أصبحوا وقد خَدعوا شطر هذه الأُمّة، فأَشرَبوا قلوبهم حبّ الفتنة، فاستمالوا أهواءَهم بالإفك والبهتان، وقد

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢١٢ ـ ٢١٤، عن كتاب صفين: ص٣٩١، ومثله في تاريخ الطبري: ج٤ ص٣١، ورواه قبلهما سليم بن قيس في كتابه: ص١٩٥.

نصبوا لنا الحرب، وجَدّوا في إطفاء نور الله ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

اللّهمّ فإنّهم قد رَدّوا الحقّ فافضُض جمعهم، وشتِّت كلمتهم، وابسُلهم بخطاياهم، فإنّه لا يَذِلُّ من واليت، ولا يَعِزّ من عاديت.

معاوية يجدّد موقف سُهيل بن عمرو[2]

ومن كلام له عليه السلام أجاب به الأشعث بن قيس وعمرو بن العاص عند كتابة وثيقة التحكيم، وقد كتب الكاتب: هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين، فقال معاوية: بئس الرجل أنا إن أقررت أنّه أمير المؤمنين ثم قاتلته، وأصرّ على محو كلمة: (أمير المؤمنين) من الوثيقة، فأشبهت محنته عليه السلام محنة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الحديبية، فقال عليه السلام ما يلي:

لا إله إلّا الله والله أكبر، سُنّة بسُنّة، أما والله لَعلَى يدي دار هذا يوم الحُدَيبية، حين كتبتُ الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (هذا ما تصالحا عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسُهيل بن عمرو)، فقال سهيل: لا أجيبك إلى كتاب تُسمَّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو أعلم أنك رسول الله لم أُقاتلك، أني إذا ظلمتك إن منعتك أن تطوف ببيت الله وأنت رسول الله، ولكن اكتب: (محمد بن عبد الله) أجيبك.

فقال محمد صلى الله عليه وآله: يا علي، إني لرسول الله، وإني لمحمد بن عبد الله، ولن يمحو عني الرسالة كتابي إليهم: من محمد بن عبد الله، فاكتب

---

(١) سورة الصف، الآية: ٨.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢٧٣ ـ ٢٧٥، عن كتاب صفين: ص٥٠٨، وتاريخ الطبري: ج٤ ص٣٧.

محمد بن عبد الله، فراجَعَني المشركون في هذا إلى مدة، فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى آبائهم سُنّة ومَثَلاً.

مع ابن النابغة

فقال عمرو بن العاص: سبحان الله، ومثل هذا شبّهتنا بالكفّار ونحن مؤمنون؟.

فقال علي عليه السلام: يا بن النابغة، ومتى لم تكن للكافرين ولياً وللمسلمين عدوّاً؟! وهل تُشبِه إلّا أُمّك التي وضعت بك؟

فقام عمرو فقال: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس أبداً بعد هذا اليوم.

فقال علي عليه السلام: والله إني لأرجو أن يُطهّر الله عزّ وجل مجلسي منك ومن أشباهك.

إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن(١)

ومن كلام له عليه السلام مع الخوارج حين رجع إلى الكوفة وهو بعدُ بظاهرها:

هذا مقامٌ من فَلَج فيه كان أولى بالفَلَج يوم القيامة، ومن نَطِق فيه أو عَنِت فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً.

نشدتكم بالله، أتعلمون أنهم حين رفعوا المصاحف فقلتم: نُجيبهم إلى كتاب الله، قلت لكم: إني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٢٨٩ ـ ٢٩١، عن كتاب الإرشاد للشيخ المفيد: ص١٤٤، وقريب منه العقد الفريد: ج١ ص٢٤١.

دين ولا قرآن، إني صَحِبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، وكانوا شرَّ رجال وشرّ أطفال، امضوا على حقِّكم وصِدقكم، إنما رفع القوم لكم هذه المصاحف خديعة ووهناً ومكيدة.

رددتم عليَّ رأيي

فرددتم عليَّ رأيي وقلتم: لا بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم ومعصيتكم إياي.

فلما أبيتم إلّا الكتاب اشترطتُ على الحَكَمَين أن يُحييا ما أحياه القرآن، وأن يُميتا ما أماته القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حُكم من حَكَم بما في الكتاب، وإن أبيا فنحن من حُكمهما بَراء.

فقال له بعض الخوارج: فخبّرنا أتراه عدلاً تحكيم الرجال في الدماء؟

فقال عليه السلام: إنا لم نُحكّم الرجال، إنما حكّمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خطٌّ مسطور بين دَفَّتين لا ينطق، وإنما يتكلم به الرجال.

قالوا له: فخبِّرنا عن الأجل الذي قرَّرت فيما بينك وبينهم؟

فقال عليه السلام: ليتعلَّم الجاهل، ويتثبَّت العالم، ولعل الله أن يُصلح في هذه الهُدنة هذه الأمة، أُدخلوا مصركم رحمكم الله.

فرحلوا من عند آخرهم.

لكنّكم وهنتم وتفرّقتم عليَّ(١)

ومن خطبة له عليه السلام، خطب بها على المارقين بعدما خاصموه ستة

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٢ ص٣٣٥ ـ ٣٣٨، عن أنساب الأشراف: ج٢ ص٣٥٣ ح٤٢٤.

أشهر، وقالوا: شككتَ في أمرك، وحكّمتَ عدوّك ووهنتَ في الجهاد، وتأوّلوا عليه القرآن فقالوا: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾(١):

أمّا بعد، فإنّي لم أكن أُحرّضكم على هذه القضيّة وعلى التحكيم، ولكنّكم وهنتم وتفرّقتم عليّ، وخاصمني القوم بالقرآن ودَعُونا إليه، فخشيت إن أَبَيت الذي دَعَوا إليه من القرآن والحكم أن تَتأوّلوا عليَّ قول الله:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾(٢).

وتَتأوّلوا عليَّ قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾(٣).

وأن تَتأوّلوا عليَّ قوله:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾(٤).

خفتُ وهنكم وتفرّقكم

فلم آبَ عليهم التحاكم، وخشيتُ أن تقولوا: فَرَض الله في كتابه

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٩٥.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

الحكومة في أصغر الأمور، فكيف بالأمر الذي فيه سفك الدماء، وقطع الأرحام، وانتهاك الحريم؟ وخفت وهنكم وتفريقكم.

ثم قام خطباء الحرورية وأخذوا يكررون كلامهم الأول ويقولون: نحن على الأمر الذي تركتَ، وأنت اليوم على غيره، فلسنا منه منك إلّا أن تتوب منه، وتَشهد على نفسك بالضلالة.

بنا هداكم الله من الضلالة

فقال عليه السلام: أمّا أن أشهد على نفسي بالضلالة، فمعاذ الله أن أكون ارتبت منذ أسلمتُ، أو ضَللت منذ اهتديت، بل بنا هداكم الله من الضلالة، واستنقذكم من الكفر، وعصمكم من الجهالة، وإنما حكّمت الحكمين بكتاب الله، والسنّة الجامعة غير المفرقة، فإن حكما بكتاب الله كنتُ أولى بالأمر من حكمهما، وإن حكما بغير ذلك لم يكن لهما عليَّ وعليكم حكم.

ما للنساء وقَوْد العساكر؟[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى عائشة يوّبخها على خروجها:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد، فإنّكِ خرجتِ من بيتكِ عاصية لله عزّ وجل ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، تَطلبين أمراً كان عنكِ موضوعاً، ثم تَزعمين أنّكِ تريدين الإصلاح بين المسلمين، فخبّريني ما للنساء وقَوْد العساكر، والإصلاح بين الناس؟.

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٦٥ ـ ٦٦ الكتاب رقم (٢٨)، عن تاريخ أعثم الكوفي: ص١٧٤، ورواه عنه في مناقب الخوارزمي: ص١١٧.

ارجعي إلى منزلك

وطلبتِ كما زعمتِ بدم عثمان، وعثمان رجل من بني أمية وأنتِ امرأة من بني تَيم بن مُرّة.

ولعمري إن الذي عرّضك للبلاء، وحملك على العصبيّة لأعظم إليك ذنباً من قَتَلة عثمان.

وما غضبتَ حتّى أُغضبتِ، ولا هِجتِ حتّى هُيّجت، فاتّقي الله يا عائشة، وارجعي إلى منزلكِ واسبلي عليكِ ستركِ.

بلاغ وإنذار(١)

ومن رسالة له عليه السلام إلى عائشة وطلحة والزبير:

فقد أرسل عليه السلام إليهم رسولاً، وقال له: قل لها:

ما أطعتِ الله ولا رسوله، حيث أمركِ الله بلزوم بيتكِ، فخرجتِ تُردّدين العساكر.

ثم قال: وقل لهما:

ما أطعتما الله ولا رسوله، حيث خلّفتم حَلائلكم في بيوتكم، وأخرجتم حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنّكِ كنتِ أشدّ الناس على عثمان(٢)

ومن رسالة له عليه السلام مع ابن عبّاس إلى عائشة، وذلك بعد مفاوضات أَيِس ابن عباس فيها من رجوع الناكثين إلى الحق، فلمّا أخبر الإمامَ بذلك قال:

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٦٧ الكتاب رقم (٢٩)، عن بصائر الدرجات: ص٦٧.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٦٧ ـ ٦٨ الكتاب رقم (٣٠)، عن كتاب الجمل للشيخ المفيد: ص١٦٨.

اللّهمّ افتح بيننا بالحقّ وأنت خير الفاتحين.

ثمّ قال له: ارجع إلى عائشة وقل لها:

إن هذه الأمور لا تُصلحها النساء، وإنكِ لم تؤمري بذلك، فَلَم تَرضَيْ بالخروج عن أمر الله في تبرّجك وخروجكِ من بيتكِ الذي أمركِ النبي ﷺ بالمقام فيه، حتّى سرتِ إلى البصرة، فقتلتِ المسلمين، وعمدتِ إلى عمّالي فأَخرجتِهم، وفتحتِ بيت المال، وأمرتِ بالتنكيل بالمسلمين، وأبحتِ دماء الصالحين، فارعي وراقبي الله عزّ وجلّ، فقد تعلمين أنكِ كنتِ أشدّ الناس على عثمان، فما عدا مما بدا؟.

ادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه(١)

ومن رسالة له عليه السلام إلى معاوية بعد وقعة الجمل، وذلك بعد أن بايعه القوم جميعاً، وبايعه أهل العراق، واستقام له الأمر:

أما بعد، فإنّ القضاء السابق والقدر النافذ، ينزل من السماء كقطر المطر، فَتَمضي أحكامه عزّ وجلّ، وتَنفذ مشيئته بغير تَحابّ المخلوقين، ولا رضاء الآدميين، وقد بلغكَ ما كان من قتل عثمان، وبيعة الناس عامّة إيّاي ومصارع الناكثين لي.

فادخل في ما دخل الناس فيه، وإلّا فأنا الذي عَرفتَ، وحَولي مَن تَعلمه، والسلام.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٧٨ الكتاب رقم (٣٧)، عن كتاب الإمامة والسياسة: ج١ ص٨٢.

في جواب معاوية[1]

ومن كتاب له عليه السلام أجاب به معاوية لما كتب إليه بما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبد الله معاوية بن أبي سفيان إلى علي بن أبي طالب. أما بعد، فقد اتَّبعت ما يضرك، وتركت ما ينفعك، وخالفت كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله، وقد انتهى إليَّ ما فعلت بحواري رسول الله صلى الله عليه وآله طلحة والزبير وأُمّ المؤمنين عائشة، فوالله لأرمينك بشهاب لا تطفيه المياه، ولا تزعزعه الرياح، إذا وقع وقب، وإذا وقب ثقب، وإذا ثقب نقب، وإذا نقب التهب، فلا تغرنك الجيوش، واستعد للحرب، فإني ملاقيك بجنود لا قبل لك بها، والسلام.

فلما وصل الكتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقرأه دعا بدواة وقرطاس وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله وابن عبده، علي بن أبي طالب، أخي رسول الله، وابن عمّه ووصيّه، ومغسّله ومكفّنه، وقاضي دَيْنه، وزوج ابنته البتول، وأبي سبطيه الحسن والحسين، إلى معاوية بن أبي سفيان.

أفنيتُ قومك يوم بدر

أما بعد، فإني أفنيتُ قومك يوم بدر، وقتلتُ عمّك وخالك وجدّك،

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص٨١ ـ ٨٢ الكتاب رقم (٤٠)، عن بحار الأنوار: ج٨ ص٥٨٨ من الطبعة القديمة.

والسيف الّذي قَتلتَهم به معي، يحمله ساعدي بثبات من صدري، وقوّة من بدني، ونُصرة من ربي كما جعله النبي ﷺ في كفّي، فوالله ما اخترتُ على الله رباً، ولا على الإسلام ديناً، ولا على محمد ﷺ نبيّاً، ولا على السيف بدلاً، فبالِغ من رأيك فاجتهد ولا تُقصّر، فقد استحوذ عليك الشيطان، واستفزّك الجهل والطغيان ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[1]، والسلام على من اتّبع الهدى، وخَشيَ عواقب الرَّدى.

له الخلق وله الأمر[2]

ومن كتاب لـه عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان:

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فإنّ تبارك وتعالى ذا الجلال والإكرام، خلق الخلق واختار خِيَرَة من خلقه، واصطفى صَفوَة من عباده، يَخلق ما يشاء ويختار ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

فأَمَر الأمر وشرع الدين، وقسَّم القِسَم على ذلك، وهو فاعله وجاعله، وهو الخالق وهو المصطفي، وهو المشرِّع وهو الفاعل لما يشاء، لـه الخلق وله الأمر، وله الخِيَرَة والمشيّة، والإرادة والقدرة، والملك والسلطان.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص١٤٨ ـ ١٥٦ الكتاب رقم (٦٣)، عن بحار الأنوار: ج٨ ص٥٥٣ من الطبعة القديمة نقلاً عن الغارات، واثبات الهداة: ج٣ ص٩٥.

(٣) سورة القصص، الآية: ٦٨.

أرسل رسوله وأنزل عليه كتابه

أرسل رسوله وخِيَرتَه وصفوته بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه كتابه فيه تبيان كل شيء من شرائع دينه، فبيّنه لقوم يعلمون، وفيه فَرَض الفرائض، وقَسَم فيه سهاماً أحلّ بعضها لبعض وحرّم بعضها لبعض، بيّنها يا معاوية إن كنت تعلم الحجّة؟

وضرب أمثالاً لا يعلمها إلّا العالمون، فأنا سائلك عنها أو بعضِها إن كنت تعلم؟

واتّخذ الحجّة بأربعة أشياء، فما هي يا معاوية؟ ولمن هي؟

واعلم أنّهنّ حجّة لنا أهل البيت على من خالفنا ونازعنا وفارقنا وبغى علينا، والمستعان الله ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾[١]، وكان جملة تبليغه رسالة ربه فيما أمَره وشَرَع، وفَرض وقَسَم، جملة الدين، يقول الله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[٢]، هي لنا أهل البيت ليست لكم.

نهى الله عن المنازعة والفرقة

ثم نهى عن المنازعة والفرقة، وأمر بالتسليم والجماعة، فكنتم أنتم القوم الذين أقررتم لله ولرسوله وبدا لكم، فأخبركم الله أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يك ﴿أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[٣]، وقال عزّ وجل: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ﴾[٤].

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٦٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

المنقلبون على أعقابهم

فأنت وشركاؤك يا معاوية القوم الذين انقلبوا على أعقابهم، وارتدّوا ونقضوا الأمر والعهد فيما عاهدوا الله، ونكثوا البيعة، ولم يضروا الله شيئاً.

ألم تعلم يا معاوية أن الأئمة منا وليست منكم، وقد أخبركم الله أن أولي الأمر هم المستنبطون للعلم، فمن أوفى بما عاهد عليه يجد الله موفياً بعهده، يقول الله:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(١).

نحن المحسودون وأنت يا معاوية الحاسد

وقال عز وجل: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾(٢)، وقال للناس بعدهم: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ﴾(٣)، فتبوأ مقعدك من جهنم ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾(٤). نحن آل إبراهيم المحسودون وأنت الحاسد لنا.

من قصص الحاسدين والمحسودين

خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة، وعلّمه الأسماء كلها، واصطفاه على العالمين، فحسده الشيطان فكان من الغاوين.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٥.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٥.

ونوحاً حسده قومه إذ قالوا: ﴿...مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾[١]، قالوا ذلك حسداً أن يُفضّل الله من يشاء، ويختصّ برحمته من يشاء.

ومن قبل ذلك ابن آدم قابيل، قتل أخاه هابيل حسداً فكان من الخاسرين.

وطائفة من بني إسرائيل ﴿إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٢]، فلما بعث الله لهم طالوت ملكاً حسدوا وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾[٣]، وزعموا أنهم أحق بالملك منه.

حسد القوم نبيَّنا صلى الله عليه وآله وسلم

كلّ ذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق، وعندنا تفسيره، وعندنا تأويله، وقد خاب من افترى.

ونَعرف فيكم شبهه وأمثاله ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٤] فكان نبينا صلى الله عليه وآله، فلما جاءهم كفروا به حسداً من عند أنفسهم أن ينزّل الله من فضله على من يشاء من عباده، حسداً من القوم على تفضيل بعضنا على بعض.

حُسِدنا كما حُسِد آباؤنا

ألا ونحن أهل البيت آل إبراهيم المحسودون، حُسِدنا كما حُسِد

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٣٣ ـ ٣٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.
(٤) سورة يونس، الآية: ١٠١.

آباؤنا من قبل[١] سنّة ومثلاً، قال الله تعالى: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٢] ﴿ءَالَ لُوطٍ﴾[٣] ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾[٤] ﴿ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[٥] ﴿ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾[٦] ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾[٧].

فنحن آل نبينا محمد ﷺ، ألم تعلم يا معاوية: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[٨]؟

ونحن أولو الأرحام، قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[٩].

ويلك يا معاوية! فالملك لنا

نحن أهل بيت اختارنا الله واصطفانا، وجعل النبوّة فينا، والكتاب لنا، والحكمة والعلم والإيمان، وبيت الله، ومسكن إسماعيل، ومقام إبراهيم.

فالملك لنا ـ ويلك ـ يا معاوية، ونحن أولى بإبراهيم ونحن آله، وآل عمران وأولى بعمران، وآل لوط وأولى بلوط، وآل يعقوب ونحن أولى بيعقوب، وآل موسى وآل هارون وآل داود وأولى بهم، وآل محمد وأولى به.

---

(١) من قبلنا، خ ل.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٣) سورة القمر، الآية: ٣٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٦.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٤٨.
(٧) سورة سبأ، الآية: ١٣.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ٦٨.
(٩) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

ونحن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولكل نبي دعوة في خاصّة نفسه، وذريته وأهله، ولكلّ نبي وصيّة في آله.

الوصيّة إلى الآل: سنّة النبيّين

ألم تعلم أنّ إبراهيم أوصى ابنه يعقوب، ويعقوب أوصى بنيه إذ حضره الموت، وإن محمّداً أوصى إلى آله، سنّة إبراهيم والنبيّين، إقتداءً بهم كما أمره الله، ليس لك منهم ولا منه سنة النبيّين، وفي هذه الذرّية التي بعضها من بعض.

قال الله لإبراهيم وإسماعيل وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسۡلِمَةً لَّكَ﴾(١)، فنحن الأمة المسلمة.

وقالا: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ﴾(٢)، فنحن أهل هذه الدعوة.

ورسول الله صلى الله عليه وآله منا ونحن منه، وبعضنا من بعض، وبعضنا أولى ببعض في الولاية والميراث، ﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٣).

وعلينا نزل الكتاب، وفينا بُعث الرسول صلى الله عليه وآله، وعلينا تُليت الآيات، ونحن المنتحَلون للكتاب، والشهداء عليه، والدعاة إليه، والقُوّام به ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٤.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

أغير الله يا معاوية تبتغي ربّاً؟

أفغير الله يا معاوية تبغي رباً؟

أم غير كتابه تبغي كتاباً؟

أم غير الكعبة ـ بيتِ الله، ومسكن إسماعيل، ومقام أبينا إبراهيم ـ تبغي قبلة؟

أم غير ملّته تبغي ديناً؟

أم غير الله تبغي ملِكاً؟

فقد جعل الله ذلك فينا.

فقد أبديت عداوتك لنا، وحسدك وبغضك، ونقضك عهد الله، وتحريفك آيات الله، وتبديلك قول الله، قال الله لإبراهيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾[1].

أفترغب عن ملّته وقد اصطفاه الله في الدنيا وهو في الآخرة من الصالحين؟

أم غير الله تبغي حكماً؟

أم غير المستحفظ منّا تبغي إماماً؟

الإمامة لإبراهيم وذرّيته، والمؤمنون تبع لهم لا يرغبون عن ملّته، قال الله تعالى عن إبراهيم: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ﴾[2].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله

أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله، وكتابه ووليّ أمره، والحكيم من آل إبراهيم، وإلى الذي أقررت به - زعمتَ - إلى الله، والوفاء بعهده، وميثاقه الذي واثقكم به، إذ قلتم سمعنا وأطعنا.

ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾[1]، فنحن الأمة الأربى.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾[2].

اتّبعنا واقتد بنا فإنّ ذلك لنا آل إبراهيم مفترض، فإنّ الأفئدة من المؤمنين والمسلمين تهوي إلينا، وذلك دعوة المرء المسلم، فهل تنقم منا إلّا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا، واقتدينا واتّبعنا ملّة إبراهيم صلوات الله عليه وعلى محمّد وآله؟ .

حبّك آبائك يا معاوية كفر[3]

ومن كتاب له عليه السلام أجاب به معاوية لما كتب إليه يعيره بإكثاره ذكر الأنبياء، وتكريره نعت إبراهيم وكونه من آبائه، وينكر عليه فضل قرابته وحقه، وأنّه أين وجد إمامته وفضله في كتاب الله؟.

أمّا الذي عيّرتني به يا معاوية من كتابي، وكثرة ذكر آبائي إبراهيم

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٢.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢١.

(٣) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص١٥٧ - ١٥٩ الكتاب رقم (٦٤).

وإسماعيل والنبيّين، فإنّه من أحب آباءه أكثر ذكرهم، فذكرهم حبّ الله ورسوله، وأنا أعيّرك ببغضهم، فإنّ بغضهم بغض الله ورسوله، وأعيّرك بحبّك آبائك وكثرة ذكرهم فإنّ حبّهم كفر.

لا يحبّنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن

أما الذي أنكرت من نسبي من إبراهيم وإسماعيل، وقرابتي من محمد ﷺ، وفضلي وحقّي، ومُلكي وإمامتي، فإنّك لم تزل منكراً لذلك، لم يؤمن به قلبك، ألا وإنّا أهل البيت كذلك، لا يحبّنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن.

القرآن يشهد بإمامتنا أهل البيت

والذي أنكرت من قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[1]، فأنكرت أن تكون فينا فقد قال الله: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[2]، ونحن أولى به.

عرفناك يا معاوية قبل اليوم

والذي أنكرت من إمامة محمد ﷺ وزعمت أنه كان رسولاً ولم يكن إماماً. فإن إنكارك على جميع النبيّين الأئمّة، ولكنّا نشهد أنّه كان رسولاً نبيّاً إماماً ﷺ، ولسانك دليل على ما في قلبك، وقال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾[١]، ألا وقد عرفناك قبل اليوم وعداوتك وحسدك وما في قلبك من المرض الّذي أخرجه الله.

أثبت الله سهمنا وأسقط سهمك

والذي أنكرتَ من قرابتي وحقّي فإنّ سهمنا وحقّنا في كتاب الله قَسَمه لنا مع نبيّنا صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾[٣]، أو ليس وجدتَ سهمنا مع سهم الله ورسوله، وسهمك مع الأبعدين؟ لا سهم لك إذ فارقته، فقد أثبت الله سهمنا وأسقط سهمك بفراقك.

إنكارك يا معاوية فضلنا إنكار لمحمّد صلى الله عليه وآله

وأنكرتَ إمامتي ومُلكي، فهل تجد في كتاب الله قوله لآل إبراهيم: (واصطفاهم على العالمين)[٤]؟ فهو فضلنا على العالمين، أو تزعم أنك لستَ من العالمين؟، أو تزعم أنا لسنا من آل إبراهيم؟ فإن أنكرتَ ذلك لنا فقد أنكرتَ محمّداً صلى الله عليه وآله، فهو منّا ونحن منه، فإن استطعتَ أن تفرّق بيننا وبين إبراهيم صلوات الله عليه وآله، وإسماعيل ومحمد وآله في كتاب الله، فافعل.

---

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٦.

(٤) اقتباس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران، الآية: ٣٣.

الويل لمن يلقى الله بظلمي(١)

ومن كتاب لـه عليه السلام أجاب به معاوية لما كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام زهواً وافتخاراً: إن لي فضائل كثيرة، كان أبي سيّداً في الجاهلية، وأنا صهر رسول الله، وكاتب الوحي.

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيّد الشهداء عمّي
وجعفر الذي يُضحي ويُمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا احمد ابناي منها ... فأيّكم له سهم كسهمي
سبقتكمُ إلى الإسلام طُرّاً ... على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خُم
فويلٌ ثم ويل ثم ويل ... لمن يلقى الإله غداً بظلمي

فلمّا وقف معاوية على الكتاب، قال لبطانته: اخفوا هذا الكتاب، وإيّاكم وأن يطلع عليه أحد من أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

اخشَ يا معاوية فاحش فعلك(٢)

ومن كتاب لـه عليه السلام كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان.

غَرّضك عِزّك، فصار قَصارُ ذلك ذُلّك، فَاخشَ فاحشَ فِعلك، فعلّك تَهدأ بهذا.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص١٦١ ـ ١٦٣ الكتاب رقم (٦٦)، عن مناقب ابن شهرآشوب: ج٢ ص١٧٠، والتذكرة لابن الجوزي: ص١١٥.

(٢) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٤ ص١٦٥ الكتاب رقم (٦٧)، عن المناقب: ج٢ ص٤٨.

ما دعاك يا زياد إلى التكبر؟[1]

ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد وهو خليفة عبد الله بن عباس بالبصرة، يستحثّه بحمل مال مع مولاه سعد، فأتاه سعد فاستحثه، فأغلظ له زياد وشتمه، فلما قدم سعد على علي عليه السلام شكاه إليه، فكتب إليه ما يلي:

إنّ سعداً ذكر لي أنّك شتمته ظالماً، وجبهته تجبّراً وتكبّراً، فما دعاك إلى التكبّر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الكبرياء والعظمة لله، فمن تكبّر سخط الله عليه؟.

وأخبرني أنّك مستكثر من الألوان في الطعام، وأنّك تُدهّن في كل يوم، فما عليك لو صمت لله أياماً، وتصدّقت ببعض ما عندك محتسباً، وأكلت طعامك في مرّة مراراً، أو أطعمته فقيراً؟

تب إلى ربك وأصلح عملك

أتطمع وأنت متقلّب في النعيم، تستأثر به على الجار المسكين، والضعيف والفقير، والأرملة واليتيم، أن يجب لك أجر الصالحين المتصدّقين؟.

وأخبرني أنك تتكلّم بكلام الأبرار، وتعمل عمل الخاطئين، فإن كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، وعملك أحبطت، فتب إلى ربّك، وأصلح عملك، واقتصد في أمرك، وقدِّم الفضل ليوم حاجتك إن كنت من المؤمنين، وادَّهِن غِبّاً ولا تَدَّهن رِفهاً، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «ادّهنوا غِبّاً ولا تدّهنوا رِفهاً»، والسلام.

---

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٥ ص١٩٢ ـ ١٩٣ الكتاب رقم (١٥٥)، عن أنساب الأشراف: ص٣٢٩.

عقدت يا معاوية التاج وافترشت الديباج[1]

ومن كتاب لـه عليه السلام جواباً لرسالة أرسلها إليه معاوية كان قد تحدث فيها ـ مراوغة ـ عن التقوى والأخلاق والحكمة:

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد، فقد أتانا كتابك بتنويق المقال، وضرب الأمثال، وانتحال الأعمال، تَصف الحكمة ولستَ من أهلها، وتذكر التقوى وأنت على ضدّها، قد اتّبعتَ هواك فحاد بك عن طريق الحجّة، وألْحَجَ بك عن سواء السبيل.

فأنت تَسحب أذيال لذّات الفتن، وتَخبط في زهرة الدنيا، كأنك لست توقن بأَوبة البعث، ولا برجعة المنقلَب، قد عَقدتَ التاج، ولَبستَ الخز، وافترشتَ الديباج، سُنّة هرقلية، ومُلكاً فارسياً.

بلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك

ثم لم يُقنعك ذاك، حتّى يبلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك، فيملك دونك وتُحاسَب دونه، ولعمري لئن فعلت ذلك، فما ورثتَ الضلالة عن كلالة، وإنك لابن من كان يبغي على أهل الدين، ويحسد المسلمين.

(١) مستدرك نهج البلاغة للمحمودي: ج٥ ص٢٩١ ـ ٢٩٥ الكتاب رقم (١٥٧)، عن كنز الفوائد: ص٢٠٠.

الرحِم عند معاوية والطغاة

وذكرتَ رحِماً عطفتك عليَّ، فأقسم بالله الأعز الأجل، أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنت تُمهّده له بعد وفاتك لقطعتَ حبله، وأبنتَ أسبابه.

ما أنت بأبي عذر عند القتال

وأما تهديدك لي بالمشارب الوبيّة، والموارد المهلكة، فأنا عبد الله علي بن أبي طالب، أَبرِز إليَّ صَفحتك، كلّا ورب البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال، ولا عند مناطحة الأبطال.

وكأني بك لو شهدتَ الحرب وقد قامت على ساق، وكشرتْ عن منظر كريه، والأرواح تُختطف اختطاف البازيّ زَغِب القطاة، لصرتَ كالموَلَّهَة الحيرانة تَضربها العَبرة بالصدمة، لا تَعرف أعلى الوادي من أسفله، فدع عنك ما لستَ من أهله، فإن وقْع الحسام غير تشقيق الكلام.

فكم عسكر قد شهدتُه، وقرن نازلتُه، ورأيتُ اصطكاك قريش بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أنت وأبوك ومن هو أعلى منكما لي تَبَع وأنت اليوم تهدّدني.

لو تُبدي لي الأيام عن صفحتك؟

فأقسم بالله أن لو تُبدي الأيام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور لايفوته فريسة[١] بالمراوغة، كيف وأنّى لك بذلك، وأنت قعيدة بنت البِكر المخدَّرة[٢] يفزعها صوت الرعد، وأنا علي بن أبي طالب الذي

---

(١) فريسته، خ ل.

(٢) المجدوة، خ ل.

لا أُهدد بالقتال، ولا أخوّف بالنزال، فإن شئت يا معاوية فابرز، والسلام.

فلمّا وصل الكتاب إلى معاوية، جمع حاشيته وفيهم عمرو بن العاص، فقرأه عليهم، فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، كم رجل قُتل بينكما، ابرز إليه، فقال له معاوية: أنا أبرز إليه، مع علمي أنه ما برز إليه أحد قطّ إلّا وقتله، لا والله، ولكني سأبرزك إليه.

الفهرس

كلمة الناشر ٧
١: الكلمة ٧
٢: جامع الكلمة ١١
٣: صاحب الكلمة ١٤
الأب ١٦
الأم ١٧
مولد النور ١٨
النشأة والأوصاف ٢٢
ألقابه عليه السلام وكناه ٢٥
نقوش خواتيم الأمير عليه السلام ٢٦
الأولاد ٢٦
أنوار ولائية وإشعاعات حضارية ٢٧
الأمانة والخلافة ٣٥
محاورة ابن عباس وعمر ٣٦
قالوا عنه عليه السلام الكثير ٤٣
الشهادة المفجعة ٤٥

إلهيات

إليه مصائر الخلق، وعواقب الأمر ٤٩

السماوات بلا عمد ٥٠
الكائن قبل كل شيء ٥٠
لا شيء أقرب من الله تعالى ٥١
المعروف من غير رؤية ٥٢
أول الدين معرفته ٥٣
كيفية خلق العالم ٥٤
أطوار الملائكة ٥٥
كلمة التوحيد مرضاة الرحمن ٥٥
كل عزيز غيره ذليل ٥٧
المنان بفوائد النعم ٥٨
القرآن وصفات الله تعالى ٥٩
صفات الراسخين في العلم ٥٩
الخلق دليل الخالق ٥٩
لم يعرفك من شبّهك ٦٠
أذعن كل شيء لطاعته ٦١
السماء وآياتها ٦١
سكان السماوات ٦٢
أصناف الملائكة ٦٣
لم يختلفوا في ربهم ٦٤
ابتداء خلق الأرض ٦٥
حكمة الأمطار ٦٦
الأرزاق والآجال ٦٦
عالم السر والنجوى ٦٧
كل شيء قائم به ٦٨
الملائكة المقربون ٦٩
الأزلي الأبدي ٦٩
هو الملك الحق ٧٠

من لطائف الصنعة ٧٠
الطائر اللبون ٧١
مخلوقاته دلائل وحدانيته ٧١
أعجب الطيور خلقاً ٧٢
قوائم الطاووس ٧٣
خالق المجرة والذرة ٧٤
دل حدوث خلقه على قدمه ٧٥
الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ٧٦
فاطر النملة والنخلة ٧٦
إله الأرض والسماء ٧٧
خلقة الجراد ٧٨
أمره قضاء وحكمة ٧٨
الرجاء الصادق ٧٩
قريب لا بالتصاق، وبعيد لا بافتراق ٨٠
ابتدع الخلق ابتداعاً ٨١
المحدود لا يتناول اللامحدود ٨١
تدركه القلوب ولا تدركه الأبصار ٨٢
ما وحده من كيفه ٨٢
لا يجري عليه السكون والحركة ٨٣
لا يتغير بحال ٨٤
لا تجري عليه الصفات المحدَثات ٨٥
فناء الدنيا بعد ابتداعها ٨٦
عندما تنتهي الدنيا ٨٦
إعادة الحياة بعد إفنائها ٨٧
من بدائع صنعته تعالى ٨٧
الواحد لا من عدد ٨٨
خضعت له الصعاب ٨٩

توحّد بصنع الأشياء ٩٠
أنت الفعّال لما تشاء ٩١
الإقرار بعظمة الله ٩٢
بصائر كشفت عنها الأغطية ٩٢
هو كائن بلا كينونة ٩٣
لا حول ولا قوّة إلّا بالله ومعناها ٩٣
هو السلام ودينه الإسلام ٩٤
الإسلام اصل الحق ٩٤
بين الإيمان والتقوى ٩٥
الإيمان وأركانه ٩٦
هو الأول والآخر ٩٧
هو الظاهر والباطن ٩٧
هو العلي عن شَبَهِ المخلوقين ٩٧
ما يحير مقل العقول ٩٧
أنه لم يخلقكم عبثاً ٩٨

نبويات

آدم عليه السلام بين الماء والطين ٩٩
امتحان الملائكة بالسجود ٩٩
الأنبياء من ولد آدم عليه السلام ١٠٠
النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ١٠١
خليفتا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: الكتاب والعترة ١٠١
البدء بآدم والختم بالخاتم ١٠٢
النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدنيا ١٠٢
هدف البعثة ١٠٣
الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أسوة ١٠٣
موسى الكليم عليه السلام ١٠٤

قارئ أهل الجنة ١٠٤

عيسى المسيح عليه السلام ١٠٤

أحب العباد إلى الله ١٠٤

هكذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٥

التأسي وإلّا فالهلكة ١٠٥

مع سليمان بن داود عليه السلام ١٠٦

إعلان الشهادتين ١٠٧

سنّته صلى الله عليه وآله وسلم الرشد ١٠٨

فضل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٨

عبر الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة ١٠٩

اصطفاء إدريس ١٠٩

اتّخاذ إبراهيم خليلاً ١١٠

ألف عين لأجل عين ١١٠

الاعتراف بما أنزل الله ١١١

هاشم من خيرة الآباء ١١١

من هاشم إلى عبد المطلب ١١٢

عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١١٢

الله ينصر نبيّه بثلاثة ١١٢

الله يتوفّى نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ١١٣

بين موسى عليه السلام وفرعون ١١٣

لماذا الأنبياء عليهم السلام من ضعفة الناس؟ ١١٤

في ظل الأنبياء والأوصياء ١١٥

مع الملأ من قريش ١١٥

النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام ١١٧

البعثة النبوية الشريفة ١١٧

النبي صلى الله عليه وآله وسلم مجمع الفضائل والمكارم ١١٨

في عصر البعثة ١١٨
لقد كنت من ساقتها ١١٩
الإسلام نور ١١٩
رسول الرحمة صلى الله عليه وآله وسلم ١١٩
الأمة إذا لم تغضب لله ١٢٠
أرسله على حين فترة ١٢٠
بعثه صلى الله عليه وآله وسلم النور المضيء ١٢١
أوصيكم بتقوى الله ١٢١
أرسله صلى الله عليه وآله وسلم بالضياء ١٢٢
ألّف به القلوب ١٢٢
في رثاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٣
أرحم الناس بالناس ١٢٣
لم يكن مثله ولا مثل أهل بيته ١٢٤
مدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٥
مخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٦
مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٦
سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جلسائه ١٢٧
سكوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٨

ولائيات

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام ١٢٩
لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أحد ١٢٩
أهل البيت عليهم السلام ١٣٠
معرفة أهل البيت عليهم السلام ١٣٠
المنكرين لأهل البيت عليهم السلام ١٣١

من أوصاف المهدي عجل الله فرجه ١٣١
بثثت لكم المواعظ ١٣١
أين إخواني؟ ١٣١
وأمّا بنعمة ربّك فحدّث ١٣٣
عترة نبيكم صلى الله عليه وآله: ألسنة الصدق ١٣٣
بنو أمية إلى زوال ١٣٤
أمرنا صعب مستصعب ١٣٤
موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله ١٣٥
النبي صلى الله عليه وآله قبل الرسالة ١٣٥
حين نزل الوحي ١٣٥
من مواصفات أئمة أهل البيت عليهم السلام ١٣٦
بنا اهتديتم في الظلماء ١٣٦
أهَوى أخيك معنا؟ ١٣٧
أول من صدّق الرسول صلى الله عليه وآله ١٣٧
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ١٣٨
سبقت إلى الإيمان والهجرة ١٣٩
سلوني قبل أن تفقدوني ١٣٩
بلاء بني أمية وفتنتهم ١٤٠
مَثَل آل محمد عليهم السلام ١٤١
إنّي أولى الناس بالناس ١٤٢
عندنا أبواب الحُكم ١٤٢
إنك غضبت لله ١٤٣
الأئمة من بطن هاشم ١٤٣
الذين غصبوا الأئمة حقهم ١٤٤
نحن أبواب الله ١٤٥
في آل محمد عليهم السلام كرائم القرآن ١٤٥

العمل: نبات ١٤٦
الأئمة وعلم ما كان وما يكون ١٤٦
من ذا أحق بالنبي ﷺ؟ ١٤٧
بضعة الرسول ﷺ والشهادة المبكّرة ١٤٨
مع سبطي رسول الله ﷺ ١٤٩
لله ما فعله الأشتر من خير! ١٤٩
إنا أمراء الكلام ١٤٩
أفصح من نطق بالضاد بعد الرسول ﷺ ١٥٠
هم عيش العلم وموت الجهل ١٥٠
له الفخر والمجد والثناء ١٥١
استنقذنا الله بمحمد ﷺ ١٥٢
لا فتى إلّا علي عليه السلام ١٥٢
ليس لأحد مثل منزلتنا ١٥٣
أخو رسول الله ﷺ وخليفته ١٥٤
أحب الناس إلى الله ورسوله ١٥٥
نفس رسول الله ﷺ ١٥٦
منا أسد الله وأسد رسوله ١٥٧
هؤلاء شيعتنا ١٥٨
إذا كان يوم القيامة ١٥٨
مع شهداء كربلاء ١٥٩
أرسله بالهدى ودين الحق ١٦٠
النبي ﷺ أكرم الخلق ١٦٠
ترك فيكم الكتاب والعترة / إني لعلى بيّنة من ربي ١٦١
عمار مع الحق ١٦٢
أنا أول من أجاب ١٦٣
ليت فيكم مثل الأشتر ١٦٣

أنت أخي ووارثي ١٦٤
اعرف الحق، تعرف أهله ١٦٥
قسيم الجنة والنار ١٦٦
سلوني عن كتاب الله ١٦٧
محبّتنا أهل البيت إيمان ١٦٧
إني أولاكم بالله ورسوله ١٦٨
مثل العلماء في الناس ١٦٨
إن ها هنا لعلماً جماً ١٦٩
كأنّي بالقائم عليه السلام حين يظهر ١٧٠

أخلاقيات

عند انقلاب الموازين ١٧١
أصناف الناس ١٧١
من أخلاق النبلاء ١٧٢
الزهد: من قمم الأخلاق ١٧٢
له الإحاطة بكل شيء ١٧٢
من أخلاق العقلاء ١٧٣
لا تداهنوا ١٧٤
أنصح الناس لنفسه ١٧٤
مِن أحب العباد إلى الله ١٧٥
مِن أبغض الخلق إلى الله ١٧٦
ما ينبغي لأهل العصمة والتقوى ١٧٦
من آداب التآخي ١٧٧
المعروف إذا لم يوضع في أهله ١٧٨
ليرأف كبيركم بصغيركم ١٧٨
عاقبة الظالمين ١٧٨
التيه: نتيجة التخاذل ١٧٩

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ١٧٩
المسؤولية: خلق إسلامي ١٨٠
أقبلوا نصيحة الله ١٨٠
من أخلاق المؤمن ١٨١
الناصح الذي لا يغش ١٨١
كونوا من أتباع القرآن ١٨٢
استقيموا على الطريقة ١٨٢
إيّاكم وتلوّن الأخلاق ١٨٣
المؤمن بعيد عن البدع ١٨٣
الناس رجلان ١٨٤
الظلم ثلاثة ١٨٤
طوبى لمن شغله عيبه ١٨٥
الإيمان مستقَرّ ومستَودَع ١٨٥
عظم حلمه فعفى ١٨٦
نعم الخُلُق: التقوى ١٨٦
صونوا التقوى وتصوّنوا بها ١٨٧
من دأب الدنيا ١٨٧
اختار العزّ والكبرياء لنفسه ١٨٨
إبليس: إمام المتعصبين ١٨٩
لو أراد اللّه لفعل ١٨٩
اعتبروا من فعل الله بإبليس ١٨٩
لا يُعديكم إبليس بدائه ١٩٠
أجلب إبليس بخيله عليكم ١٩١
إيّاكم وكبر الحمية ١٩١
لا تطيعوا الأدعياء ١٩٢
اعتبروا بما أصاب المستكبرين ١٩٣
بين موسى عليه السلام وفرعون ١٩٣

لماذا الأنبياء من ضعفة الناس؟ ١٩٤
من أسرار وجوب الحج ١٩٤
لو كانت الكعبة بين رياض ناضرة ١٩٥
الكِبر: مَصيَدة إبليس ١٩٦
التعصّب الأعمى ١٩٧
ليكن تعصّبكم للمكارم والمحاسن ١٩٧
احذروا ما نزل بالأمم قبلكم ١٩٧
تدبَّروا أحوال المؤمنين الماضين ١٩٨
ثمرات الاتحاد والاختلاف ١٩٩
تحت وطأة الأكاسرة والقياصرة ١٩٩
في ظل الأنبياء والأوصياء ٢٠٠
نفضتم أيديكم من حبل الطاعة ٢٠٠
صرتم بعد الهجرة أعرابا ٢٠٠
لقد قطعتم قيد الإسلام ٢٠١
من أخلاق المتّقين ٢٠٢
المتقون هم أهل الفضائل ٢٠٢
ليل المتّقين ونهارهم ٢٠٣
من علامات المتّقين ٢٠٤
سمات المتّقين البارزة ٢٠٤
هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها ٢٠٥
خوض الغمار من رضوان الله ٢٠٥
احذروا النفاق والمنافقين ٢٠٦
من صفات المنافقين ٢٠٦
التقوى: زمام وقوام ٢٠٧
من آثار العقل والتعقل ٢٠٧
التقوى: عتق وتحرر ٢٠٨
الجد والاجتهاد: دأب العقلاء ٢٠٨

من علامات الزاهدين ٢٠٩
أفضل الأخلاق: إحياء الحق ٢٠٩
الصفح مع الدولة ٢١٠
أفضل المؤمنين ٢١١
اسكن الأمصار العظام ٢١١
حجب العقول عن أن تتخيّل ذاته ٢١٢
الشهادتان: الكلمتان الطيّبتان ٢١٢
لا شرف أعلى من الإسلام ٢١٣
لا جمال أحسن من العقل ٢١٣
من حفر لأخيه بئراً وقع فيه ٢١٤
لا عبادة كالتفكّر ٢١٤
عشر خصال يظهرها اللسان ٢١٤
بين الصمت والكلام ٢١٥
القبر خير من الفقر ٢١٥
أعجب ما في الإنسان ٢١٥
من جاد ساد ٢١٦
إنّ للقلوب شواهد ٢١٦
أشرف الغنى: ترك المنى ٢١٧
في خلاف النفس رُشدُها ٢١٧
من الكرم: لين الكلام ٢١٨
معيار الخير والشر ٢١٨
عليكم بالعدل على العدو والصديق ٢١٩
الحرّ: من ترك الشهوات ٢١٩
رأس العلم: الرفق ٢٢٠
طوبى للمخلصين ٢٢٠
أحسن يحسن أليك ٢٢٠
لا تكن أحد هؤلاء ٢٢١

حسّن خلقك يُخفّف حسابك ٢٢١
كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام ٢٢٢
كونوا في الناس كالنحل في الطير ٢٢٢
موت الأخلاق: من علامات الظهور ٢٢٣
احذر الأحمق والحماقة ٢٢٣
مصائب أخلاقية عظيمة ٢٢٤
من موانع الدعاء ٢٢٤
موجبات الإجابة ٢٢٥
ثلاثة يجتنب مؤاخاتهم ٢٢٥
اجتنب الغضب ٢٢٦
أخلاق مذمومة ٢٢٦
صفات دانية ٢٢٧
عليك بخصال الخير ٢٢٧
احذر ثلاثاً ٢٢٨
خَف ثلاثاً ٢٢٨
ارجُ ثلاثاً ٢٢٨
وافِق ثلاثاً ٢٢٩
استحِ من ثلاث ٢٢٩
افزَع إلى ثلاث ٢٢٩
شُحَّ على ثلاث ٢٢٩
تخلّص إلى ثلاث ٢٣٠
أُهرُب من ثلاث ٢٣٠
جانِب ثلاثاً ٢٣٠
احفظ عني أربعاً وأربعاً ٢٣٠
من آداب السائل والمجيب ٢٣١
مواصفات أبغض خلق الله ٢٣١
المؤمن وصفاته ٢٣٢

من آداب المتعلم ٢٣٢
كن شكوراً ٢٣٣
الخير: أن يعظم حلمك ٢٣٣
رجلان يبغضهما الله ٢٣٤
مثل الرجل الذي قمش جهلاً ٢٣٤
أحبّ الناس إلى الله ٢٣٥
مواصفات من أحبّه الله تعالى ٢٣٦

عبادات

فريضة الحج ٢٣٧
من كمال الأضحيَّة ٢٣٧
أفضل القربات إلى الله ٢٣٨
استنّوا بسنّة نبيّكم ٢٣٩
بعد صلاة الاستسقاء ٢٣٩
اسقنا غيثك ٢٤٠
الصلاة تحتّ الذنوب ٢٤١
الزكاة مع الصلاة قربان ٢٤٢
أداء الأمانة ٢٤٢
لا تخفى عليه خافية ٢٤٢
صلّوا بهم صلاة أضعفهم ٢٤٣
بعد صلاة العيد ٢٤٣
نستعينه ونستغفره ٢٤٤
اذكروا الله يذكركم ٢٤٤
أدّوا زكاة فطرتكم ٢٤٤
استهدي الله الهُدى ٢٤٥
التقوى جُنّة حصينة ٢٤٦
قبل صلاة الجمعة ٢٤٧

خيرة الله من خلقه ٢٤٧
الكتاب كريم ٢٤٨
الوصية بالتقوى ٢٤٨
التزهيد في الدنيا ٢٤٨
القرآن أحسن القصص ٢٤٩
الصلاة على النبي وآله عليهم السلام ٢٥٠
أحقّ من خُشي وحُمد ٢٥٠
أدنى ما للصائمين والصائمات ٢٥١
طلب العلم عبادة ٢٥٢
صحبة العالم الربّاني ٢٥٣
العلم وفضائله ٢٥٣
العبادة بالعقل لا بالكثرة ٢٥٣
أقل مراتب الجهاد ٢٥٤

مواعظ

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ٢٥٥
الدنيا وزخارفها ٢٥٥
الرحيل إلى الآخرة ٢٥٦
الإنسان إذا فارق الحياة ٢٥٧
عند قيام الساعة ٢٥٧
من عوامل الهلاك ٢٥٨
تعرف الأشياء بأضدادها ٢٥٨
أهل البيت عليهم السلام أهل الحق ٢٥٩
كما تزرع تحصد ٢٥٩
من موجبات الثواب والعقاب ٢٦٠
فوارق ومميزات ٢٦٠
اعملوا رحمكم اللّه ٢٦١

قريب ما يطرح الحجاب ٢٦١
تخففوا تلحقوا ٢٦٢
اليوم المضمار وغداً السباق ٢٦٢
أخوف ما أخاف عليكم ٢٦٤
تزوّدوا للآخرة ٢٦٤
الدنيا قد تصرّمت ٢٦٥
كل شيء أمام ثواب الله قليل ٢٦٥
لا تكافئ أعمالكم نعم الله عليكم ٢٦٦
الدنيا مزرعة الآخرة ٢٦٦
لم يخلقكم الله عبثاً ٢٦٦
قدّموا توبتكم ٢٦٧
اغتنموا المهل ٢٦٧
دارٌ أولها عناء وآخرها فناء ٢٦٨
دار اختبار واعتبار ٢٦٩
الدنيا: ظل زائل ٢٦٩
إذا أزف النشور ٢٧٠
تبعثون أفراداً ٢٧٠
خلّف لكم عِبَر الماضين ٢٧١
يوم لا تَدفع الأقارب ولا تنفع النواحب ٢٧٢
إن مجازكم على الصراط ٢٧٢
كفى بالجنّة ثواباً ٢٧٣
أنشأه في ظلمات الأرحام ٢٧٣
فجعات المنيّة ٢٧٤
احذروا الذنوب ٢٧٥
اتّعظوا بالعمر ٢٧٥
انتفعوا بالمواعظ ٢٧٦
لا يهرم خالدها ٢٧٦

أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا ٢٧٦
اذكروا هادم اللذّات ٢٧٧
اتّقوا يوم الحساب ٢٧٨
ويل لك يا بصرة ٢٧٨
سرورها مشوب بالحزن ٢٧٨
أبغض الرجال عند الله ٢٧٩
الزمان العصيب ٢٧٩
أحذّركم الدنيا وما فيها ٢٨٠
الدنيا فانية ٢٨١
دأب الدنيا ٢٨١
حال الموتى ٢٨٢
من أسرار الموت ٢٨٣
اسمعوا دعوة الموت آذنكم ٢٨٣
من علامات الزاهدين ٢٨٤
تقوى الله هي الزاد ٢٨٥
من علامات التقوى ٢٨٥
شرّ من الشرّ ٢٨٦
نحمده على ما أخذ وأعطى ٢٨٧
إنه واللّه الجدّ لا اللعب ٢٨٨
انقادت لـه الدنيا والآخرة ٢٨٨
الناطق الذي لا يعيا ٢٨٩
ختم به الوحي ٢٨٩
بين الأعمى والبصير ٢٨٩
لقد تاه بكم الغرور ٢٨٩
مضت أصول ونحن فروعها ٢٩٠
اتّقوا البدع ٢٩٠
لا تضيّعوا سنّة نبيّكم ٢٩١

بين الثبات والزلَّة ٢٩١
الدهر يجري بالباقين كجريه بالماضين ٢٩٢
تزوّدوا لأيام البقاء ٢٩٣
إنّ عليكم رصداً وعيوناً ٢٩٣
لا يشغله شأن عن شأن ٢٩٤
الدنيا تغرّ وتضرّ ٢٩٤
خلق الخلائق بقدرته ٢٩٥
القرآن آمر وزاجر ٢٩٦
اتّقوا الله الذي أنتم بعينه ٢٩٦
بادروا المعاد ٢٩٧
اسعوا في فكاك رقابكم ٢٩٧
أوصيكم بذكر الموت ٢٩٨
ما أسرع السنين في العمر! ٢٩٩
اعدّوا للموت قبل نزوله ٢٩٩
أنتم والساعة في قَرَن ٣٠٠
مصير المتّقين ٣٠١
الموت على فراشه: شهادة ٣٠١
الدنيا دار شخوص ٣٠٢
تقوى الله دواء القلوب ٣٠٢
طاعة الله حرز وأمان ٣٠٣
الإسلام دين الله الذي اصطفاه ٣٠٤
بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق ٣٠٥
أنزل الكتاب نوراً ومنهاجاً ٣٠٥
خذوا من ممرّكم لمقرّكم ٣٠٦
تجهزوا! فقد نودي فيكم بالرحيل ٣٠٧
للاعتبار لا للتفاخر ٣٠٧
سُلّطت الأرض عليهم ٣٠٨

شاهدوا أعظم مما خافوا ٣٠٩
لقد اكتحلت أبصارهم بالتراب ٣٠٩
إن للموت لغمرات ٣١٠
ما آنسك بهلكة نفسك؟ ٣١١
ما أجرأك على معصيته؟ ٣١٢
إذا قامت القيامة ٣١٢
دار بالغدر معروفة ٣١٣
كيف بكم إذا بُعثرت القبور؟ ٣١٤
خذ من حياتك لموتك ٣١٤
سيأتيك من يخرجك منها ٣١٥
حدود الدار الواقعية ٣١٦
ليكن همّك فيما بعد الموت ٣١٦
الموعظة للبر والفاجر ٣١٧
النصيحة للصديق والعدو ٣١٧
لا تأمن الدنيا على حال ٣١٨
ضع عنك هموم الدنيا ٣١٨
الدهر: يومان ٣١٩
عظمت منّته، وسبغت نعمته ٣١٩
خطبة خالية من الألف ٣١٩
علم فستر، وبطن فخبر ٣٢٠
شهِدتُ ببعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم رسوله ٣٢٠
ذكَّرتُكم بسنّة نبيّكم ٣٢١
نحو برزخ ونشور ٣٢١
ثم بُعثرتْ قبور ٣٢٢
نعوذ بربّ قدير ٣٢٣
مصير مَن خشيَ ومَن جحد ٣٢٣
الإقبال على الدنيا يورث الندامة ٣٢٣

استشعروا خوف الله ٣٢٤
الدنيا متجر أولياء الله ٣٢٥
أيّها الذامّ للدنيا! ٣٢٥
لو أُذن للقوم في الكلام ٣٢٦
باشروا الآجال بمحاسن الأعمال ٣٢٧
اذكروا مصارع الآباء ٣٢٧
القبر: بيت الأهوال والبِلى ٣٢٨
إذا دكت الأرض دكاً دكاً ٣٢٩
أين التعِب بالليل والنهار للدنيا؟ ٣٣٠
أين من قاد الجنود والعساكر؟ ٣٣٠
أين من قاد الجنود؟ ونشر البنود؟ ٣٣١
هو الدائم بلا فناء ٣٣١
الدنيا ليست لكم بدار ٣٣٢
رحم الله امرأً راقب ربّه ٣٣٣
العاقبة للتقوى ٣٣٣
الدهر ثلاثة أيّام ٣٣٤
إنما الدهر ثلاثة أيام ـ أنت فيما بينهن ٣٣٤
ما ينبغي للعاقل! ٣٣٥
طريق الجنّة وطريق النار ٣٣٥
من اتّقى الله عزّ وقوي ٣٣٦
حب الدنيا يعمي ويصم ٣٣٦
الدنيا ظلّ آفل ٣٣٧
احذروا هذه الدنيا ٣٣٧
مَثَل الدنيا مثَل الحيَّة ٣٣٨
ابن آدم في الدنيا على خطر ٣٣٩
من أدلة دناءة الدنيا ٣٣٩
الدنيا وأولياء الله ٣٤٠

مثل الدنيا عند العاقل ٣٤١
الدنيا ثلاثة أيّام ٣٤٢
ساعة بين ساعتين ٣٤٢
لو خيّر المقبور بين أمرين ٣٤٣
مثَلكم ومثَل الدنيا ٣٤٣
آثار الأولين عبرة وتبصرة ٣٤٤
طوبى للزاهدين في الدنيا ٣٤٥
لا تكن أحد هؤلاء ٣٤٥
اليوم العبوس ٣٤٦
الموت في الطلب ٣٤٦
بتقوى الله فاز الفائزون ٣٤٧
احذروا هادم اللذّات ٣٤٧

اجتماعيات

إذا رأى أحدكم لأخيه نعمة ٣٤٩
حرث الدنيا وحرث الآخرة ٣٤٩
لا استغناء لأحد عن عشيرته ٣٥٠
لا تقبض يدك عن عشيرتك ٣٥٠
المجتمع المتفكّك ٣٥١
أين المتورّعون في مكاسبهم؟ ٣٥١
سفارة ووساطة ٣٥٢
الله، الله في نفسك! ٣٥٢
لا تكوننّ لمروان منقاداً ٣٥٣
يجمع الناس ويشرّكهم: الرضا والسخط ٣٥٣
أكره لكم أن تكونوا سبّابين ٣٥٤
ما تصنع بسعة هذه الدار؟ ٣٥٤
أما رحمت أهلك وولدك؟ ٣٥٥

الواجب على أئمّة العدل ٣٥٥
اختلاف الأخبار لماذا؟ ٣٥٦
نقلة الأخبار أربعة أصناف ٣٥٦
قد يكون للكلام وجهان ٣٥٧
الحقّ: أوسع الأشياء وأضيقها ٣٥٨
الحقوق في الإسلام متقابلة ٣٥٨
إذا عملت الرعية والولاة بحقوقها ٣٥٩
عندما تنقض الرعية أو الولاة حقوقها ٣٥٩
عليكم بالتناصح وأداء الحقوق ٣٥٩
كلّما عظمت النعمة عظم حقّ الله ٣٦٠
من أسخف حالات الولاة ٣٦٠
إنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون ٣٦١
مع عباد الله المكرمين ٣٦١
أهل الذكر: قلب المجتمع النابض ٣٦٢
من مواصفات أهل الذكر ٣٦٢
وقد خلقكم أطواراً ٣٦٣
المحاجّة بما هو أقطع للعذر ٣٦٤
في خطبة زواج ٣٦٤
زوّجني النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام ٣٦٥
لا عَدِمتُ إشفاقك وتحنُّنك ٣٦٥
اسمح لي يا عمّ بترك ما أشرت به ٣٦٦
ما أراده الله لخلقه ٣٦٦
تعزية مصاب ٣٦٧
إلى أهل المدينة ٣٦٨
وإنّي مخبركم عنّا وعمّن سرنا إليه ٣٦٨
أعذرت بالدعاء فأبوا إلّا قتالي ٣٦٨
رسالة وبشارة ٣٦٩

إلى أهل الكوفة ٣٦٩
نهضت من المدينة ٣٧٠
نزلت ظهر البصرة ٣٧٠
بعثت إليكم ابن قيس ٣٧١
بشارة إلى العمّال والولاة ٣٧١
إلى ابن كعب ومن قِبله من المسلمين ٣٧١
عندما استعرت نار الحرب ٣٧٢
لمّا هزمهم الله ٣٧٢
طبقات الناس وأصنافهم ٣٧٣
حقّ المسلم على المسلم ٣٧٤
أصناف المجتمع ٣٧٥
المكاره الدنيوية وما ينبغي للعاقل فيها ٣٧٥
من حقوق المؤمن ٣٧٥
هو المصوّر لكل مولود ٣٧٦
الخطبة الخالية من النقط ٣٧٦
رحم الله محمّداً وآله الكرام ٣٧٦
اعملوا أصلح الأعمال ٣٧٧
مُصاهِركُم أطهر الأحرار ٣٧٧

أدعية

هو أهل الوصف الجميل ٣٧٨
سبحانك ما أعظم شأنك ٣٧٩
دعاء للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٣٧٩
أنت الصاحب في السفر ٣٧٩
اجمع بيننا وبين رسولك ٣٨٠
فان عدتُ فعد عليَّ ٣٨١
ارحم أنين الآنّة ٣٨١

اللّهمّ سُقيَا منك مُحيِية ٣٨٢
سدّدنا للحق ٣٨٣
الحثّ على النِّزال ٣٨٤
اللّهمّ يا أكبر الشاهدين ٣٨٤
أعوذ بك أن أضلّ في هُداك ٣٨٤
اللّهمّ صن وجهي باليسار ٣٨٥
احملني على عفوك ٣٨٦
نشكو إليك كثرة عدوّنا ٣٨٦
يا واحد يا أحد ٣٨٧
يا ولي المؤمنين ٣٨٧
اجعلنا في حماك ٣٨٨
اللّهمّ آت محمّداً ﷺ الوسيلة ٣٨٨
اجمع بيننا وبين محمّد ﷺ ٣٨٩
اجعله هلال بركة ٣٩٠
أوزعنا شكر النعمة ٣٩١
سبحان من لا تدرك العقول وصفه ٣٩١
أنت خير الفاتحين ٣٩١
يا جزيل العطايا ٣٩٢
مُنّ عليّ بالتوكلّ عليك ٣٩٢
أتوجّه إليك بمحمّد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ٣٩٣
أسألك سلواً عن الدنيا ٣٩٣
من صلَّيت عليه فصلواتنا عليه ٣٩٤
يا ذا المنن السابغة ٣٩٤
أحيني ما أحييتني موفوراً ٣٩٥
أعطني جميع ما أحب ٣٩٦
أسألك من الدنيا ما يصلحني ٣٩٦
اللّهمّ اشرح بالقرآن صدري ٣٩٧

يا من دلّ بذاته على ذاته ٣٩٧
صلّ اللّهمّ على محمّد وآله ٣٩٨
أسألك حسن التوفيق ٣٩٨
قَرَعتُ باب رحمتك ٣٩٩
ارزقني السلامة في الدين والدنيا ٣٩٩
فَلَقت بلطفك الفَلَق ٤٠٠
يا كاشف الكروب ٤٠٠
أسألك برحمتك التّي وسعت كلّ شيء ٤٠١
أدنني من قربك ٤٠٢
كن عليَّ عطوفاً ٤٠٣
مَن لي غيرك ٤٠٣
أتُراك معذّبي بنارك؟ ٤٠٤
تقدّست أسماؤك ٤٠٥
وفِّر حظّي من كلّ خير ٤٠٦
يا من بيده ناصيَتي ٤٠٧
يا من عليه معوّلي ٤٠٧
قَوِّ على خدمتك جوارحي ٤٠٧
مُنَّ عليَّ بحُسن إجابتك ٤٠٨
يا سريع الرضا ٤٠٨
كن أنيسي في وحدتي ٤٠٩
يا سرور الأرواح ٤٠٩
جد عليّ بما أنت أولى به ٤١٠
أتوجّه إليك بمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٤١٠
اللّهمّ اجعل محياي محيا محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ٤١١
أنت الغنيّ وأنا الفقير ٤١١
يا برّ يا رحيم ٤١٢
أناجيك يا سيّدي ٤١٢

يا من أمر بالدعاء وتكفّل الإجابة ٤١٢
هب لي ما سألتك ٤١٣
اللّهمّ إنّي عبدك ووليّك ٤١٤
يا خير الحاكمين ٤١٤
إنك أنت عصمتي ٤١٥
اكفنا المهمّ ٤١٥
سبحان الذي سخّر لنا هذا ٤١٦
اكفنا مهمّات السفر ٤١٦
أعوذ بك من زوال نعمتك ٤١٧
أصلح ذات بيننا وبينهم ٤١٧
أعوذ بك أن أُغلب ٤١٧
اللّهمّ ألحقني بنبيّك ﷺ ٤١٨
إلى مَن يفزع المقصّرون؟ ٤١٩
ارحم غُربتنا ٤٢٠
إلهي أَمرتَ بالمعروف وأنت أولى به ٤٢١
إليك نلتجئ من مكائد الدنيا ٤٢١
ارحمني إذا انقطع أثري ٤٢٢
آنسَني اليقين بمكارم عطفك ٤٢٣
إليك يَلتَجئ كل مكروب ٤٢٤
ادعوك دعاء من لم يَرج غيرك ٤٢٥
أنت أهل أن تجود عليَّ ٤٢٦
لو أَردت إهانتي لم تَهدني ٤٢٧
يا من لا يُخاف إلّا عدله ٤٢٨
لا تفضحني يوم ألقاك ٤٢٩
جودك بسط أملي ٤٢٩
حقيق لمن دعاك أن تُجيبه ٤٣٠
يا أنيس كلّ غريب ٤٣١

يا أفضل من رجاه راج ٤٣٢

مناقضات

ضعوا تيجان المفاخرة ٤٣٣
الإنسان بين مناوئيه ٤٣٣
اضرب بالسامع المطيع، العاصي المريب ٤٣٤
باض الشيطان وفرّخ في صدورهم ٤٣٤
لقد أقرّ بالبيعة ٤٣٤
أصحاب الشعارات البرّاقة ٤٣٥
الشيطان قد جمع حزبه ٤٣٥
كنتم جند المرأة ٤٣٥
خفَّت عقولكم ٤٣٦
ما يدريك يا عليَّ مما لي ٤٣٦
مع أصحاب الجمل ٤٣٧
يا خيبة الداعي ٤٣٧
العرب قبل البعثة ٤٣٨
الناس بعد ارتحال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤٣٨
بين معاوية وعمرو بن العاص ٤٣٨
عندما أغار الضحاك على أطراف البلاد ٤٣٩
المغرور من غررتموه ٤٣٩
الحكّام إذا استأثروا ٤٤٠
لا تلقينّ طلحة ٤٤٠
منيت بمن لا يطيع ٤٤١
المارقون وشعارهم ٤٤١
الغدر: سياسة الفجرة ٤٤٢
قبّح الله مَصقلة ٤٤٢
مع الخوارج المارقين ٤٤٣

إنّما أنتم كالمرأة الحامل حملت فأملصت ٤٤٣
مع أصحاب الشورى ٤٤٤
بنو أمية وتُهمة الأبرياء ٤٤٤
مع بني أُميّة ٤٤٥
مطايا الخطيئات ٤٤٥
عجباً لابن النابغة ٤٤٦
جبّارو الدهر وطغاته ٤٤٦
العجب من الأحزاب والفرق المتناحرة ٤٤٧
عصر ما قبل البعثة ٤٤٧
لقد نزلت بكم البلية ٤٤٨
البشير النذير ٤٤٨
بنو أمية ومصادرة أتعاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤٤٩
الدماء والحقوق التي أهدرها بنو أمية ٤٤٩
أبصر الأبصار ٤٤٩
من وظائف الإمام العادل ٤٥٠
البخلاء بالنفس والمال ٤٥٠
مع المستهترين والمتكبّرين ٤٥٠
الرقيبان المتنافسان على الدنيا ٤٥١
إنها كانت أَثَرَة ٤٥١
حاول القوم إطفاء نور الله ٤٥٢
الحمد لله الذي لا يحجبه شيء ٤٥٢
أنتم تحولون بيني وبين حقّي ٤٥٣
خرجوا يَجرّون حُرمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ٤٥٣
أراد أن يُغالط ليُلبس الأمر ٤٥٤
لماذا لم يفعل إحدى ثلاث؟ ٤٥٤
أيّتها الفرقة المتخاذلة ٤٥٥
أما دين يجمعكم؟ ٤٥٥

مع الملتحقين بالخوارج ٤٥٦
قبّحك الله يا أثرم! ٤٥٦
لكنّه يغدر ويفجر ٤٥٧
لقد أظهرتما يسيراً وأخفيتما كثيراً ٤٥٧
التفضيل في العطاء: بدعة ٤٥٨
إن قريشاً قطعوا رحمي ٤٥٨
لقد عاثوا في الأرض الفساد ٤٥٩
ليسوا من المهاجرين والأنصار ٤٥٩
شتان ما بين الاختيارين ٤٥٩
كتاب امرئ ليس له بصر ٤٦٠
الخارج من البيعة بعد تمامها ٤٦٠
ليس المهاجر كالطليق ٤٦٠
لا تجعل للشيطان فيك نصيباً ٤٦١
ما أنت والفاضل والمفضول؟ ٤٦١
إنّك يا معاوية لذهّاب في التيه ٤٦٢
بنعمة اللَّه أُحدّث ٤٦٢
إنّا صنائع ربّنا ٤٦٣
الحقّ لنا دونكم ٤٦٣
من مزاعم القاسطين ٤٦٤
أردتَ أن تَذُمَّ فمدحت ٤٦٤
أيّنا كان أعدى؟ ٤٦٤
لقد أضحكتَ بعد استعبار ٤٦٥
أرديت يا معاوية جيلاً من الناس كثيراً ٤٦٥
دع عنك قريشاً ٤٦٦
مع شاهري السلاح ومستحلّي القتال ٤٦٦
ما أشد لزومك للأهواء؟ ٤٦٧
أذهبتَ دنياك وآخرتك ٤٦٧

احذر معاوية فإنما هو شيطان ٤٦٨
مع القاسطين ٤٦٨
فرّق بيننا وبينكم: كفركم وفتنتكم ٤٦٩
من مزاعم معاوية ٤٧٠
إنّك يا معاوية الأغلف القلب ٤٧٠
لقد أكثرتَ في قتلة عثمان ٤٧١
سلكت يا معاوية مدارج أسلافك! ٤٧١
أصبحتَ كالخابط في ظلام ٤٧١
مصادرة الخلافة ومداولتها ٤٧٢
عثمان ودم الهرمزان ٤٧٢
تسفير الصلحاء من الصحابة ٤٧٣
تولية السفهاء من بني أمية ٤٧٣
من أسباب غضب الناس ٤٧٣
ما مروان بذي رأي في دينه ٤٧٤
السفهاء يرون المصلح مفسداً ٤٧٤
مع بني أمية وتذرّعهم بدم عثمان ٤٧٥
تأليف القلوب: مهمة الأنبياء ٤٧٥
المتنازعون في الخلافة بعد الرسول ﷺ ٤٧٥
طلحة والزبير ينكثان ٤٧٦
ما أنصفكِ الذين أخرجوكِ ٤٧٦
لماذا التظاهر على أمير المؤمنين عليه السلام ٤٧٧
وإن شئتم فاسألوها ٤٧٩
أوّل من أبطل حقّ ذي القربى في الخمس ٤٨٠
لي على الناس حقّ ٤٨٠
قديماً عاداني الفاسقون ٤٨١
خدعوا شطر هذه الأمّة ٤٨١
معاوية يجدّد موقف سُهيل بن عمرو ٤٨٢

مع ابن النابغة ٤٨٣
إنّهم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ٤٨٣
رددتم عليَّ رأيي ٤٨٤
لكنّكم وهنتم وتفرّقتم عليَّ ٤٨٤
خفتُ وهنكم وتفرّقكم ٤٨٥
بنا هداكم الله من الضلالة ٤٨٦
ما للنساء وقَوْد العساكر؟ ٤٨٦
ارجعي إلى منزلك ٤٨٧
بلاغ وإنذار ٤٨٧
إنّكِ كنتِ أشدّ الناس على عثمان ٤٨٧
ادخل يا معاوية فيما دخل الناس فيه ٤٨٨
في جواب معاوية ٤٨٩
أفنيتُ قومك يوم بدر ٤٨٩
له الخلق وله الأمر ٤٩٠
أرسل رسوله وأنزل عليه كتابه ٤٩١
نهى الله عن المنازعة والفرقة ٤٩١
المنقلبون على أعقابهم ٤٩٢
نحن المحسودون وأنت يا معاوية الحاسد ٤٩٢
من قصص الحاسدين والمحسودين ٤٩٧
حسد القوم نبيَّنا صلى الله عليه وآله ٤٩٣
حُسِدنا كما حُسِد آباؤنا ٤٩٣
ويلك يا معاوية! فالملك لنا ٤٩٤
الوصيّة إلى الآل: سنّة النبيّين ٤٩٥
أغير الله يا معاوية تبتغي ربّاً؟ ٤٩٦
أدعوك يا معاوية إلى الله ورسوله ٤٩٧
حبّك آبائك يا معاوية كفر ٤٩٧
لا يحبّنا كافر، ولا يبغضنا مؤمن ٤٩٨

القرآن يشهد بإمامتنا أهل البيت ٤٩٨
عرفناك يا معاوية قبل اليوم ٤٩٨
أثبت الله سهمنا وأسقط سهمك ٤٩٩
انكارك يا معاوية فضلنا .انكار لمحمّد ﷺ ٤٩٩
الويل لمن يلقى الله بظلمي ٥٠٠
اخشَ يا معاوية فاحش فعلك ٥٠٠
ما دعاك يا زياد إلى التكبر؟ ٥٠١
تب إلى ربك وأصلح عملك ٥٠١
عقدت يا معاوية التاج وافترشت الديباج ٥٠٢
بلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك ٥٠٢
الرحِم عند معاوية والطغاة ٥٠٢
ما أنت بأبي عذر عند القتال ٥٠٣
لو تُبدي لي الأيام عن صفحتك؟ ٥٠٣
الفهرس ٥٠٥